wadod.org

مجلة فصلية محكمة

تعنى بالآثار والتراث والمخطوطات والوثائق

في هذا العدد:

- أبو العلاء المعرّي، أعجوبة القرون الوسطى ..... أ. إحسان الملائكة
- مصادر القاضي الجرجاني في كتاب الوساطة ..... أ. د. سامي علي جبار
- اتجاهات تحقيق التراث في الجامعات العراقية ..... أ. د. ابتسام مرهون الصفار
- الشيخ الطوسي ومنهجه في القراءات ..... د. عبد علي حسين الخماسي
- شعر الواثق بالله ..... دراسة وتحقيق: أ. حسين عبد العال اللهيبي
- فهرس مخطوطات مكتبة الروضة الحسينية في كربلاء ـ العراق ـ القسم ٩ والأخير ..... أ. سلمان هادي آل طعمة
- إتمام الوفاء في معجم ألقاب الشعراء ـ نظرات ومستدرك . أ. عباس هاني الجراخ
- إصدارات ـ القسم الأول ..... أ. حسن عريبي الخالدي

العدد العاشر ـ السنة الثالثة ـ ربيع ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م

wadod.org

أبو العلاء المعري
أعجوبة القرون الوسطى

٣٦٣ ـ ٤٤٩هـ / ٩٧٣ ـ ١٠٥٧م

د. عبد الرحمن الأستاذة أحمد الملائكة

لو كانت فكرة الأديب الانجليزي هـ.ج.ويلز في روايته الخيالية «آلة الزمان» قابلة للتنفيذ. وكان بمستطاع الإنسان اختراق البعد الزماني مثل استطاعته اجتياز البعد المكاني، فإن الشاعر والفيلسوف العربي أبا العلاء المعري قد تمكن من تحقيق هذا الهدف الطموح حين أطلَّ على منجزات عصرنا الحديث مخترقاً زمان المستقبل، من دون أن يستعمل أية آلة غير ذهنه الوقاد، وخياله العجيب، وحافظته الخارقة، وثقافته الموسوعية مدفوعاً برغبته العميقة لتوفير السعادة والهناء للبشر أينما كانوا ومهما تنوعت أجناسهم. هذا العبقري الذي حرمته الحياة من نعمة البصر وقف وحيداً ومجرداً من أي سلاح، سوى مواهبه المشار إليها، ومضى يرشد بني قومه، وغيرهم إلى أسلوب جديد للعيش، قائم على أفكار ونظريات غريبة لم يسمعوا بمثلها، لأن أوانها لم يكن قد حان بعد، ولم تتوصل إليها البشرية إلا أثناء ما سمي بعصر التنوير في أوربا، وما أدت إليه مفاهيم الثورة الفرنسية العظمى في ختام القرن الثامن عشر، وما حققته الثورة الصناعية من منجزات حضارية واقعية غيرت حياة الإنسان تغييراً جذرياً لم يخطر له على بال في يوم من الأيام. هكذا اختصر المعري من عمر الزمان ألف سنة، ونجح في أن يستشرف مفاهيم حضارة العصر الحديث. وبذلك حقق أمنية هـ.ج.ويلز في روايته الشهيرة.

ومنعاً للالتباس وعدم الفهم لا بدَّ لنا في هذا المقام من الإشارة إلى أن الحضارة التي يفخر إنسان العصر الحديث بانتمائه إليها ليست إلا ثمرة تطور تدريجي لتمدن الإنسان في مختلف أرجاء الأرض، شرقاً وغرباً، شمالاً وجنوباً، فليس ثمة شعب انفرد بإبداع حضارة مستقلة تماماً عن التأثيرات الخارجية أو مقطوعة الصلة بتراث سابق لها، والحضارة الإغريقية الرومانية التي تفتخر أوربا الحديثة بانتسابها إليها لم تكن إلا ثمرة تدرج طبيعي لحضارات الشرق العتيقة، ومنها السومرية والفرعونية والبابلية والفينيقية والآشورية والفارسية والهندية والصينية إلخ.. تشهد بذلك اعترافات أغلب مفكري وأدباء الأغريق والرومان أنفسهم، مثل طاليس وفيثاغور وأفلاطون وهيرودوت وزينون وغيرهم كثير.

wadod.org

في هذا السياق يتضح لنا أنَّ اطلاع المعري بشكل ممتاز على حضارات الشعوب القديمة لا بدَّ أن يكون أحد العوامل التي أعانته على التوصل إلى الأفكار الإنسانية الجميلة التي بَشَّرَ بها في مؤلفاته، وبثَّها بشكل واضح وصريح في ديوانه العديم النظير «لزوم ما لا يلزم». من ثم فإنَّ الشواهد الإثباتية التي ترد في هذا البحث سوف تستقى جميعاً من هذا الديوان، لأنها تفي بالغرض تماماً.

من هو أبو العلاء المعري. «حيثما توجد إرادة فثمة طريق».

* * * * * *

في بلدة «معرة النعمان» التابعة لمدينة حلب السورية، وعند مغرب شمس اليوم السادس والعشرين من كانون الأول /ديسمبر/ سنة ٩٧٣م. المقابل ليوم ٢٧ ربيع الأول ٣٦٣هـ. وضعت السيدة الكريمة فاطمة بنت محمد بن سبيكة وليدها الثاني أحمد أبا العلاء، الذي قدم إلى الدنيا بعد مولد شقيقه الأكبر محمد أبي المجد بثماني سنوات.. وانتظرت الأم ثماني سنوات أخرى كي تضع ابنها الثالث والأخير عبد الواحد أبا الهيثم.

كان الشاعر الأديب «عبد الله» بن القاضي سليمان بن محمد التنوخي قد اقترن بهذه السيدة في عام ٣٥٠هـ، مما يعني أن والدي الشاعر: المعري، لم يُرزقا طيلة فترة زواجهما التي قاربت الخمسة والأربعين عاماً، غير ثلاثة أبناء ذكور. وفي شعر المعري ترد أبيات تؤكد عدم وجود أخت له. منها:

بِنْـــتُ عـــن الـــدنيـــا ولا بِنـــتَ لـــي فيهـــــا ولا عـــــرسٌ ولا أخـــــتُ

ويذكر بعض الدارسين أن والد المعري، عبد الله بن سليمان كان يهوى جارية يملكها، توفيت أثناء حياته فحزن عليها أشد الحزن وتمنى لو كان هو الميت بدلاً منها، على ما يرد في قصائده التي رثاها بها. ولما كان الإنسان القديم لا يشعر بأي حياء أو تأنيب للضمير مما تعانيه الجواري والمسكينات من آلام وعذاب، وما يتعرضن له من فظائع وإهانات، فإن مؤرخي تلك العصور قلما كان يخطر لهم أن يهتموا بذكر التفاصيل عن أصل الجارية أو شخصيتها أو مصيرها، كل ما كان يثير انتباههم فيها مقدار المتعة المكتسبة من شراء جسدها، أو النفع الحاصل من بيع مواهبها، وتلك الأمور هي التي تحدد سعرها في سوق النخاسة. والجارية التي حزن لفقدها والد المعري وبكاها أحر بكاء، ربما كان لها دور في تنمية مواهب أبي العلاء، أو في توجهاته الإنسانية التي تتجلى في كل قصائد لزوم ما لا يلزم، إذ لا بدَّ أنها كانت ذات قدرات عقلية أو ذكاء خاص عزّز مكانتها في قلب والد الشاعر. بالطبع هذه مجرد تخمينات يثيرها في النفس اهتمام دارسي سيرة أبي العلاء بالتطرق إليها دون غيرها من التفاصيل.

«اللزوميات» تفيض بالأشعار التي تصور مدى تأذي نفس أبي العلاء مما يعانيه الرقيق الأبيض والعبيد والأسرى في عصره. نورد منها بعضها فيما يلي:

wadod.org

رقيقك أسرى في يديك فلا تكن غليظاً عليهم واتق الله في الأسر
وبيعت بالفلوس لكل خزيٍ وجوه كالدنانير الحسان
وعقائل الألباب غير أوامرٍ بأذاة أيتامٍ وهتك عقائل

ينتسب والد المعري إلى «تنوخ» وهي من القبائل العربية التي كان تدين بالمسيحية قبل الإسلام، وماضيها حافل بالأمجاد، لأن أبناءها شاركوا في كثير من حروب الجاهلية، كما أبلوا البلاء الحسن في الفتوحات الإسلامية، وقد دخل أكثر التنوخيين في الإسلام منذ عهد الراشدين، في حين لجأ آخرون إلى بلاد الروم، حفاظاً على دينهم الأصلي.

كانت أسرة المعري تأخذ بالمذهب الشافعي، وقد استمرت الفتاوى في عائلته لمائتي سنة، وأغلب علماء المعرة وقضاتها وشعرائها من التنوخيين. أما آل سبيكة، أخوال المعري، فقد كانوا أيضاً أهل علم وأدب، وكان بعضهم يعمل في التجارة مع الخارج، وفي قصائد المعري ما يدل على ذلك، فهو يقول مادحاً لهم:

كأنَّ بني سبيكة فوق طيرٍ يجنوبون الغوائر والنجادا
أبالاسكندر الملك اقتديتم فما تضعون في بلدٍ وسادا

عُرف عبد الله بن سليمان، والد المعري بالفضل والوقار وامتلك مواهب شعرية ومعرفة حسنة باللغة والأدب والنحو، وعنه أخذ أبو العلاء كل دروسه في صباه. توفي عبد الواحد أبو الهيثم شقيق المعري في شبابه وذلك سنة ٤٠٥هـ، أما الشقيق الأكبر محمد أبو المجد، فقد عاش حتى الشيخوخة، وقد رثاهما أبو العلاء بكثير من القصائد. وكان كلٌ منهما أديباً شاعراً.

قبل أن يكمل أبو العلاء الرابعة أصيب بالجدري فذهب بصره، وأصبح وجهه دميماً، على ما يصفه معاصروه. وكان نحيل الجسم وكثير الحياء. وحين تنبه الوالد لذكاء أبي العلاء اصطحبه إلى حلب عاصمة الإقليم يومئذٍ، حيث يعيش أخواله بنو سبيكة، وفيها أخذ علم النحو واللغة على بعض المتضلعين فيهما. وقد عرف أبو العلاء ومنذ هذا العهد بحدة الذكاء وتوقد الذهن، وقوة الإرادة، كما تميز بصلابة الرأي وبروح التحدي، فلم يكن أي عائق بقادر أن يمنعه من تحقيق الأهداف التي اختطها لنفسه. اشتهر كذلك بسرعة الحفظ، وكان يقول: «ما سمعت شيئاً إلا حفظته، وما حفظت شيئاً ونسيته». ويؤكد الدارسون أنه اطلع على آداب أكثر الأمم القديمة التي نُقلت آثارها إلى العربية، وربما التي لم تترجم أيضاً. وهو نفسه يصرح بذلك في شعره فيقول:

ما مَرَّ في هذه الدنيا بنو زمن إلا وعندي من أخبارهم طَرَفُ

ومنذ الشباب الأول أتقن علوم اللغة والنحو والشعر والفقه والقرآن؛ حتى أصبح أكبر أساطين هذه العلوم، وقصده الطلاب من كل حدبٍ وصوب. يقول في لزومياته:

يزورني القوم هذا أرضُهُ يَمَنٌ من البلاد وهذا دارهُ الطَبَسُ

(طبس: بلدة في خراسان).

wadod.org

يبغـــون مِنِّـــيَ مبنـــى لســـتُ أحسنـــه فـــإن صـــدقـــتُ عـــرتهـــم أوجـــهٌ عبـــس

وعلمه ومعارفه الهائلة تتجلى في كل مؤلفاته، يعترف بذلك أعداؤه قبل محبيه، وتروى عن ذكائه أغرب القصص. من ذلك أنه كان قادراً على إعادة كلام يسمعه مرة واحدة، مع أنه يمتد ليشمل عدة صفحات مكتوبة من لغة لا يعرفها، وإنما يحفظ العبارات دون أن يفهمها ومن ذلك أيضاً أنه كان يحسن ألعاب النرد والشطرنج وغيرهما مع فقدان بصره.

في شبابه اتخذ من الشاعر أبي الطيب المتنبي مثلاً أعلى له فافتتن به كشاعر عبقري، ووطني غيور، ورجل عظيم وإنسان مثالي، وتأثر بشخصيته وبشعره أشدَّ التأثر، فكان يستخدم لهجة المتنبي المزهوة بنفسه وبقومه في أشعاره الأولى. من ذلك قوله:

إلا فـــي سبيـــل المجـــد مـــا أنـــا فـــاعـــل عفـــاف وإقـــدام وحـــزم ونـــائـــلُ

وقوله في حاسديه:

تعـــاطـــوا مكـــانـــي وقـــدْ فُتُّهـــم فمـــا أدركـــوا غيـــر لمـــح البصـــر
وقـــد نبحـــونـــي ومـــا هجتهـــم كمـــا نبـــح الكلـــب ضـــوء القمـــر

فقد أبو العلاء والده سنة ٣٩٥هـ. وفقد والدته عام ٤٠٠هـ. وبموتهما حُرم من الرعاية والحنان اللذين يفتقر إليهما أشد الافتقار من كان في مثل حالته، عاجزاً عن خوض غمار الحياة لفقدان البصر، مع ما تحسه نفسه الكبيرة من رغبة جياشة في ارتقاء أعلى القمم وتخطي أقوى العقبات، ولهذا تفيض «اللزوميات» بشكاوى لا منتهى لها مبعثها مشاعر الإحباط والعجز اللذين يعذبانه في محنته تلك. يقول مثلاً:

فمـــا للفتـــى إلا انفـــرادٌ ووحـــدةٌ إذا هـــو لـــم يُـــرزق بلـــوغ المـــآرب
الهـــمُّ للحـــيِّ إلـــفٌ لا يفـــارقـــه حتـــى يعـــود مـــع الأمـــوات مفقـــودا
ومـــن الـــرزيـــة أن يكـــون فـــؤادك الـــوقّـــادُ فـــي جســـدٍ عليـــه بليـــد
أمـــا المـــراد فجـــمٌّ لا يحيـــط بـــه شـــرحٌ ولكـــنَّ عمـــر المـــرء مختصـــرُ

في نهاية عام ٣٩٨هـ. غادر أبو العلاء مسقط رأسه المعرة، متوجهاً إلى بغداد، عاصمة الدولة العباسية، والمركز الثقافي الأكبر في العالم الإسلامي يومذاك. في شعره وفي رسائله يبين الشاعر غرضه من هذه الرحلة، وهو الاطلاع على خزانة «كتب بيت الحكمة» في بغداد، ولا شك أنه كان إلى ذلك يتوق إلى ملاقاة أكابر علماء العاصمة ليتبادل معهم الآراء ويشاركهم الأحاديث، فالأديب نسيبٌ للأديب، على حدِّ المثل السائر. تقول الكاتبة المتخصصة بدراسة المعري «د. بنت الشاطىء»، لقد أراد أن تعترف به بغداد حين كان اعترافها مطمح كل عالم وأديب. فقد كان مزوداً بأسلحته التي يملكها: ذكاء شبه أسطوري، ورسوخ عميق في علوم العربية والإسلام، وموهبة أدبية أصيلة، وفي ديوانه «سِقْط الزَنْد» تتوفر أبيات كثيرة تؤكد هذا القول. من ذلك ما يلي:

وبـــالعـــراق رجـــالٌ قـــربُهـــم شـــرفٌ هـــاجـــرتُ فـــي حُبّهـــم رهطـــي وأشيـــاعـــي

wadod.org

وأيضاً:

إذا نـــأتِ العـــراق بنـــا المطـــايـــا فـــلا كنـــا ولا كـــان المطـــيُّ
علـــى الـــدنيـــا الســـلام فمـــا حيـــاةٌ إذا فـــارقتُكـــم إلاّ نعـــيُّ

هذه الرحلة إلى بغداد ترتب عليها نتائج خطيرة في حياة أبي العلاء، وكان لها آثار أخرى في حياة كثير ممن التقى بهم في بغداد، كما ترويها وتشير إليها مصنفات الأدب التي سجلت أحداث ذلك العصر. ففي بغداد أدرك أبو العلاء أنه عاجز عن مجاراة الجو السائد في الساحة الثقافية العامة، إذ كان على المبدعين من أجل نشر آثارهم، وإيصال كتاباتهم إلى الجمهور، أن يدفعوا الثمن الغالي من كرامتهم وعزة أنفسهم؛ إذ لا بدَّ لهم من بذل ماء الوجوه والتزلف إلى السلاطين والأمراء وأولياء الأمور، وإغداق أوصاف العظمة وآيات الثناء التي لا يستحقونها، بل هم غير جديرين إلا بأقسى ألفاظ الذم والهجاء، والحال أن الإخلاص لبني البشر وعشق الحقيقة كان الدين الأوحد الذي اعتنقه أبو العلاء طوال حياته. لا يحيد عنه ولو بُذلت له كل أمجاد الدنيا وأموالها، وكانت أساليب المكر والمداهنة والنفاق أشد ما ينفر منه قلبه وينكره عقله. من هذه الناحية فإن رحلته إلى بغداد، تعد فاشلة ومخيبة للآمال. هذه الخيبة هي المسؤولة عن القرار الحاسم الذي اتخذه أبو العلاء قبيل مغادرته عاصمة الدنيا، القرار باعتزال عالم الناس، والانزواء داخل جدران منزله، وإلزام نفسه ما لا يلزمها من الامتناع عن أكل لحم الحيوان بكل أصنافه، وعدم استخدام جلود الحيوانات ووبرها كلباس أو سجاد أو حتى كنعال لقدميه، فالقطن سيستر جسمه صيفاً، واللباد سيقيه البرد شتاءً، والبردي سيتخذه حصيراً يفترشه للنوم، وقبقاب الخشب سيكون نعلاً لقدمه، وسوف يحرّم على نفسه أكل كل منتجات الحيوانات كالبيض والألبان وعسل النحل، إلخ... ويكتفي من الأطعمة بالمخضرات والبقول ودبس التمور وشيء من الفواكه الرخيصة. ولكي يجعل قراره نافذاً وأكيداً فقد بعث من بغداد إلى أهله في المعرة رسالة توضح ما استقر عليه عزمه، وترسم صورة لأسلوب حياته القادمة، والرسالة أشبه ما تكون بإنذار لكل أهله وأصدقائه ومعارفه، يحذرهم فيها من أية محاولة لنقض قراراته.

في هذه الرسالة الجميلة وضع أبو العلاء النقاط على الحروف، كما يقال، وأوضح كل مقاصده، فلم يحوج أحداً بعدها إلى أي تفسير أو تعليل أو تحليل.

في وداع العراقيين وتحية لمحبيه من البغداديين كتب أبو العلاء قصائد رائعة في حرارة عواطفها. نقتبس منها الأبيات التالية:

أودعكـــم يـــا أهـــل بغـــداد والحشـــا علـــى زفـــرات مـــا يليـــن مـــن اللـــذع
فبئـــس البـــديـــل الشـــام منكـــم وأهلـــه علـــى أنهـــم قـــومـــي وبينهـــم ربعـــي
ألا زودونـــي شـــربـــة ولـــو أننـــي قـــدرتُ إذن أفنيـــت دجلـــة بـــالجـــرع
وكـــان اختيـــاري أن أمـــوت لـــديكـــم حميـــداً فمـــا ألفيـــت ذلـــك فـــي الـــوسـع

wadod.org

كان الذي عجّل بتركه بغداد، والعودة إلى وطنه رسالة وصلته من أهله تنبىء باعتلال والدته، فلم يجد بُدّاً من قطع رحلته، ومغادرة بغداد التي شُغف بها، كما تدل أشعاره التي قالها فيها، وذلك على الرغم مما لقيه من فظاظة بعض أدبائها وبخاصة الشريف المرتضى، الذي كان له عند البويهيين، حكام العراق يومذاك، منزلة رفيعة، لما يتحلى به هو وأخوه الشريف الرضي ووالدهما من مواهب أدبية وقدرات عقلية. ويرى بعض الباحثين أن قرار اعتزال الحياة والمجتمع الذي اتخذه أبو العلاء وهو ما يزال في بغداد، إنما كان نتيجة مباشرة للإهانة الفظيعة التي تعرض لها في مجلس الشريف المرتضى، بسبب انحراف هذا الأخير عن أبي الطيب المتنبي، وتحيز أبي العلاء ودفاعه عن الشاعر العظيم، لكن هذا التعليل لا يمكن أن يقنع أحداً، ولا بد أن هناك أسباباً أخرى تجنّب المؤرخون الخوض فيها، وذلك أمر كثير الحدوث في التاريخ. وأغلب الظن أن مصالح البويهيين كانت وراء الجفاء بين المرتضى والمعري، خاصة إذا تذكرنا حادثة مقتل المتنبي التي وقعت قبل ذلك الحين بنصف قرن، والتي يظن أن للبويهيين ضلعاً فيها أيضاً. والمعري قبل غيره، عليم بفساد حكام عصره و«لزومياته» تفيض بأبيات الذم والانتقاد والهجاء لهم.

عند بلوغ المعرة كانت فاجعة أمه في انتظاره، وتوضح مراثيه لها مدى الألم الذي أحسه عند ذاك. ومنها:

مضتْ وقد اكتهلَت فخلت أني رضيعٌ ما بلغت مدى الفطام
فيا ركب المنون أما رسول يبلغ روحها أرج السلام

وصل أبو العلاء مسقط رأسه سنة ٤٠٠هـ. واستغرقت رحلة الذهاب والإياب أقل من سنتين. ومن هذا الوقت فصاعداً، صارت نبرة الحزن هي السمة المميزة لأغلب أشعاره، واصبح لزهديات أبي العتاهية وتشاؤمه الشديد، تأثيرات قوية وواضحة في اللزوميات. وهكذا استبدل المعري حماس المتنبي للحياة، وتفاخره وزهوه بنفسه، ببأس أبي العتاهية من الحياة، ومرارة مشاعره نحو الناس.

في بغداد كان أبو العلاء يدبر أمور عيشه بالمال القليل الذي حمله معه من الوطن، رافضاً بإباء أن يتكسب بمدح الرؤساء والوزراء تمشياً مع عادة شعراء تلك العصور، وقد اعترف أدباء بغداد بأصالة شاعريته وعمق علمه، وقرؤوا عليه ديوانه «سِقْط الزَنْد» الذي كان قد أعدَّه قبل الرحلة. وفور وصوله إلى العاصمة اتصل بخازن مكتبة «بيت الحكمة» عبد السلام البصري الذي أطلعه على كل كنوز الخزانة. وظهر أن أبا العلاء يعرفها جميعاً، وقد توطدت أواصر الصداقة بين الاثنين، من ذلك العهد، وكان لأبي العلاء حضور متألق في مجالس بغداد الفلسفية والأدبية. وافتتن المعري بالأجواء الثقافية في بغداد، ومن شعره الحزين الذي ودّع به بغداد ما يلي:

كفى بشحوبِ أوجهنا دليلا على إزْماعِنا عنك الرحيلا

wadod.org

كلفنا بالعراق ونحن شرخٌ فلم نُلْمِمْ به إلا كهولا
وردنا ماء دجلةَ خير ماءٍ وزرنا أشرف الشجر النخيلا

منذ حطت قدما أبي العلاء في المعرة، شرع بتنفيذ خطة الاعتزال بحذافيرها، سجن نفسه في داره لا يخرج منها أبداً، وصام دهره كله ولم يكن يفطر إلا أيام الأعياد:

أنا صائم طول الحياة وإنما فِطري الحِمامُ ويوم ذاك أعيدُ

وألزم نفسه عدم الزواج وعدم التسري بالجواري، وعدم شراء العبيد، وامتنع عن أكل اللحوم وكل منتجات الحيوان مكملاً خطته المشار إليها أعلاه كاملة، طعاماً ولباساً وأسلوب عيش. وأمضى بقية سني حياته أي حتى عام ٤٤٩هـ. دون أن ينحرف عن الخطة قيد أنملة.

المرة الوحيدة التي غادر فيها المنزل حدثت بعد ذلك بعشرين عاماً حين حاصر القائد صالح بن مرداس مدينة المعرة انتقاماً من أهلها الذين عصوا بعض أوامره، فاستغاث الناس بأبي العلاء كي يتشفع لهم عند القائد الحانق، فخرج الشاعر الكفيف متكئاً على ذراع أحد أقاربه، ونجح في إلانة قلب الأمير الذي وافق على فك الحصار عن المدينة، وإطلاق الرهائن. إكراماً للشاعر.

ولما لهج الناس بالثناء على المعري لنجاح وساطته في إنقاذهم من عدوان صالح بن مرداس، احتج على شكرهم له، ومضى ينسب الفضل لله تعالى، وليس لوساطته هو. فقال:

بُعثت شفيعاً إلى صالح وذاك من القوم رأي فَسَدْ
فيسمع مِنِّيَ سجع الحَمامِ وأسمع منه زئيرَ الأسد

شرطٌ واحد من شروط عزلته، عجز أبو العلاء عن تنفيذه، وهو منع الناس من زيارته، فقد صار الناس يفدون إلى المعرة من كل حدبٍ وصوب طلباً لشرف لقائه، أو لأخذ العلم عنه، وكثيراً ما شكى في لزومياته من كثرة أولئك الزوار، ومن خبث نوايا بعضهم، ممن يبعثهم بعض حكام العصر لأغراض سياسية. يقول مثلاً:

إذا حضرت عندي الجماعة أوحشت فما وحدتي إلا صحيفة إيناسي
طهارة مثلي في التباعد عنكمُ وقربكمُ يجني همومي وأدناسي

كذلك اعتاد أبو العلاء أن يتلقى عشرات الرسائل من العلماء والرؤساء وطلاب العلم يسألونه عويص المسائل اللغوية والدينية والتاريخية والأدبية، فكان يبعث إليهم الأجوبة على شكل مؤلفات مختصرة، رافضاً أية أجرة على تعبه، وكثير من مؤلفاته القصار هي في واقع الأمر، إجابات على طلبات من هذا النوع.

ولم يكن له من موارد العيش غير وقف خصصه له والده يقارب الثلاثين ديناراً في السنة، وكان ينفق نصف هذا المبلغ على خادمه، وعلى كُتّابه، في حين يبقي النصف الآخر لطعامه وشرابه ولباسه وللحاجات الأخرى. وكان مضطراً إلى الاقتصاد الشديد كي لا يحتاج إلى الاتكال على أحد.

wadod.org

كان مذهب أبي العلاء في طعامه ولباسه تجنب إيذاء الحيوان وإيلامه، ويرد في لزومياته أبيات كثيرة تحضُّ على عدم القسوة في التعامل مع الحيوانات، واستثارة مشاعر الرحمة والحب لكل ضروب الحيوان. من ذلك قوله:

أحِسنْ إلى الناقة الوجناء تبعثها ... فيما تشاء وأكرِم عشرة الفرس
وابكِ على طائر رماه فتىً ... لاه فأوهى بسهمه الكتفا
بَكِّر يبغي المعاش مجتهداً ... فقُصَّ عند الشروق أو نُتفا
تقِ الله حتى في جني النحل شُرْتَه[1] ... فما جمعت إلا لأنفسها النحلُ
لا أشرك الجدي في دَرٍّ يعيش به ... ولا أروع بنات الوحش والضان

النهاية

«هدف العبقري عشق الحقيقة» ـ جيته ـ

في سنواته الأخيرات شرع أبو العلاء بالتحدث عن الزائر القادم، ومضى يحسب الأيام الباقية له من العمر، كان ينتظر الموت بهدوء نفس وطيب خاطر. في ربيع الأول من عام ٤٤٩هـ. ودّع الشيخ الضرير السنة السادسة والثمانين من عمره، كانت ساعاته تمضي قاتمة سوداء. ويزداد شعوره بفقدان الرغبة في مواصلة العيش، انحنى ظهره وسقطت أسنانه، لم يكن يخضبُ شيبه بالحناء. وإذ وهتْ أعضاء جسمه، راح يُصلي وهو قاعد، ولا يقوم من مجلسه إلا متكئاً على ذراع قريب من أقربائه، وضعُف سمعه لكن عقله حافظ على صفائه، ولم تخنه ذاكرته، ولم تضعف إرداته وواصل احتجاجاته على الظلم والقسوة والبلادة والكذب والتضليل والنفاق، ولم يتوقف أبداً عن بث أفكاره والرغبة في إرشاد الناس إلى مسالك الخير حتى اليوم الأخير من حياته.

كان الطاعون وباء مستقراً في أرجاء العالم العربي يومئذٍ، وفي أحد أيام ربيع الأول من سنة ٤٤٩هـ، اعتل أبو العلاء وساءت صحته، وكان من زواره الطبيب الكاتب ابن بطلان، الذي رأى أن الشاعر مصاب بالطاعون. من شعر المعري في آخر أشهر حياته:

أعبد الله خير من حياتي ... وطول ذمائها موت مريحُ
تعللني لتسقيني فذرني ... لعلي أستريح وتستريح
أأخشى عذاب الله والله عادلٌ ... وقد عشت عيش المستضام المعذب
متى ما يأتيَنْ أجلي بأرضٍ ... فنادِ على الجنازة للغريب
تجاوزت عنّيَ الأقدار ذاهبةً ... فقد تأبّدْتُ حتّى ملَّني الأبدُ
أما الصحاب فقد مروا وما عادوا ... وبيننا بلقاء الموت ميعاد
يا محلّي عليك منّي سلامٌ ... سوف أمضي وينجز الموعود

(١) شار العسل: استخرجه.

wadod.org

لم تطل به العلة أكثر من يومين، وفي ثالث الأيام لفظ أنفاسه الأخيرة. وكان قد أوصى أن يكتب على قبره، وتمَّ تنفيذ الوصية:

هـذا جنـاهُ أبي عليَّ ومـا جنيـتُ علـى أحـد

من رثاء تلميذه علي بن همام، الذي وقف على قبره مودعاً مع ثمانين شاعراً آخر، قوله:

إنْ كنـتَ لـم تُـرِق الـدمـاءَ زهـادةً فلقـد أرقـتَ اليـوم مـن جفنـي دمـا

جاوزت مؤلفات أبي العلاء السبعين كتاباً من أهمها: الأيك والغصون، وهو كتاب ضخم. والفصول والغايات. ورسالة الغفران. ومعجز أحمد «المتنبي» وزجر النابح في الدفاع عن لزوم ما لا يلزم. وذكرى حبيب «أبي تمام» وديوانه سقط الزند، وديوان لزوم ما لا يلزم. ورسالة الملائكة وسائله إلى داعي الدعاة الفاطمي. إلخ....

المعري رائد الحضارة الحديثة

«الكاتب العبقري يجد قُراءه بين أبناء الأجيال القادمة» ـ بول روكس ـ

من خلال حُجُب الظلام الذي ساد العصر الوسيط، وحين كانت التعاسة تعمُّ كل أرجاء الأرض بسبب توالي الفتن والمعارك، وتناوب أوبئة الطاعون والجدري والكوليرا والملاريا، تألق مشعل نورٍ وعرفان، تحمله يدُ عبقري كفيف البصر، دفعه الإخلاص للناس جميعاً إلى خوض غمرات الحياة لمحاربة ما في المجتمعات من شذوذ وفوضى وهمجية، ذلكم هو الشاعر التقدمي أبو العلاء المعري الذي جسدت آثاره كامل شخصيته الخارقة وروحه النبيلة. كان صاحب رسالة إنسانية النزعة، تدعو إلى تحقيق العدالة الاجتماعية بين البشر، وتعتمد أو تستند إلى دراساته المعمقة للأديان والفلسفات العالمية، قديمها وحديثها. ـ هنري برلاين ـ

حين قدم أبو العلاء إلى الدنيا كانت شمس الحضارة العربية قد مالت نحو المغيب، وتمزق كيان الدولة الكبيرة الممتدة إلى حدود الصين شرقاً وإلى المحيط الأطلسي غرباً، فتحولت إلى دويلات صغيرة ضعيفة، يحكمها قواد وأمراء طامعون، لا همَّ لهم غير المال والسلطان. في ذلك الوقت كانت العراق وفارس تحت سيطرة البويهيين، وليس للخليفة إلا الاسم، وكان الحمدانيون يحكمون الأرض الواقعة بين الموصل وحلب، والفاطميون يديرون شؤون المغرب العربي، أما الشام فقد كانت مسرحاً للمعارك بين ملوك الفاطميين، وشيوخ القبائل العربية، والقواد الأعاجم، الذين لم يكن يهمهم غير اقتطاع أكبر حصة من الغنيمة الباردة. ومنذ ثلاثينيات القرن الخامس الهجري «الحادي عشر للميلاد» برز السلاجقة على الساحة السياسية فاجتاحوا إيران والأناضول ثم العراق، بعد أن طردوا البويهيين منه. كان الغزنويون يحكمون أفغانستان وما جاورها بعد انقراض الدولة السامانية. واعتاد الأمراء الطامحون من الأجانب أن يعتنقوا الدين الإسلامي، ليسهل عليهم إقناع الجماهير بأحقيتهم في حكم البلاد، وكلهم يرفع شعارات الدين البراقه قبل الاستيلاء على الأراضي، لكنهم

wadod.org

ما يكادون يتربعون على العروش حتى تصبح تلك الشعارات في خبر كان. وفي مثل هذه الظروف لا بدَّ للأخلاق من الانحدار، ولا بدَّ أن يرافق ذلك أصناف الشرور الاجتماعية، ويصبح للنفاق والمداهنة والملق والدهاء السياسي، سوق رائجة في كل مكان، ويتجلى ذلك في مدائح الشعراء لأولي الأمر، وفي منثور الأدباء، ومؤلفات المؤرخين التي تتحول إلى مجرد أكاذيب وخزعبلات. يقول المعري:

نطالب الدهر بالأحرار وهْوَ لنا ... مُبينُ عُذْرَيْنِ: إفلاسٍ وتفليس
والناس شتى فيعطى المقتَ صادقُهم ... عن الأمور ويحيا الكاذب الملق
متكهن ومنجمٌ ومعزمٌ ... وجميع ذاك تحايلٌ لمعاشِ

بسبب المفاهيم الجديدة التي جاء بها أبوالعلاء في مؤلفاته، وإثر ملاحظة الناس لأسلوب عيشه، ولتوجهاته المخالفة لما اعتادوا عليه، تعرض هذا الإنسان العظيم لسوء فهم مريع من أهل زمانه. ومن أبناء العصور التالية أيضاً. فرمَوْهُ بضعف الدين ثم بالإلحاد والزندقة، وكان للسلاطين والأمراء يد خفية في ظهور هذه الآراء وشيوعها، والناس على دين ملوكهم، والقرآن الكريم نصَّ على فساد الملوك القدامى: ﴿**قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلّة، وكذلك يفعلون**﴾ [سورة النمل: ٣٤].

ولم يحاول المؤرخون الذي أعقبوا عصر المعري، تصحيح الأمور، وإعادة الاعتبار إلى الشاعر المظلوم، لأنهم هم أيضاً كانوا واقعين تحت هيمنة سلاطين وأمراء مماثلين في رذائلهم لأولئك الذين عاصرهم المعري، وهكذا راحوا يتبارون في إلصاق تُهم الإلحاد والانحراف عن الدين إلى أبي العلاء، ينقلون عن أسلافهم الأحاديث الكاذبة كالببغاء، أو كما وصفهم أبو العلاء نفسه قياساً على مؤرخي عصره:

وجدت أباك مفترياً حديثاً ... فأنت على مقصِ الشيخ تفري

والحال أن المعري ينص بكل وضوح وجلاء، في كل ما كتبه، على إيمانه القوي بالخالق، ويؤكد اعتقاده بالتوحيد والقدرة الإلهية المطلقة. ومن ذلك أشعاره التالية:

أثبت لي خالقاً حكيماً ... ولست من معشرٍ نفاةِ
إلهُنا الله ملكٌ أولٌ أحدٌ ... تطيعه من صنوف الناس آحادُ
مولاك مولاك الذي ماله ... نِدٌّ وخاب الكافر الجاحد

والحقيقة التي يجب تذكرها هي أن أبا العلاء كان يرفض فصل الدين عن الأخلاق والسلوك فمن لا يملك الفضيلة، لا يمكن أن يكون مسلماً أو تقياً، وهذا مبدأ سليم لا ينكره عاقل أو حكيم، لكنه لا يتماشى مع سلوك ملوك وسلاطين عصور الظلام الذين تميزوا بانفصام الشخصية وانحراف الأخلاق، واختلاف الأقوال عن الأفعال.

يتضح مما ورد في هذا البحث أن أبا العلاء إنما تهيأ له التنبؤ بمستقبل الإنسان، واستشفاف آفاق التمدن الحديث، عن طريق اطلاعه العميق على أديان وأفكار وفلسفات الأمم

wadod.org

القديمة، ودراسته الدقيقة لأحوال البشر في أرجاء المعمورة وتاريخ الشعوب المختلفة، وأكبر الظن أنه كان يحسن اللاتينية أو الإغريقية دون أن يعرف الناس عنه ذلك، وهكذا نجح في اختراق زمان هـ.ج.ويلز بأغرب وسيلة. والحقيقة أن سيرة المعري وطباعه وشخصيته ومسلكه وحتى مزاجه كان ذلك يوحي بأنه كان إنساناً سابقاً أو متجاوزاً لعصره، وأنه لو قُدر له أن يعيش في عصرنا الحالي، لوجد نفسه بين من يفهمهم ويفهمونه، ولما أحسَّ بتلك الغربة الفظيعة التي عكستها أشعار اللزوميات، وهي كثيرة لكني سأكتفي بنقل بعضها:

أراني في الثلاثة من سجوني ... فلا تسأل عن الخبر النبيث
لفقدي ناظري ولزوم بيتي ... وكون النفس في الجسم الخبيث
حورفت في كل مطلوب هممت به ... حتى زهدت فما خليت والسزهد

حورفت: أي حُرمت من الحرفة كناية عن الحرمان.

أريد من الدنيا خمود شرورها ... فتوقد ما بين الجوانح نارها
أيلبثُ لي فأذكرهُ زمانٌ ... فإني خلتُه نَسِيَ السُّرورا
طال مني تحمُّل خِلْتُ أني ... قابضٌ من أذاته فوق جمر
كم أعاني للدهر بيضاً وسوداً ... بين خضر من السنين وحُمر

إن أي دارس للزوميات لا بدَّ أن يلحظ وقوع مؤلفها تحت تأثير الفلسفة الإغريقية، فكثير من المعاني والمفاهيم والآراء الواردة في أبيات الديوان، تبدو كأنها صدىً لتلك التي بشر بها كثير من اليونانيين، وعلى الأخص منهم سقراط[١] وزينون القبرصي الرواقي[٢] وفيثاغور، وديمقريطس، والكاتب التراجيدي يوربيدس، والفيلسوف المتشائم بيرون، ومبتدع الديالكتيك هيراقليطس، والكلبي ديوجينيس، وأبيقور وغيرهم أيضاً.

أخذ أبو العلاء من فيثاغور[٣] فكرة اقتران الفضيلة بالمعرفة والرذيلة بالجهل. وهذه الفكرة انطلق منها سقراط وزينون القبرصي مؤسس المدرسة الرواقية، كما تعلّم من هؤلاء الثلاثة سعة الأفق، والتسامح الديني والمذهبي، والإيمان بالعلم والعقل، وضرورة التماس المعرفة من مصادرها مهما كانت مباينة لمعتقداتنا التي ورثناها عن آبائنا. وهؤلاء الفلاسفة نادوا بضرورة تدريب أنفسنا على تحمل المشقات، والتحكم في الانفعالات، ومخالفة أهواء النفس، واعتقدوا بوجود الصراع داخل نفس الإنسان، وضمن الكون أيضاً، وصرحوا بوجود قوتين متعارضتين في الكون هما النور والظلمة رمز الخير والشر. وامتلك فيثاغور وديمقريطس وزينون وهيراقليطس أفكاراً علمية صحيحة عن تشكل الكون من ذرات متحركة لا تفنى أبداً، وإنما هي في حركة وتحول أبديين، وقالوا بأن الأرض والكواكب السبعة تدور حول الشمس،

---

(١) قبل الميلاد. Socrates 469 - 399 B.C.
(٢) قبل الميلاد. Zenon of Cyprns 340 - 264 B.C.
(٣) *قبل الميلاد. Pythagonas 560 - 480 B.C.*

wadod.org

وإن النجوم أيضاً هي أيضاً شموس، والشموس أيضاً تتكون من ذرات.

واطلع أبو العلاء على آراء ديمقريطس في الروح، فقد صرح هذا بأنها متشكلة من الذرات مثل الجسم ومن ثم فهي تفنى بفنائه، كذلك اعتقد ديمقريطس بأنه لا يوجد شيء اسمه الموت، فالجسد بعد الموت تختلط ذراته بذرات الكون الأخرى المحيطة به سواء في التراب أو في الهواء، والذرات لا تتوقف عن الحركة والتحول الأبدي إلى أشكال أخرى. ومن فيثاغور تعلّم أبو العلاء ضرورة لجم اللسان، ومنعه من التصريح بالمعلومات العلمية التي لا تهضمها عقول العامة لسذاجتها وبدائيتها. وترد في اللزوميات عشرات ومئات الأبيات التي تعكس كل هذه الأراء والمذاهب التي أشرنا إليها.

كذلك اطلع أبو العلاء على رأي ديمقريطس[1] العلمي في أن هناك أكواناً أخرى قد تكون فيها أشكال من الحياة مباينة لما نعرفه هنا على أرضنا. وقدم ديمقريطس تفسيراً علمياً صحيحاً عن درب التبانة. ومن أحب أقوال ديمقريطس إلى أبي العلاء، في ظني، قوله: «إنّ اكتشاف أحد أسرار الطبيعة أغلى عندي من تاج بلاد فارس».

سأورد فيما يلي أبياتاً من ديوان اللزوميات تعكس كل الآراء والأفكار التي أشرت إليها فيما سبق. مما يثبت شدة تأثر المعري بها، وتبدو كصدى لها في الواقع:

١ ـ في أن المادة لا تفنى، وإن الروح مثل الجسد مكونة من الذرات:

إذا كان ما قال الحكيم فما خلا ... زماني مني منذ كان ولا يخلو
أفرق طوراً ثم أجمع تارةً ... ومثلي في حالاته السدر والنَّخل
لا حسَّ للجسم بعد الروح نعلمه ... فهل تحس إذا بانت عن الجسد
إذا افترقت أجزاؤونا حُطْ ثقلنا ... ونحمل عبئاً حين يلتئم الشعب

٢ ـ أفكار ديمقريطس وهيراقليطس عن أسرار حركة المادة، وعن إمكانية وجود أكوان أخرى وأنواع أخرى من الحياة لا نعرفها:

إن لم يكن في سماءٍ فوقنا بَشَرٌ ... فليس في الأرض أو ما تحتها ملكُ
وجسمي شمعة والنفسُ نارٌ ... إذا حان الردى خمدت بأُفِ
والدهر أكوان تمر سريعةً ... ويكون آخرها نظير الأول
يجوز أن تطفأ الشمس التي وقدت ... من عهد عادٍ وأذكى نارَهَا الملَكُ
فإن خبتْ في طوال الدهر حمرتها ... فلا محالة من أن يُنقض الفلكُ

٣ ـ في ضرورة نبذ الخرافات والأساطير التي تتناقلها العامة وتؤمن بها على الرغم من مخالفتها للعقل والمنطق:

يتلون أسفارهم والحق يخبرني ... بأنَّ آخرها مَيْنٌ وأولَّها

(١) قبل الميلاد. Démochritus 460 - 370 B.C.

wadod.org

صـــدقـــت يـــا عقـــل فليبعـــد أخـــو سَفَـــهٍ صـــاغ الأحـــاديـــث إفكـــاً أو تـــأولَّهـــا
طـــال العنـــاء بكـــون الشخـــص فـــي أمـــمٍ تعـــد فـــريـــة غـــاويهـــا معـــولَّهـــا
وينفـــر عقلـــي مغضبـــاً إن تـــركتـــه ســـدى واتبعـــت الشـــافعـــي ومـــالكـــا

من هيراقليطس[١] تعلم أبو العلاء أن يستخدم الأسلوب الرمزي في التعبير عن آرائه. ولهذا ظلّ الدارسون يرفعون الشكوى من غموض نصوص الفيلسوف الإغريقي، والشاعر العربي. واضحٌ أن الاثنين تعمدا هذا الغموض وقصداه، تجنباً لسوء تأويلات العامة الجهلاء الذين لا يملكون روح التسامح ولا سعة الأفق، ولا يهضمون الأفكار العلمية الدقيقة، ولا يتحملون سماع الأفكار المخالفة لما اعتادوا عليه وورثوه عن الآباء والأجداد.

قال هيراقليطس بمبدأ «الجريان» أي أن الحركة والتغير هما أساس الكينونة، وقد عُرف هذا المفكر العظيم بمقولته الشهيرة: «إنك لا تستطيع دخول النهر ذاته مرتين»، ومن أهم آرائه التي تجلت في ديالكتيك الفيلسوف الكبير هيغل في العصر الحديث: «ليس ثمة شيء مستقل أو منفصل عما حوله، فكل شيء يتحول إلى شيء آخر في الكون. العناصر كلها مترابطة بعضها مع البعض. والصراع هو جوهر العالم وأساسه».

بين سيرة وشخصية هيراقليطس، وسيرة أبي العلاء وشخصيته، يُلاحظ تماثل غريب في بابه، فالفيلسوف الإغريقي كان رئيساً للكهنة في معبد بلدة «أفيس» في أيونيا القديمة «الأناضول» مما يسّر له الاطلاع على مصالح القوى المتنفذة، وخفايا أسرار المجتمع، كما هيأت له فرصة الاطلاع على ذخائر وكنوز العلم والمصنفات. و مثله نشأ المعري في أسرة قضاة، كان له هو نفسه منزلة روحية بين أبناء بلدته المعرة، فتوفرت له أيضاً فرصة الاطلاع على المجتمع وخفاياه وعلى نفيس المؤلفات، فضلاً عن التعرف بكبار المسؤولين وذوي الشأن في السياسة والثقافة والأدب. ومما يجمع الرجلين أيضاً التهاب المشاعر الوطنية في قلب كل منهما، فالفيلسوف الإغريقي نجح في استثارة حمية المواطنين فهبوا للدفاع عن بلادهم ضد الغزو الفارسي، وكذلك عُرف أبو العلاء بمشاعره القومية وحماسه للعروبة، ويضم ديوانه «سقط الزند» قصائد كثيرة هي خير شاهد على ذلك. وفي قصائده المعروفة «بالدرعيّات» يدافع بحرارة عن الدرع الذي هو رمز السلاح. ويحذر العرب من الاستغناء عنه لأنهم بذلك يعرضون أنفسهم وشرفهم للمذلة والهوان، وقد كان حماس المتنبي لعروبته وفخره بقومه العرب، أحد أهم أسباب افتتان المعري بشخصية هذا الشاعر العظيم.

ومما يجمع بين الفيلسوف الإغريقي، وشاعر المعرة: صفة التشاؤم الشديد والخارج عن الحدود. وكان هيراقليطس يلقب عند القدامى بالحكيم الباكي، ويعود تشاؤم هذين المفكرين إلى اكتشاف أسباب تعاسة الإنسان، إذ أدركا بأن الحياة البشرية مقرونة بالآلام والمآسي،

(١) قبل الميلاد. Heraclitus 540 - 475 B.C.

wadod.org

ولا خلاص للإنسان ما دام على قيد الحياة.

فيما يلي أقتطف من اللزوميات أبياتاً تجسد تأثر كاتبها بهيراقليطس:

الخير والشر ممزوجان ما افترقا ... فكل شَهْدٍ عليه الصاب مذرورُ
ما باختياري ميلادي ولا هرمي ... ولا حياتي فهل لي بعد تخيير
وفي كل شرٍ دعته الخطوب ... شواسع منفعةٍ أو دوائي
واللب حارب تركيباً يجاهده ... فالعقل والطبع حتى الموت خصمان

في سيرته والأهداف التي سعى إلى تحقيقها يبدو المعري رواقياً. والرواقية تنطلق من مبادىء سقراط الأخلاقية، فالفضيلة عنده صنو المعرفة، والرذيلة صنو الجهل، والفرد في المذهب الرواقي يتعين عليه أداء الواجب الملقى على كاهله أو الدور المخصص له في الحياة، فللجندي وظيفة، وللمرأة وظيفة، وللتلميذ وظيفة، وللمعلم وظيفة، وللحاكم وللقائد وللعامل وللفلاح، كل عليه تأدية الواجب الملقى على كاهله، إذا شاء اكتساب الفضيلة والفوز باحترام المجتمع له، وبعكس ذلك يفقد الفرد مكانته، ويعتبر شخصاً فاسداً أي غير فاضل، والأخلاق عند الرواقي تعني القدرة على التوازن، وتجنب التطرف في أي شأن من شؤون الحياة، والفضائل الرواقية تتضمن عشق الحقيقة، والصدق، والنزاهة، والأمانة، والقدرة على التحكم في أهواء النفس، وشهوات الجسد، وصون اللسان عن فحش القول. والرذيلة تشتمل على صفات الكذب، والغش، والنفاق، وارتكاب الجرائم، واقتراف المنكرات، وكل ما هو ضد الفضائل المشار إليها.

أقتبس فيما يلي بعض أبيات اللزوميات التي تعكس رواقية أبي العلاء:

تقواك زادٌ فاعتقد أنه ... أفضل ما أودعته في السقاء
فلتفعل النفس الجميل لأنه ... خيرٌ وأحسن لا لأجل ثوابها
أَغْنَى الأنام تقيٌّ في ذُرى جبلٍ ... يرضى القليل ويأبى الوشي والتاجا
وما سرني أني أصبت معاشراً ... بظلمٍ وإني في النعيم مخلّدُ

ومن عظماء الأدباء الأغريق الذين نجد لكتاباتهم صدىً في لزوميات المعري، التراجيدي يوربيدس[1] الذي تبدو شخصيته قريبة من شخصية أبي العلاء، فهو مثله رجل وقور، جادّ، كثير التأمل والتفكير، محب للعمل، مدافع عن العقل، حريص على التأليف والكتابة، وهو حاد الذكاء، لكنه شديد الحياء، ولذلك آثر العزلة، وتجنب الظهور دائماً أبداً. مثل أبي العلاء دافع يوربيدس عن الجماهير والضعفاء والنساء والأرقاء، لذلك هاجمته وارتعبت من أفكاره القوى الارستقراطية المتنفذة، حرصاً على مصالحها، فاتهمته بعدم التقوى والإلحاد. لقد كتبا في الواقع لعصر قادم، لم تكن شمسه قد هلّتْ بعد.

(١) Euripides 485 - 406 B.C. قبل الميلاد.

wadod.org

المستشرق نيكلسون تنبه للقرابة الغريبة بين المعري ويوربيدس، وأكدها.

مثل يوربيدس، اتُّهم أبو العلاء بمعاداة النساء استناداً إلى بعض أشعاره التي نصح فيها الرجال بعدم تعليم النساء الكتابة والقراءة، وتدريبهن، عوضاً عن ذلك، على الغزل والنسج والخياطة، والحال أنه أراد بذلك منح المرأة فرصة للاستقلال الاقتصادي الذي يمكن أن يحررها من استعباد الرجل لها، فالفقر والعوز يجعلان الإنسان واقعاً تحت رحمة الآخرين، ومتى تحرر الإنسان منهما، لم يتجاسر أحد على التحكم في مصيره. معلوم أن كون المرأة في المجتمعات المتخلفة عالة على الرجل، هو أحد أهم أسباب عبوديتها وسقوط منزلتها. يوربيدس شأنه شأن المعري، ترعض لعدم فهم معاصريه، فرموه بتهمة الرجعية وعداء النساء، والحال أن الاثنين كسبا إعجاب الدارسين في العصر الحديث الذين فهموهما أفضل مما فعل معاصروهما. واستطاعوا تأويل آثارهما بما تستحقه من تقدير واستحسان.

في اللزوميات عدد كبير من الأشعار التي تدافع عن حقوق المرأة دفاعاً رائعاً، حتى ليبدو أبو العلاء رائداً حقيقياً للحركات الأنثوية المعاصرة، وأورد من تلك الأبيات ما يلي:

قرانك ما بين النساء أذيةٌ ... لهن فلا تحمل أذاه الحرائر
كره الجهول بناته وسليلهُ ... أجنى لما يغتاله من صهره
فلا تدنُ من جاهلٍ آهلٍ ... إذا قطعوا خمسَهُ مادرى
أبى سيفه قتل أعدائه ... وساف وليدته أو هرى

ساف: ضرب بالسيف. هرى: ضرب بالهراوة.

أرى حبلاً حادثاً في النسا ... ء حَبْلَ أذاةٍ بهنَّ اتصل
فلا يتزوج أخو الأربعيـ ... ـن إلاّ مجربَةً كهله
علموهن الغزل والنسج والرد ... نَ وخلوا كتابةً وقراءه

طالب أبو العلاء بعدم تعليم المرأة خشية تعريضها لحسد قريناتها من النساء، ولمعاداة الرجال، وخوفهم من تفوقها عليهم، أو منعهم لهما من نشر آثارها إذا كانت ذات مواهب خاصة، فالمرأة المتعلمة في مثل مجتمعات ذلك العصر العبودي تخسر أكثر مما تربح في الواقع. خاصة لأن تعليم النساء كان قاصراً على الجواري!!

فإن أنت عاشرت الكعاب فصادها ... وحاول رضاها واحذرنَّ غضابها
إذا كانت لك امرأةٌ عجوزٌ ... فلا تأخذ بها أبداً كعابا
فإن كانت أقل بهاءً وجهٍ ... فأجدر أن تكون أقل عابا
وإن هجر المجاورُ فاهجُرَنْهُ ... ولا تقذف حليلته بهجر
أحسن جواراً للفتاة وعدَّها ... أخت السماك على دنوِ الدار

قد يقول قائل، إن ما زعمته من تأثر أبي العلاء بمسالك وسير وأفكار الكُتاب الاغريق هو مبالغة أو تجاوز للحقائق والوقائع. لأن أكثر المعاني والمفاهيم التي ترد في مقتبساتي من

wadod.org

شعر أبي العلاء يمكن ملاحظتها في مختلف القصائد العربية التي قيلت أثناء ازدهار الشعر العربي في العصر الوسيط، كما يمكن العثور على تلك المعاني في مؤلفات فلاسفة الإسلام مثل الفارابي وابن سينا والرازي وابن رشد وابن طفيل، إلخ... والحق أن هذا الاعتراض وارد تماماً، لكن المفارقة تكمن في أن الشعر العربي كله حتى في العصر الجاهلي متأثر جداً بتيارات فلسفية جاءت من الاغريق مباشرةً، ويمكن ملاحظة ذلك بوضوح في شعر النابغة وزهير وحتى في شعر حسان بن ثابت، أثناء الجاهلية. وقدزاد تأثير الفكر الإغريقي في أدبنا العربي أثناء فترة الازدهار الثقافي في عصر الرشيد والمأمون والواثق ثم العصر البويهي، ويكفي أن يراجع الإنسان مدائح المتنبي لابن العميد، على سبيل المثال لا الحصر، ليرى مدى تداول الفكر الإغريقي في الساحة الثقافية في ذلك العصر، ومعلوم أن الأدباء العباسيين الذي اتهموا بالشعوبية كانوا واقعين تحت تأثر الفكر الإغريقي، وكان تأثرهم بفلسفة «الأوائل» هو أحد المآخذ التي كان أعداؤهم يعيرونهم بها.

في مجال الفلسفة الإسلامية كان لأبي الرازي التأثير الأشد ظهوراً وقوة بين بقية الفلاسفة في فكر المعري؛ ويكاد الرازي يكون الفيلسوف العربي المسلم الأوحد الذي جاهر بأفكار غير مسموح بالنطق بها في الدولة العربية على مدى تاريخها، فقد آمن بأفكار ديمقريطس وأبيقور[١] الذرية، وكان شديد الإعجاب بالسفسطائيين[٢] في اعتقادهم بأن الناس هم الذين خلقوا آلهتهم على صورهم، وقال قائلهم: «لو كان للخيل لسان، لقالت إن الآلهة شبيهة بالخيول» وأعلن الرازي إنكاره للوحي وللنبوات، وله كتاب بعنوان «مخاريف الأنبياء» على أن الرازي لم يتجاسر أن يكتب آثاره هذه باللغة العربية. بل دونها جمعياً بالفارسية، أما ما كتبه بالعربية فمقتصر على الطب والكيمياء. في هذا تصرف الرازي كما سيتصرف بعده الشاعر الفارسي عمر الخيام. فقد كتب هذا مؤلفاته في الرياضيات والعلوم الفلكية بالعربية، في حين هجر العربية إلى الفارسية حين كتب رباعياته الشهيرة، وعن الفارسية نُقلت الرباعيات إلى لغات العالم الحديث.

وأما أبو العلاء، فإنه حين أراد المجاهرة بالآراء غير المقبولة دينياً، لجأ إلى الرموز والكتابات والمجازات وهو يعترف بذلك قائلاً:

لا تقيسنْ عليَّ لفظي فإني مثل غيري تكلمي بالمجازِ

ومع ذلك فإنه لم يسلم من تهجمات المتنفذين من النقاد وغيرهم. واللزوميات تفيض بالشكوى من هذه الحال، ويؤكد بعض الدارسين المحدثين أن أبا العلاء مات منتحراً، تخلصاً من ملاحقة الفاطميين له، حين واصل داعي الدعاة الفاطمي، الكتابة إليه طالباً منه بإلحاح

---

(١) قبل الميلاد. Epicurus 342 - 270 B.C.

(٢) السفسطائيون. The Sophists

شديد، أن يغير أسلوب عيشه، ويأكل لحوم الحيوان ويلبس جلودها مثل الناس مقابل هدايا ثمينة ورشاوي يمنحها الفاطميون. ويتضح من أجوبة أبي العلاء على تلك الرسائل، أنه كان مضطرباً لا يعرف كيف يدافع عن نفسه، ويجاهر برفضه ما يريده منه الفاطميون حكام مصر والشام. وهو الذي جاهد نفسه، وتحمل أعظم المشقة مدة نصف قرن من الزمان، على أن مسألة الانتحار غير مقبولة، فالشاعر الضرير كان يومذاك قد تجاوز الخامسة والثمانين، ولا بدَّ أن إلحاح ذلك السياسي، وإصراره على التدخل في أخص شؤون حياة الشاعر، قد زادت الشيخ تعباً وتشاؤماً ويأساً من الحياة، ومثل هذه المشاعر تكفي لوحدها في التعجيل بموت مَنْ كان في مثل عمره وحاله.

نختم حديثنا الطويل عن أبي العلاء، برأي المستشرق نيكلسون، الذي يقول: إن شاعر الرباعيات عمر الخيام، أخذ كثيراً من آرائه الطريفة واستقاها من لزوميات المعري، وبالفعل فإن أية مراجعة للزوميات، تؤكد صحة الرأي.

فيما يلي مقارنة سريعة بين أشعار الاثنين:

المعـري

١ ـ خفـف الـوطء مـا أظـن أديـم ... الأرض إلا مـن هـذه الأجسـاد
٢ ـ فـي العـدم كنـا وحكـم الله أوجـدنـا ... ثـم اتفقنـا علـى ثـانٍ مـن العـدم
٣ ـ وربُّـك عَـمَّ الـوهـد بـالـرزق والـربـى ... وأمطـر بـالمـوت العمـائـر والقفـرا

الخيـام

١ ـ بـرفـق طـأ التـراب، لأن مـا تضـع
عليـه قـدمـك قـد يكـون بـؤبـؤ
عيـن حسنـاء قضـتْ قبـل سنيـن
٢ ـ وُجُـودُك قـائـم بيـن عـدميـن، ومثـل العـدم
المحيـط بـك أنـت كـذلـك مجـرد عـدم
٣ ـ أنـت يـا إلهـي بسطـت الأرض
وكـورت السمـاء، لكنـك أنـت
أيضـاً الـذي أحـرق ودمـر القلـوب والنفـوس

wadod.org

المصادر والمراجع العربية

١ ـ لزوم ما لا يلزم. أبو العلاء المعري.
٢ ـ سقط الزند. أبو العلاء المعري.
٣ ـ زجر النابح. أبو العلاء المعري.
٤ ـ رسالة الغفران. أبو العلاء المعري. تحقيق: د. بنت الشاطىء.
٥ ـ تعريف القدماء بأبي العلاء المعري. د. طه حسين وجماعة من الأدباء.
٦ ـ الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري. آدم متز، ترجمة: محمد ع. أبو ريدة
٧ ـ مع أبي العلاء في رحلة حياته. د. بنت الشاطىء.
٨ ـ أبو العلاء المعري. هنري برلاين، ترجمة: محمد الهاشمي.
٩ ـ المدخل إلى الأدب العربي. هاملتون جب، ترجمة: كاظم سعد الدين.
١٠ ـ تاريخ الأدب العباسي. نيكلسون، ترجمة: د. صفاء خلوصي.
١١ ـ تاريخ الشعوب الاسلامية. كارل بروكلمان. ترجمة: عبد الحليم النجار.
١٢ ـ الفلسفة العربية عبر التاريخ. رمزي نجار. دار الآفاق الجديدة.
١٣ ـ الموسوعة الفلسفية المختصرة. ترجمة: فؤاد كامل وجماعة من المختصين.

المصادر والمراجع الانجليزية

1- Dictionary of Proper Names in Ancient Authors. By: Lempries - Revised By: F.Wright.
2- 100 Great Leves of Antiquity. By: J.Canning.
3- Writers of Rome. By: Wight Duff.
4- A Dictionary of Philosopy. By: Sosenthal- Moscow.
5- Wisdom of the west. By: Bertrand Russell.
6- Greek Thinkers. By: Theodor Gomperz.
7- A Student History of Philosopy. By: K.Rogers.
8- Five Stages of Greek Religion. By: G.Murray.

wadod.org

مصادر القاضي الجرجاني في كتاب الوساطة

د. [illegible] الدكتور [illegible] علي حيدر

المقدمة:

شُغلت بالوساطة وبمؤلفها مدة زادت عن خمس وعشرين سنة، أما الوساطة فقد شغلني النص لارتباطه بالمتنبي وبالحركة النقدية التي أثمرت مجموعة من المؤلفات كان كتاب الوساطة جزءاً منها، وبمرور الزمن وجدت أن هذا النص يفتقر إلى التحقيق العلمي لأسباب ليس هنا موضع ذكرها.

أما مؤلف الوساطة فقد دفعني إلى جمع ما تبقى من شعره لدواع ذكرتها في مقدمة ما جمعته من شعره[1]. وفي أثناء مراجعاتي كتاب الوساطة وقفت على الجهد الذي بذله القاضي الجرجاني في هذا الكتاب لغرض الوصول إلى الغاية التي سعى إلى تحقيقها، وهي الدفاع عن شعر المتنبي، وسماها «الوساطة بين المتنبي وخصومه». وكان من ثمرات تلك الملاحظات التي دونتها على هامش النص (المحقق) أن كثيراً من الجهد الذي ضمه كتاب الوساطة ما هو إلا ثمرات من قطوف اختارها المؤلف ممن سبقه في التأليف؛ سواء ما يتعلق بالمتنبي والحركة النقدية التي كان شعره محورها، أو ما يتعلق بالموضوعات النقدية والبلاغية، كموضوع السرقات الشعرية وغيرها.

وقد وجدت أن المصادر التي استعان بها القاضي الجرجاني تفوق كثيراً ما أشار إليه من أسماء الكتب والأعلام الذين استشهد بآرائهم في اللغة والأدب.

وكانت المحصلة مجموعة كثيرة من المصادر، بعضها ما وصل إلينا وأمكن معرفة ما أفاده القاضي منها وذلك من خلال المقارنة والموازنة، وبعضها اهتدينا إليها من خلال مصادر أخرى أسعفتنا في التوصل إلى ما أفاده القاضي منها بسبب السبق الزمني.

---

(١) نشر في مجلة المورد (مجلد ٨) العدد ٣ ـ ٢٠٠٠.

wadod.org

وقد استقر الرأي على تقسيم البحث على عنوانات تناولنا فيها أهمية الوساطة في الدراسات الأدبية والنقدية، وعناية الباحثين بالكتاب قديماً وحديثاً، ثم بيان أهمية البحث في مصادر القاضي الجرجاني في كتاب الوساطة، وما أغفله الدارسون في هذا الجانب، لكونه يخص قيمة الآراء التي عوّل عليها الدارسون في وضع كتاب الوساطة في المكتبة النقدية العربية بصورة خاصة، وأهمية الكتاب في المكتبة العربية لعلاقته بالجانب المنهجي العلمي في اعتماد المصادر وتوثيق النصوص.

ثم قسمنا المصادر على عنوانات هي: ما نقله من العلماء دون ذكر مصدر معين، وما أشار إليه من مصنفات في العلوم الأدبية دون نص على كتاب معين؛ كذكره ما ألف في أغاليط الشعراء وفي الضرورات الشعرية وفي أبيات المعاني، وذكره دواوين الشعراء وغير ذلك.

وذكرنا أسماء الكتب التي نص على عنواناتها دون تحديد ما أخذه القاضي منها وذكره بعض العلماء، وتوصلنا إلى مصدر ما أخذه من كتبهم، وخصص جانب من البحث للمصادر التي نقل عنها القاضي دون إشارة إلى النقل، سواء ما ذكره من أسماء بعض الكتب أم ما لم يذكره وصار جزءاً من الوساطة مما خفي على الدارسين الذين درسوا الوساطة، وهو الجانب المهم من البحث مما يميزه عن كل من كتب في موضوع (المصادر) إذ اكتفوا بأسماء الكتب التي ذكرت في المصنفات التي درسوها، مثل كتاب (المزهر) و(يتيمة الدهر) وغير ذلك، فالجانب المهم من هذا البحث يتصل بالموارد الخفية في كتاب الوساطة من جهة، ويتصل بالمنهجية العلمية في التأليف مما نحرص عليه اليوم في توثيق النصوص وحفظ الجهود التي بذلها الآخرون من جهة أخرى.

كتاب الوساطة ومصادره في الدراسات النقدية والأدبية:

حظي كتاب الوساطة بأهمية كبيرة عند دارسي الأدب والنقد، لعلاقته بالمتنبي وبالحركة النقدية التي شهدها القرن الرابع الهجري، ودار محورها حول شخصية المتنبي وشعره، وتعدت شهرة الوساطة لتمثل موضوعات النقد العربي، والبحث في أصالته وعلاقته بالنقد العربي الحديث.

وقد أثنى الثعالبي من القدماء على كتاب الوساطة بقوله:

«ولما عمل الصاحب رسالته المعروفة في إظهار مساوىء المتنبي، عمل القاضي أبو الحسن كتابه (الوساطة بين المتنبي وخصومه في شعره) فأحسن وأبدع وأطال وأطاب، وأصاب شاكلة الصواب، واستولى على الأمر في فصل الخطاب، وأعرب عن تبحُّره في الأدب وعلم العرب، وتمكنه من جودة الحفظ، وقوة النقد، فسار الكتاب

wadod.org

مسير الرياح، وطار في البلاد بغير جناح...»[١].

وفي هذا الثناء إشارة إلى ثقافة القاضي الواسعة ومراجعته العلوم التي تتصل بالأدب ونقده، مما جعله مشهوراً، فما يذكر المتنبي إلا وذكرت معه الوساطة.

وظلت شهرة الوساطة ومؤلفها إلى يومنا هذا، فالوساطة والموازنة يعدان أشهر كتابين في النقد العربي لاقترانهما بأشهر شعراء العربية أبي تمام والبحتري والمتنبي، ولذلك كانت نصوص الوساطة تذكر في كل الدراسات التي أرخت للنقد العربي، وتناولت موضوعات النقد العربي القديم، وفي ذلك يقول الدكتور محمد مندور: «وفي كتابه صفحات لا يستطيع العلماء المعاصرون أن يكتبوا خيراً منها»[٢].

وقد كان هذا الإطراء على الوساطة وصاحبها شاغل الدارسين، فلأنَّ الوساطة كتاب في النقد الأدبي سعى الباحثون إلى تبريز أهمية الكتاب، ولم يشيروا إلا إشارات عابرة إلى مصادر القاضي دون تفصيل في ذكرها، فالصمت عن ذكر مصادر القاضي هو الغالب على كلِّ ما كُتب في الوساطة ومكانتها في تأريخ النقد العربي. ومن تلك الإشارات العابرة قول د. محمود الربداوي: «إن أكثر الأمثلة التي ساقها الجرجاني في الاستشهاد على مذهب أبي تمام البديعي كانت قد نوقشت قبله، وقد تجادل فيها أنصاره وخصومه منذ أكثر من قَرْن، فليس في نقده شيء جديد، وهو ينتزع أمثلة من كتب معروفة ولكنه لا يصرح بهذا الانتزاع، وقد كان الآمدي أكثر أمانة في هذا القبيل»[٣].

فالنص لا يذكر شيئاً من تلك المصادر، وإذا كان يعني بذلك كتاب الموازنة، فليس كتاب الموازنة إلا قطرةً من بحر تلك المصادر التي استقى منها القاضي مادة كتابه.

وعندما تناول الدكتور جعفر الكتناني في مقدمة تحقيق «حلية المحاضرة» لأبي علي الحاتمي (٣٨٨هـ) «حركة التأليف في السرقات الشعرية» قال: «كتب الأدباء الدارسون في السرقات الأدبية مصنفاتٍ متعددة قبل الحاتمي وبعده، وكتاب الآمدي / ت ٣٧٠هـ/ ـ الموازنة ـ من أهم الكتب منهجية، وفي مقدمة كتب النقد المعروفة، ولكن مصنفات أخرى ذكرها القاضي الجرجاني / ٣٩٢هـ/ ـ في الوساطة ـ لم تصلنا...»[٤].

والواقع أن ما ذكره القاضي من كتب السرقات الأدبية فيما يخص شعر أبي تمام سبق أن ذكره الآمدي في موازنته، كما سيأتي ذكره، فالنص لا يكشف جديداً في مصادر

(١) . يتيمة الدهر للثعالبي: ٤/ ٣ وينظر: معجم الأدباء ١٤/ ١٤.
(٢) النقد المنهجي عند العرب للدكتور محمد مندور: ص ٢٥١.
(٣) الحركة النقدية حول مذهب أبي تمام: ص ٢٨٥.
(٤) حلية المحاضرة: ١/ ١٠٣.

wadod.org

القاضي الجرجاني.

وعلى الرغم من أن الدكتور عبده قلقيلة قد كتب أطروحته لنيل الدكتوراه في «القاضي الجرجاني والنقد الأدبي»[١]. فهو لم يتناول مصادر القاضي في كتابه الوساطة، واكتفى باستعراض ما أُلف في النقد قبل الوساطة، دون أن يظهر أثر ذلك في الوساطة نفسها، بل اكتفى بذكر المؤلفات لوضع الوساطة في مكانها، من حيث الزمن ودواعي التأليف، إلا ما ذكره فيما يخص أثر كتاب «الكشف عن مساوىء شعر المتنبي» للصاحب بن عباد (٣٨٥هـ) ولعل ذلك بسبب كون الوساطة قد ألفت رداً على كشف الصاحب كما ذكر الثعالبي وغيره من مؤرخي الأدب. ومن هنا يكون التوصل إلى معرفة (المكتبة) التي استعان بها القاضي الجرجاني في تأليف (الوساطة) جهداً يعتمد الموازنة والمقارنة والتتبع في كل ما ألف قبل كتاب الوساطة وبضمنه الكتب التي عاصر مؤلفوها القاضي وثبت سبقها الزمني في التأليف، الأمر الذي يضع كتاب الوساطة في موضعه الصحيح من حركة التأليف، ويحدد حجم ما استعاره القاضي الجرجاني من غيره، سواء أكان ذلك في حقل اللغة أم الأدب، فضلاً عن مرويات شفاهية، ونقول: خفي على الباحث معرفة مصادرها ربما لضياع تلك الأصول. وقد أعانتنا كتب المتأخرين في معرفة بضع المصادر وما لم نتوصل إليه يبقى لدارسين آخرين ما يضيفونه لتلك المصادر، (وفوق كلِّ ذي علمٍ عليمٌ).

مصادر القاضي الجرجاني بين التصريح والتلميح والإغفال:

اعتمد القاضي الجرجاني مكتبة كبيرة في تأليف كتاب «الوساطة» وقد ذكر النزر اليسير من أسماء الكتب، سواء منها ما أخذه نصاً أو تصرف به، أم ما ألمع إلى النقل عنه بذكر اسم المؤلف دون النص على الأخذ منه، وما لم يذكره القاضي من تلك المصادر كثير جداً.

إن مسألة ذكر المصادر أو إغفال ذكرها يدخل ضمن منهجية البحث والأمانة العلمية، وقد يكون ذلك دَيْدَنَ بعض المؤلفين الذين سبقوا القاضي أو جاؤوا بعده، فنحن نلاحظ أن طبيعة التأليف في تلك المرحلة تظهر أن المؤلفين ينقلون عن أسلافهم دون ذكر من ينقلون عنهم، وقد لاحظت عند أبي هلال العسكري (٣٩٥هـ) في كتابه «الصناعتين» وعند ابن الأثير في «المثل السائر» (٦٣٧هـ) مثلاً ولكن هذا الأمر يظلُّ سمة من سمات التأليف عند المتأخرين كالسيوطي والبغدادي وغيرهما، مما أمكن جمع نصوص بعض

(١) طبع في الهيئة العامة للكتاب ـ مصر ١٩٧٣.

wadod.org

المؤلفات الضائعة من هذه الكتب، ولولا ذلك لما أمكن الباحثين من التوصل إلى معرفة تلك النصوص.

وقد أمكننا توزيع مصادر القاضي الجرجاني على عنوانات تكشف سعة اطلاع القاضي الجرجاني؛ سواء أكان ذلك مما أخذه مباشرة من مصدر محدد، أم كان اعتماده فيه على حفظه، وفي الوقت نفسه تمكّنا من فرز أفكار القاضي الجرجاني والنتائج التي توصل إليها بنفسه، عن الأفكار التي توصل إليها السابقون، وضمنها القاضي كتابه، وهذا الأمر يحدد قيمة جهود القاضي ويدخل في قضية الأصالة والابتكار في حقل التأليف، ولعلّ فيما سنذكره من تفصيل هذه المصادر قيمةً، فيما يتعلق بالحكم على مكانة القاضي وأهمية الوساطة والنتائج التي ستترتب على تقويم جهد القاضي؛ سواء أكان ذلك في مجال النقد الأدبي، أم في مجال الحكم على أسلوب الكاتب في العرض والتحليل.

وسنبدأ في ترتيب هذه المصادر من العلماء الذين ذكرهم القاضي في وساطته، ثم ننتقل إلى الكتب التي ذكرها ونقل عنها وأغفل ذكرها، وأخيراً نذكر مروياته ومشاهداته.

أولاً: النقل عن العلماء دون ذكر مصادر النقل:

أ ـ من نقل عنهم القاضي وأمكننا معرفة مصادر نقله:

١ ـ الفـراء (٢٠٧هـ):

ذكر القاضي الجرجاني اسم الفراء مرات معدودة في الوساطة، وأكثر نقله من كتاب «معاني القرآن». من ذلك احتجاجه لاستعمال المتنبي اتصال الضمير بـ (إلا) في قوله:

ليـــس إلاك يـــا علـــيُّ همـــام سيفـــه دون عِـــرضـــه مسلـــولُ[1]

فقد وصل الكاف بـ (إلا) والقياس (ليس إلا إياك) وقد جاء في القرآن قوله تعالى: ﴿ضلّ من تدعون إلاّ إياه﴾ [الإسراء: ٦٧].

قال القاضي: »وقد روى الفراء بيتاً عن العرب احتج به أبو الطيب واحتذى عليه:

فمـــا نبـــالـــي إذا مـــا كنـــت جـــارتنـــا ألا يجـــــاوزنـــــا إلاك ديـــــار

وأضاف: «وأنا أرى ألا يطالب الشاعر بأكثر من إسناد قوله إلى شعر عربي منقول عن ثقة وناهيك بالفراء»[2]. والشاهد الذي احتج به القاضي أخذه من (معاني القرآن) للفراء، غير أنه سقط من النسخة المطبوعة من (المعاني) وهذه الإشارة يدعمها نصٌ

(١) العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب: لليازجي ص ٤٥٩. قال في شرحه: «إلاّك أي إلاّ إيّاك فوصل الضمير وهو من الضرورات الواردة في الشعر القديم».

(٢) الوساطة: ٤٥٧.

wadod.org

مشابه أورده البغدادي في الخزانة[١].

ومما نقله القاضي عن الفراء دون نص على (معاني القرآن) قوله معقباً على إنكار المنتقدين استعمال المتنبي الفصل بين المضاف والمضاف إليه في قوله:

حملت إليه من ثنائي حديقة سقاها الحيا سقي الرياض السحائب[٢]

قال القاضي: «وقد أجاز الفراء هذا وأنشد فيه»:

ترى الثور فيها مدخل الظلِّ رأسه وسائرهُ بادٍ إلى الشمس أجمع

والرواية المشهورة رأسه ـ بالنصب[٣] ـ والبيت من شواهد الفراء في معاني القرآن[٤].

أما الوضع الثالث الذي احتج فيه القاضي بشواهد الفراء فهو ما ذكره في تعقيبه على منتقدي المتنبي في إلحاقه الهاء بـ (قلباه) في قوله:

واحرَّ قلباه ممن قلبه شبم ومن بجسمي وحالي عنده سَقَمُ[٥]

فألحق الهاء في قلباه، قالوا: وإنما تلحق في الوقف لخفاء الألف فتبين بهاء فإذا وصلت حذفت. ثم قال: «وهذا هو الأكثر عند العرب، والاختيار عند النحويين، غير أنه ليس على الشاعر من عيب في إتباع اللفظة النادرة إذا رواها الثقات، ومتى وجدت الرواية عن ثقة لم يحظر على الشاعر قبولها، والعمل بها لأجل اختلاف النحويين، وقد أجاز الفراء وغيره إلحاق هذه الهاء في الوصل وورد فيه:

يا ربِّ يا ربَّاه إياك أسل عفواً أيا ربَّاه من قبل الأجل[٦]

---

(١) قال البغدادي: «وهذا البيت أنشده الفراء في تفسيره ولم يعزه إلى أحدٍ». الخزانة: ٥/٢٧٨ الشاهد ٣٨٤ وما ذكره القاضي يصحح ما ورد في هامش عبد السلام هارون على الخزانة في قوله: «لم يرد هذا الشاهد في سورة نوح عند كلمة ديار» فلعله سقط من النسخة المطبوعة من معاني القرآن، ويدل كلام القاضي الجرجاني على أن الفراء أورد الشاهد في تفسير الآية من سورة الإسراء في قوله تعالى: ﴿ضلَّ من تدعون إلا إيَّاهُ﴾ وليس في سورة نوح في كلمة (ديَّار) كما ذهب إليه الأستاذ عبد السلام هارون وفي نقص المطبوع من (معاني القرآن) للفراء راجع بحث د. أحمد خطاب عمر (تقويم كتاب معاني القرآن للفراء) في المورد: مج١٧/ع٤/١٩٨٨ من ٣ ـ ١٤.

(٢) العرف الطيب: ٢٤٣. قال الشارح: «قد م وأخَّر وهو من شواذ الاستعمال».

(٣) الوساطة: ٤٦٤ ـ ٤٦٥.

(٤) معاني القرآن: ٢/٨ والبيت من شواهد سيبويه ١/١٨١ على سعة الكلام وهو من شواهد (القلب) عند ابن قتيبة في (تأويل مشكل القرآن) ١٤٨.

(٥) العرف الطيب: ٣٤١.

(٦) الوساطة: ٤٦٣.

wadod.org

والبيت مذكور في (معاني القرآن) للفراء[١].

وثمة شواهد أُخر وجدنا أصولها عند الفراء غير أن القاضي لم ينص على الأخذ منه[٢].

٢ ـ ابن قتيبـــه (٢٧٦هـ):

ذكر القاضي الجرجاني ابن قتيبة مرة واحدة في الوساطة، فقد نقد القاضي مهلهلاً بن يمون ثم قال: «وشبيه بهذا ما زعم ابن قتيبة في قول هَدْبة... أنه مأخوذ من قول تأبط شراً...»[٣]. ولم يذكر القاضي مصدر كلام ابن قتيبة، وقد وجدناه في كتابه «الشعر والشعراء»[٤].

٣ ـ الصولـي (٣٣٥هـ):

ذكره مرة واحدة في معرض النقد إذ قال: وهذا كما زعم الصولي أن قول البحتري:

علـيّ نحـتُ القـوافـي مـن أمـاكنهـا ... ومـا علـيَّ إذا لـم تفهـم البقـر

مأخوذ من قول أبي تمام:

لا يـدهمنـك مـن دهمـائهـم عـددٌ ... فـإن أكثـرهـم أو جلُّهـم بقـر

ثم قال منتقداً إياه: «هذا مع اتساعه في الدعاوى، وتحققه عن نفسه بنقد الشعر، وادعائه أن أحداً لم يسبقه إلى هذا العلم، وأنه طريق لم تسلك قبله، وباب لم يزل مستغلقاً حتى افتتحه، كأن لم يعلم أن العقلاء منذ كانوا يسمون البليد الغبي حماراً أو بقرة»[٥]. وهو في نقده يجاري صاحب الموازنة في نقده الصولي[٦].

---

(١) معاني القرآن: ٢/ ٤٢٢ والبيت في (إصلاح المنطق) ص ٩٢ ونسبه البغدادي في الخزانة ٢/ ٣٨٧ و ١/ ٤٥٧ إلى عروة بن حزام، ولم أجده في شعره الذي جمعه د. إبراهيم السامرائي وأحمد مطلوب، بغداد ١٩٦١.

(٢) ينظر بيت (نقيع بن جرموز) في الوساطة ص ٨ ومعاني القرآن ٢/ ١٧٦ (ونوادر أبي زيد: ١٨) والمؤتلف للآمدي ص ٣٠٠. قال: «ذكره ابن الأعرابي في نوادره» وينظر أيضاً بيت النابغة الجعدي في الوساطة ٤٦٩ ومعاني الفراء ١/ ٩٩ و١٣١ وتأويل مشكل القرآن ص ١٩٩.

(٣) الوساطة: ٢١٣.

(٤) الشعر والشعراء: ٢/ ٦٩٤.

(٥) الوساطة: ٣٤٧ ـ ٣٤٨ وكلام الصولي في أخبار أبي تمام ص ٥٠ ـ ٥١.

(٦) ينظر الموازنة: ١/ ٢١٦ على أن الآمدي في الموازنة ١/ ٣٢٣ ينسب القول إلى (علي بن يحيى المنجم) وبذلك نقل الآمدي والصولي عن المنجم المتوفى سنة ٢٧٥هـ وقد نسب إليه كتاب في أخبار الشعراء بعنوان (البارع) وينظر: علي بن يحيى المنجم للدكتور يونس أحمد السامرائي، مجلة المجمع العلمي العراقي. ج٣٦ ع١، ١٩٨٥، ص ٢٠١ ـ ٢٦١.

wadod.org

ب ـ العلماء الذين نقل عنهم ولم نتمكن من تحديد مصادر النقل:

١ ـ الأصمعي:

ذكر القاضي الجرجاني الأصمعي في ستة عشر موضعاً في الوساطة، وأكثر القول عن الأصمعي أخبارٌ وروايات في اللغة وموازنات بين الشعراء.

من ذلك نقله قول الأصمعي في الكميت: جرمقاني من جراميق الشام لا يحتج بشعره، وما أنكره من شعر الطرماح، ولحن فيه ذا الرمة[١].

وبعض الأخبار المسندة إلى الأصمعي وردت منقولة عن سيبويه في كتابه، قال سيبويه: «وسمعت من العرب من يقول: (الاتا، بلى فا) فإنما أرادوا ألا تفعل وبلى فافعل»[٢]. أما القاضي فقد أورد ذلك بقوله: «وقد حكى الأصمعي...»[٣].

وهي الرواية التي ذكرها المبرد في (الكامل)[٤] ونقلها عن الأخفش الصغير في هوامشه على نوادر أبي زيد[٥]. ويبدو أن بعض ما نقله القاضي عن الأصمعي مصدره الموازنة للآمدي من نحو قوله: «وأنشد الأصمعي لبعض باهلة»[٦]، فقد ورد بالنص في كتاب «الموازنة»[٧].

٢ ـ أبو عبيدة (٢١٠هـ):

ذكره القاضي أربع مرات نص في إحداها على أنه ينقل عن (مجاز القرآن). أما المواضع الثلاثة فقد تضمنت حكاية أو إنشاد شعر.

من ذلك «حكى أبو عبيدة وغيره...» و«زعم أبو عبيدة عن أبي الخطاب أن أبا نخيلة قال...» و«أنشد أبو عبيدة...»[٨]. ويصعب في الوقت الراهن معرفة مصادر هذه المواضع وذلك لجهلنا بمصير كتبه[٩].

٣ ـ الجاحظ (٢٥٠هـ):

ذكره القاضي في موضعين في الوساطة، الأول قوله: «وأنشد الجاحظ

---

(١) الوساطة: ص ١٠.
(٢) الكتاب: ٢/ ٣٢١.
(٣) الوساطة: ٤٥٤.
(٤) الكامل (ط بيروت) ص ٢٤٥.
(٥) النوادر: ٣٨٨.
(٦) الوساطة: ٤٠١.
(٧) الموازنة: ٢/ ١٦.
(٨) ينظر: الوساطة: ١٩٢ و ١٩٤ و ٤٦٥.
(٩) ينظر: (مؤلفات أبي عبيدة). إعداد الدكتور ناصر حلاوي: المورد: مج٣/ع٤/ ١٩٧٤ ص ٢٥٥ ـ ٢٦٠.

wadod.org

لبعضهم»[١] والآخر «وحكى الجاحظ عن بعض العلماء. . .»[٢].

ولم يتيسر لي العثور على ذلك في كتب الجاحظ التي راجعتها، غير أن ثمة مواضع في الوساطة وجدت أصولها في كتب الجاحظ دون إشارة وسنذكرها في موضعها من البحث. فضلاً عن ذلك ذكر القاضي أسماء طائفة من العلماء دون أن ينقل عنهم، منهم: خلف وأبو عمرو الشيباني والأخفش الأكبر والمفضل الضبي وغيرهم[٣].

ثانياً: المصادر التي اعتمدها القاضي الجرجاني في الوساطة:

وهذه المصادر يمكن توزيعها على العنوانات الآتية:

أ ـ مصادر ذكرها القاضي ونقل منها.

ب ـ مصادر ذكرها ولم ينقل منها.

جـ ـ مصادر نقل منها دون ذكرها صراحة.

د ـ نصوص نقلها القاضي عن مصادر دون إشارة إليها.

هـ ـ مصادر أخرى أشار إليها إشارات عابرة.

أ ـ مصادر ذكرها القاضي ونقل منها:

١ ـ كتاب النوادر لأبي زيد الأنصاري (٢١٥هـ):

ورد اسم أبي زيد في ستة مواضع في الوساطة، ونص في موضع منها على النقل عن النوادر وذلك في معرض دفاعه عن المتنبي في استعمال حذف النون من و(تكنْ) وبعدها (أل) التعريف، وعند القاضي أن ضرورة الشعر تجيز حذف النون مع الألف واللام، ثم قال: «وقد حكاه أبو زيد عن العرب في كتابه المعروف بكتاب النوادر وأنشد فيه لحُسيْل بن عُرْفُطَة. . . ثم قال: «وأبو زيد ثقة والرواية عن العرب حجةٌ. . .»[٤]. واستشهد بكلام أبي زيد في بعض القضايا اللغوية نحو (ثاب وأثاب)[٥]. وقول العرب الأترج والترنج قال: «حكاها أبو زيد وذكرها ابن السكيت في أدب الكاتب»[٦]. أما المواضع الباقية فتتعلق بإنشاد شعر وكلام على بيت شعر[٧].

---

(١) الوساطة: ٤٠٠ و ٣٨٧.

(٢) الوساطة: ٤٠٠ و ٣٨٧.

(٣) الوساطة: ٥٥ و ٤٥٧ و ١٩٤.

(٤) الوساطة: ٤٤١ وينظر النص في النوادر ص ٢٩٦ وينظر الخزانة ٩/ ٣٠.

(٥) الوساطة: ٤٤٠.

(٦) الوساطة: ٤٧٠ ولم أجد (ثاب وأثاب) في النوادر ولا في كتاب (الهمز) الذي نشره لويس شيخو في مجلة المشرق وينظر: أدب الكاتب لابن قتيبة ص ٢٩٠.

(٧) الوساطة: ص ٧ والنوادر ص ٢٥٨ والوساطة ٤٦٣ ولم أجده في النوادر.

wadod.org

وقد ينقل القاضي مباشرة عمن نقل عنهم أبو زيد؛ كنقله إنشاد شعر عن المفضل، والأصل في كتاب النوادر لأبي زيد[١].

٢ ـ أدب الكاتب لابن السكيت (٢٤٤هـ):

ورد ذكره في كلام على استعمال المتنبي لفظة (ترنج) في شعره وذكر من انتقده أن المستعمل عند العرب «الأترج» قال القاضي: أن «تُرُنْج» حكاها أبو زيد وذكرها ابن السكيت في أدب الكاتب»[٢] ولم أجد اللفظة في كتاب الألفاظ[٣] لابن السكيت، والذي ذكره ابن السكيت في (إصلاح المنطق) (الأترجة) قال: والأترنج لغة ولم[٤] يذكر لفظة (التُّرنج) التي استعملها المتنبي في بيته وهو قوله:

شديد البعد من شرب الشمول تُرنْجُ الهند أو طلع النخيل[٥]

وورد في موضع ثان من الوساطة كلام للقاضي على استعمال المتنبي لفظة (سُداس) وسيأتي ذكرها عند الكلام على كتاب (الإبل) لأبي حاتم السجستاني.

٣ ـ كتاب «الإبل» لأبي حاتم السجستاني (٢٥٥هـ):

ذكر القاضي استعمال المتنبي لفظة (سداس) في قوله:

أحادٌ أم سُداسٌ في أُحادِ لُيَيْلَتُنا المنوطة بالتنادي[٦]

وأن المنتقدين زعموا أن المستعمل في اللغة أُحاد إلى رُباع، وأنها ألفاظٌ معدولة يوقف بها على السماع، ثم ذكر القاضي: «أنه قد جاء عن العرب خُماس وسُداس إلى عُشار، حكاه أبو عمرو الشيباني وابن السكيت، وذكره أبو حاتم في كتابه الإبل»[٧].

أما كتاب «الإبل» لأبي حاتم فلم يصل إلينا لمعرفة ذكره (سُداس)[٨] وأما ابن

---

(١) الوساطة: ص ٧ والنوادر ص ١٦٨.

(٢) الوساطة: ٤٧.

(٣) كتاب الألفاظ لابن السكيت نشره لويس شيخو سنة ١٨٩٥م.

(٤) إصلاح المنطق: ١٧٨ واترُنْج واتْرُج وتُرُنْج: لغات بمعنى واحد. ينظر: مجلة معهد المخطوطات العربية مج٣٣/ج١/ ١٩٨٩ ص ١٣٢ (ذكر معاني أبنية الأسماء الموجودة في المفصل لابن مالك. تحـ د. عبد الإله نبهان.

(٥) العرف الطيب: ٣٥٦ والوساطة: ٤٧٠.

(٦) العرف الطيب: ٧٩.

(٧) الوساطة: ٤٥٧.

(٨) ينظر: مؤلفات أبي حاتم السجستاني/ د. خليل العطية (مجلة الكتاب) ـ بغداد ـ ص٩ ع٤ نيسان ١٩٧٥ ص٤٨. ومقدمة كتاب (فعلت وأفعلت) تحـ د. خليل العطية/ البصرة ١٩٧٦. وذكر محقق النظام لابن المستوفي د. خلف رشيد نعمان في الجزء السابع هامش ص ٧٧ «قال أبو الفتح في كتاب الفَسْر الروقة ب/ ٣٣٥: ورأيت أبا حاتم قد حكى في كتاب الإبل... يقال أُحَاد إلى عُشَار...» وقد يكون القاضي أخذ=

wadod.org

السكيت فقد أورد (سداس) في كتابه «الألفاظ»[١].

٤ ـ كتاب «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (٢١٠هـ):

بعد أن فرغ القاضي من تقرير مادة (سداس) ومن ذكرها من اللغويين كأبي عمرو الشيباني وابن السكيت وابن حاتم السجستاني قال: «وزعم أبو عبيدة في (المجاز) أنه لا يعلمهم قالوا فوق رباع». ثم قال: «وهؤلاء ثقات لم يحكموا إلا ما علموا، وقد جاء ذلك في الشعر. قال الكميت... إلخ»[٢] والشعر الذي أشار إليه القاضي موجود في (مجاز القرآن لأبي عبيدة) وهو قوله عند ذكر الآية: ﴿**مثنى وثلاث ورباع**﴾ [النساء: ٣ ـ فاطر: ١]. «مجازه اثنين وثلاثة وأربعة فزعم النحويون أنه مما صرف عن وجهه لم ينون فيه». قال صخر بن عمرو:

ولقد قتلتكم ثُناءَ ومَوحداً وتركت مرة مثل أمس الدابر[٣]

وليس في هذا النص قطع على عدم استعمال العرب صيغة (فُعَال) فوق (رُباع) إلى عُشار وقد يكون فهم القاضي مبنياً على ما عُرف عن أبي عبيدة من تشدّده في اللغة.

٥ ـ الغريب المصنف/ لأبي عبيدة القاسم بن سلاَّم (٢٢٣هـ):

ذكر القاضي الجرجاني في كلامه على (ثاب) و(أثاب) قال: «وقد حكاه عنه ـ عن أبي زيد ـ أبو عبيد في الغريب المصنف، وحكى غيره: «ثاب وأثاب» بمعنى واحد[٤].

ب ـ مصادر ذكرها ولم ينقل منها:

١ ـ شعر الهذليين:

قال القاضي معقباً على أبيات شاعر هذلي، «وهذه في شعر الهذليين أبيات لم يرو لشاعر غيرها»[٥].

٢ ـ ديوان أبي نواس بشرح ابن السكيت:

قال القاضي: «وهو الشيخ المقدم يعني أبا نواس ـ والإمام المفضل الذي شهد له

= ذلك من الفَسْر.

(١) تهذيب الألفاظ: ص ٥٩٠.

(٢) الوساطة: ٤٥٧.

(٣) مجاز القرآن: ٢/ ١٥٢.

(٤) الوساطة: ٤٤٠، ولم يتيسر لي مراجعة نص أبي عبيدة في الغريب المصنف لعدم توافره، على الرغم من علمي بأنه حقق عدة مرات «نشرة أخبار التراث ١٣/ ١٩٨٤ ص ١٦».

(٥) الوساطة: ١٦١.

wadod.org

خلف وأبو عبيدة والأصمعي وفسر ديوانه ابن السكيت»[١].

٣ ـ ديوان الاقيشر:

قال القاضي: «وأنا أرتاب بأبيات الاقيشر، فإنها لا تشبه شعره، ولم أرها في ديوانه»[٢].

جـ ـ مصادر نقل منها دون ذكرها صراحة:

وهذه المصادر تشمل كتب السرقات الشعرية، وقد أجمل القاضي الكلام عليها في قوله: «ومتى طالعت ما أخرجه أحمد بن أبي طاهر، وأحمد بن عمار من سرقات أبي تمام، وتتبعه بشر بن يحيى على البحتري، ومهلهل بن يموت على أبي نواس، عرفت قبح آثار الهوى. . .»[٣].

فالقاضي في هذا النص لم ينص على أسماء كتب هؤلاء، ويمكننا تفصيل ذلك فيما يأتي:

يتضمن نص القاضي إشارة إلى مجموعة من الكتب والرسائل التي ألّفها بعض الأدباء النقاد في سرقات الشعراء وهي:

(أ) ـ سرقات أبي تمام من البحتري لأحمد بن طاهر الملقب بـ (طيفور) صاحب كتاب (بلاغات النساء) (ت ٢٨٠هـ) وله رسالة أخرى عنوانها (سرقات النحويين من أبي تمام) ذكرها ابن النديم في مصنفات ابن أبي طاهر[٤].

وفي الموازنة نقولٌ من كلام ابن أبي طاهر[٥]، وقد نقل القاضي نصوصاً منها وعلق عليها[٦]، وكان الصولي قد نقل عن ابن أبي طاهر نصوصاً تتعلق بأبي تمام[٧].

(ب) ـ سرقات أبي تمام لأحمد بن عمار (٣١٩هـ)[٨]. وفي الموازنة نصوص من

---

(١) الوساطة: ٥٥.

(٢) الوساطة: ١٩٨.

(٣) الوساطة: ٢٠٩.

(٤) الفهرست: ١٤٦. وينظر معجم الأدباء ١/ ١٥٥.

(٥) الموازنة: ١/ ١١١ ـ ١١٢.

(٦) الوساطة: ٢١٢.

(٧) أخبار أبي تمام ٤٧ ـ ١٤٧، ٢١٦، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، وينظر الحركة النقدية حول أبي تمام للربداوي، الفصل الثالث (النقد عند الكتاب/ص ٩٨ ـ ١٠٢).

(٨) ابن عمار هو أبو العباس أحمد بن عبيد الله بن محمد بن عمار القطربلي المعروف بالعزيز. انظر: تاريخ النقد. د. إحسان ١٤٨ ـ ١٤٩ والموازنة ١/ ١٤.

wadod.org

هذه الرسالة[١] وقد ذكرها القاضي في الوساطة ونقدها[٢].

(جـ) ـ ولأبي الضياء بشر بن يحيى النصيبي من نقاد القرن الرابع الهجري كتابان في السرقات، أحدهما في سرقات البحتري من أبي تمام، والآخر كتاب السرقات الكبير، لم يتمه[٣]، وفي الموازنة نصوص من رسالة بشر بن يحيى في سرقات البحتري من أبي تمام، منها ذكره بيت البحتري:

علـيَّ نحـتُ القـوافـي مـن مقـاطعهـا ... ومـا علـيَّ إذا لـم تفهـم البقـرُ

وقوله أنه مأخوذ من قول أبي تمام[٤]:

لا يـدهمنـك مـن دهمـائهـم عـددٌ ... فـإن أكثـرهـم أو كلهـم بقـرُ[٥]

وقد نقل المقارنة الصولي في كتابه «أخبار أبي تمام»[٦] ولكن القاضي[٧] رد على الصولي دون أن يشير إلى أبي الضياء بشر بن يحيى وهو السابق إلى المقارنة.

(د) ـ سرقات أبي نواس لمهلهل بن يموت (٣٣٤)[٨]:

يمكننا القول إن كل ما أورده القاضي في الوساطة من موازنات بين شعر أبي نواس وشعر غيره من الشعراء مصدره رسالة مهلهل، وقد صرح القاضي في بعض المواضع بذكر مهلهل ورسالته ولكنه لم ينصَّ على الأخذ في كثير من المواضع، والمواضع التي نقل فيها القاضي من رسالة مهلهل هي:

«١» ـ قوله في الوساطة ص ٢٠٩: «وزعم مهلهل أن قول أبي نواس... مأخوذ من قول كثير...» والنص في رسالة مهلهل ص ٣٩.

«٢» ـ قول القاضي في الوساطة ص ٢٠: «وزعم أن قول أبي نواس... من قول موسى شهوات...» والنص في رسالة مهلهل ص ٥٥.

«٣» ـ قوله في الوساطة ص ٢١٠: «وقد زعم أن قوله في الخمر... من قول جرير...» وهو في رسالة مهلهل ص ٧٢.

---

(١) الموازنة: ١/ ١٤٠ وما بعده وينظر تاريخ النقد الأدبي عند العرب للدكتور إحسان عباس ص ١٤٨ ـ ١٤٩.
(٢) الوساطة: ٧٨.
(٣) الفهرست: ١٤٩ ومعجم الأدباء ٧/ ٥٧ ود. إحسان عباس ص ١٥٢.
(٤) ديون أبي تمام بشرح التبريزي: ٢/ ٨٦.
(٥) الموازنة: ١/ ٣٤٥.
(٦) أخبار أبي تمام: ٥٠ ـ ٥١.
(٧) الوساطة: ٣٤٧ ـ ٣٤٨ وينظ في سبق أبي الضياء. د. إحسان عباس ص ١٥٢.
(٨) حققه د. محمد مصطفى هدّارة، مط مخيمر ـ القاهرة ـ ١٩٥٧.

wadod.org

«٤» ـ قوله في الوساطة ص ٢١١: «وإن قوله... من قول الأبيرد...» وهو في رسالة مهلهل ص ٨٠.

«٥» ـ قوله في الوساطة ص ٢١١: «وكقوله... من قول الآخر...» وهو في رسالة مهلهل ٦٩.

«٦» ـ قوله في الوساطة ص ٢١٢: «وقوله... من قول بعض العرب...» وهو في رسالة مهلهل ٤٩.

«٧» ـ قوله في الوساطة ص ٢١٣: «ومما ادعاه أيضاً على أبي نواس قوله... إنه مأخوذ من قول عبد بني الحساس وهو في سرقات أبي نواس لمهلهل» ص ٩٨.

د ـ نصوص نقلها القاضي عن مصادر دون إشارة إليها:

ويمكن تقسيم هذه المصادر إلى قسمين:

أ ـ نصوص من مصادر سبق ذكرها فيما مضى من البحث.

ب ـ مصادر أخرى اعتمدها القاضي دون أن يرد لها ذكر في الوساطة.

(أ) ـ نصوص من مصادر سبق ذكرها فيما مضى من البحث:

وهذه النصوص منقولة من كتب سبق ذكرها لكنه لم يُشِرْ إليها، وهي تُعد من سرقات الكُتَّاب، لأن ذلك يدخل في موضع الأمانة العلمية في الإشارة إلى ما يفيده المؤلف من غيره.

وإغفال ذكر مصادر هذه النصوص يفوت على الدارسين معرفة جهد المؤلف، إذ أن الحكم على قضية من القضايا يستند إلى نص محكم، فقد أصدر الدارسون أحكاماً بنوها على هذه النصوص، مع أنها ليست من بنات أفكار القاضي بل هي جهدٌ سبقه إليه غيره.

وهذه النصوص تتعلق بموضوعات الأدب ونقد الشعر، ويمكن ترتيب هذه النصوص على النحو الآتي:

«١» ـ نصوص من كتاب الموازنة للآمدي.

«٢» ـ نصوص من كتاب «أخبار أبي تمام للصولي وأخرى من كتاب الصولي «شرح ديوان أبي تمام».

«٣» ـ نصوص من كتاب «الشعر والشعراء» لابن قتيبة.

«٤» ـ نصوص من كتاب «سرقات أبي نواس» لمهلهل بن يموت.

«٥» ـ نصوص من رسالة أحمد بن أبي طاهر «سرقات أبي تمام»[١].

(١) انظر الموازنة: ١/ ١٦٩ الهامش (٦) للمحقق السيد أحمد صقر.

wadod.org

«١» ـ ما نقله القاضي في كتاب (الوساطة) عن (الموازنة) للآمدي، (٣٧٠هـ):

لم يرد للآمدي ذكر في الوساطة، غير أننا وجدنا نقولاً كثيرة من الموازنة في كتابه الوساطة دون إشارة إلى ذلك، من ذلك قول القاضي: «زعم كثيرٌ من نقاد الشعر أن أبا تمام زاد عليهم بقوله...» الوساطة: ٢٧٢ وذلك ما ذكره الآمدي في الموازنة: ١/ ٦٥.

وقول القاضي: «وقد عد هذا من سرقات أبي تمام» الوساطة: ٣٣٠ وهو كلام الآمدي في الموازنة: ١/ ٨١.

وفيما يأتي مواضع ما نقله القاضي في الوساطة عن موازنة الآمدي:

الوساطة	مضمون النقل	الموازنة
٢٢٨	بيتا منصور بن الفرج والبحتري	١/ ٣١٨
٢٣٠	«وقد عُدَّ هذا من سرقات أبي تمام.. ولست أراه كذلك»	١/ ٨١
٧٧	الكلام على بيت أبي تمام «ورحب صدر...»	١/ ١٩٤و٢٠٣و٣٥٩
٣٢٧	بيتا البعيث وأبي تمام	١/ ٦١
٢٤٨	بيتا النمري وأبي تمام	١/ ١١٦
٢٤٩	بيتا أبي نواس وأبي تمام	١/ ٦٩
٢٥٠	كلام على بيت أبي تمام	١/ ٤٨٦
٢٥٦	بيتا البحتري والحتتف بن السجف	١/ ٣٢١
٢٨٦	بيتا أبي نواس وأبي تمام	١/ ٧٩
٢٩٧	أبيات قيس بن الخطيم وأبي نواس وأبي تمام	١/ ٧٥
٣٠٠	بيت علاقة بن عركي التيمي	١/ ١٠٠
٣٨	بيتا أبي نواس وأبي تمام	١/ ٩٧
٧٣	بيتا أبي دهبل الجمحي وأبي تمام	١/ ٩٩
١٩٣	قصيدة أبي مكنف المزني وموقف أبي تمام منها	١/ ٧٢
١٩٨	بيتا محمد بن وهيب الحميري والبحتري	١/ ٣١٦
٢٢١	قول بعض الأعراب وأنشده ابن السكيت	١/ ١١١و٥٢٩
٢١٢	بيتا العتابي وأبي تمام	١/ ١١١ـ١١٢
٢٢٩	أبيات جرير ومسلم أبي تمام	١/ ٨١
٢٣٤	أبيات عروة والعباس بن الأحنف وأبي تمام	١/ ٧٤
٣٤٠	غيره (وهو عبد الله بن أيوب التيمي) ردت. منشور	١/ ١٢٣
٧٨	كلام على بيت أبي تمام (رقيق حواشي الحلم)	١/ ١٤٣ نقلاً عن رسالة ابن عمار
٧٩	بيت أبي تمام (يدي لمن شاء...)	١/ ١٩٠
٧٩	كلامه على (الأيم) في شعر أبي تمام وفيه رد على الآمدي ـ دون أن يذكره ـ وتنزيه الشافعي عن قول لم يقله	١/ ١٦٦ـ١٦٩
٢٥	بيتا المثقب وأبي تمام	١/ ٤٨٦

wadod.org

٢٥١	أخذ أبي تمام من قول (الأول)	٤٨٦/١
٢٥٦	قول البحتري وبعض العرب	٣٢١/١
٢٧٤	«وزعم كثير من نقاد الشعر»	٦٥/١
٣٦٥	بيتا أبي تمام (والصواب أنهما للبحتري) (المقانب)	٢٠٤/١و٣٥٩

ولعل هذا الإغفال من جانب القاضي لما نقله عن الموازنة يدل على موقف اتخذه القاضي من الآمدي بسبب خلاف فكري بينهما كشفه كلامه على بيت أبي تمام:

حَلَّـت محَـلَ البِكـر مـن معطـىً وقـد زُفـت مـن المُعطـي زِفـاف الأيِّـمِ

إذ استغرق كلامه على البيت الصفحات ٧٩ ـ ٨١ ختمه بقوله:

«وإنما نبذت منه نُبَذاً اقتضاها فصل أصبته لبعض من اعترض على أبي تمام، جمع فيه بينه وبين الشافعي في النكير، ووازن بين قولهما في الخطأ، ولم أستحسن ما يتسرع إليه أصحابنا من التصريح بمخالفة اللغة، والتشبث بالشواذ المردودة، ووجدت المعنى الذي ذكرته مستقيماً على اللغة والمعقول، وكالمصرح به في لفظه، فأومأت إليه»[1].

«٢» ـ **أما الكتاب الثاني الذي أكثر القاضي النقل عنه دون إشارة فهو كتاب «سرقات أبي نواس لمهلهل بن يموت (٣٣٤هـ)»:**

فقد اكتفى القاضي ببعض المواضع التي نقل فيها عن رسالة مهلهل ـ كما سبقت الإشارة إلى ذلك ـ ولكن مواضع كثيرة أخر في الوساطة أفرغ فيها أقوال مهلهل فيما يخص شعر أبي نواس دون إشارة إلى مصدر النقل، وهذا أيضاً يعد خلافاً للأمانة العلمية، وسنذكر مواضع ورود نصوص رسالة مهلهل في كتاب الوساطة كما فعلنا فيما أخذه القاضي عن الموازنة:

الوساطة	ما يقابلها من رسالة مهلهل
٢٤٩ و ٣١٧	٣٤
٢٨٦	٣٤ (والموازنة ١/ ١٠٩)
١٩٨	٣٦
٢٠٩	٣٩
٢٩٦	٤٣

(١) الوساطة: ٨١ وكلام الآمدي في الموازنة ١/ ١٦٩ وقد أيّد محقق كتاب الموازنة ما ذهب إليه القاضي الجرجاني.

wadod.org

٢٩٦	٤٤	
٣٩٨	٤٤	
٢٠٧	٤٥	
٢٠٥	٤٧	
٢٩٨	٤٧ ـ ٤٨	
٢١٢	٤٩	(قال إعرابي)
٣٠٠	٥٠	
٢١٠	٥٥	
٢١١	٥٦	
٢٠٦	٦١	
٢١٠	٦٧	
٢١١	٦٩	
٢١١	٧٢	(وقد ردّ عليه القاضي)
٢١١	٨٠	(وقد ردّ عليه القاضي)
٢٦٣	٧٧	
٢٠٠	٨٢	
٣٠٥	٨٣	
١٩٧	٨٣	
٢٠٦	٨٥	
٢٩٧	٨٧	«خالفه القاضي ووافقه الآمدي في الموازنة ١/ ٧٥»
٢١٣	٩٨	(وفيه روى مهلهل»

وقد بلغت مقارنات مهلهل شعر أبي نواس بغيره من الشعراء (١٣١ موضعاً) نقل القاضي منها /٢٧/ موضعاً في الوساطة.

«٣» ـ ما نقله القاضي عن (الشعر والشعراء) لابن قتيبة (٢٧٦هـ):

فيما يأتي النصوص التي نقلها عن ابن قتيبة في كتابه (الشعر والشعراء) دون أن يشير إلى مصدر النقل.

wadod.org

الوساطة	النص	الشعر والشعراء لابن قتيبة
٦ و ٧	قول رؤبة (العثاعث، الوارث)	٥٩٩ (ترجمة رؤبة)
١٤ و ١٥	قول أبي نخيلة (برية ـ الفستقا)	٦٠٢ (ترجمة أبي نخيلة)
١٦١	بيتا المتنخل الهذلي	٦٦٠
٤٢٣	بيتا طريح الثقفي	٦٧٨
٩	للبردخت	٦١٢
٣٨١	عبدة بن الطبيب في رثاء قيس بن عاصم المنقري	٧٢٨
١٢ ـ ١٣	المؤخذات على بيتي حميد بن ثور والنابغة الجعدي	١/ ٣٩٣ (وقد يكون الأصل عن رسالة ابن السكيت كما سيأتي ذلك)
١٩٧	ثلاثة أبيات للكميت	٥٨٢ (ترجمة الكميت)
١٢	بيت أبي ذؤيب الهذلي وقول الأصمعي	٦٥٤ ـ ٦٥٥
١٣	بيت أبي ذؤيب الهذلي	٦٥٧ ـ ٦٥٨
٧	قول الأقيشر والكلام عليه	١٠٠ (نسبة إلى الفرزدق)
١٣	بيت امرىء القيس والكلام عليه	١١١
١٠	الكلام على بيت زهير	١٥١
٤٥٦	بيت زهير والكلام عليه	١٥١ـ١٥٢
١٤	الكلام على شعر عمرو بن أحمر الباهلي	٣٥٩
٣٣٧	بيت زهر بن جناب (يجزيك ـ جزا)	٣٨١
١٦٢	«وزعم الأصمعي»	٦١ وفيه(أخبرنا أبو حاتم حدثنا الأصمعي. ـ. ـ. ـ.»

والقاضي ينقل عن ابن قتيبة أحياناً بالنص أو بشيء من التقديم والتأخير؛ ففي الوساطة ص ١٤ قال معلقاً على بيت عمرو بن أحمر: «فإنه ظنَّ أن اليرندج نسجٌ، وإنما اليرندج جلودٌ». وفي كلام ابن قتيبة عليه «واليرندج جلودٌ سودٌ، فظن أنه شيء ينسج» الشعر والشعراء: ١/ ٣٥٩.

فضلاً عن ذلك يلاحظ الدارس التشابه في كلام القاضي في الوساطة (ص ١٦٠ ـ ١٦٢) ومقدمة ابن قتيبة في الشعر والشعراء (١/ ٥٩ ـ ٦٤) بحيث يمكن القول إن كلام القاضي ما هو إلا صدىً لمقدمة ابن قتيبة.

wadod.org

«٤» ـ ما نقله القاضي عن كتابي الصولي (أخبار أبي تمام، وشرح ديوان أبي تمام) وكتاب (الورقات):

على الرغم من أن القاضي ذكر الصولي مرة واحدة في معرض النقد فهو قد أفاد من كتبه ولا سيما ما يتعلق بشعر أبي تمام وموازنته بأقوال الشعراء. من ذلك ما ذكره في الوساطة ص ٢٥٩ إنما هو كلام الصولي في أخبار أبي تمام (ص ٣٢ ـ ٣٣) وشرحه ديوان أبي تمام (١/ ١٣٥) و (٢/ ٤٢١).

ومنها مقارنة بيت لأبي تمام ببيت للبعيث (الوساطة ٣٢٧) وقد ذكر الصولي في أخبار أبي تمام (٩٩ ـ ١٠٠) ونقل الآمدي في الموازنة ١/ ٦١. عن الصولي أيضاً، ومما نقله القاضي عن الصولي مقارنة بيت لأبي نواس ببيت لأبي تمام (الوساطة ٢٥٩) وأصله في (أخبار أبي تمام ٣٢) وقد يكون الاثنان اعتمدا رسالة مهلهل. ومقارنة بيت لابن الخياط ببيت لأبي تمام (الوساطة ٢٢٣) والأصل في (أخبار أبي تمام ١٥٨ ـ ١٥٩).

فضلاً عن ذلك أخذ القاضي عن الصولي بعض أفكاره ثم صاغها صياغة أخرى، من ذلك قول الصولي: «وقد ادعى عليه (أبي تمام) الكفر، بل حققوه وجعلوا ذلك سبباً للطعن على شعره، وتقبيح حسنه، وما ظننت أن كُفراً ينقص من شعر، ولا أن إيماناً يزيد منه» (أخبار أبي تمام: ١٧٢) أخذه القاضي الجرجاني وصاغه صياغة جديدة بقوله في الاعتذار للمتنبي: «فلو كانت الديانة عاراً (كذا، والصواب: عياراً) على الشعر... ولكن الأمرين متباينان، والدين بمعزل عن الشعر» الوساطة: ٦٤.

وقد وجدت في الوساطة (ص ٢٧٨) نصاً يقارن فيه القاضي بيتاً لأشجع ببيت لأبي الطيب المتنبي.. ثم يقول «وأصله قول الأعرابي...» ثم قرأت في الخزانة للبغدادي ما نصه: «قال الصولي في كتاب (الورقات)، قال لي يوماً عبد الله بن المعتز: من أين أخذ أشجع قوله:

وليس بأوسَعِهم في الغِنَى ولكنّ معروفَهُ أوسَعُ

فقلت: من قول موسى شهوات لعبد الله بن جعفر بن أبي طالب (رضي الله عنه):

ولم يكُ أوسَعَ الفتيانِ حالاً ولكنْ كانَ أرْحَبَهم ذِراعَا[1]

فقال: أصبت هكذا هو...[2].

---

(١) البيت لأبي زياد الأعرابي صاحب (النوادر) و(الإبل) و(خلق الإنسان). انظر/ الحماسة (برواية الجواليقي) باب الأضياف رقم النص ٧٠٥ ص ٥١٩ وانظر الخزانة ١/ ٢٩٧ و٦/ ٤٦٧.

(٢) الخزانة: ط ٣/ ١٩٨٩. تحـ عبد السلام هارون ١/ ٢٩٧.

wadod.org

«٥» ـ ويمكن القول إن القاضي أفاد من رسالة (سرقات أبي تمام) لأحمد ابن أبي طاهر (٢٨٠هـ)، غير أننا لا يمكن الجزم بذلك لأن الرسالة مفقودة وهي أيضاً من مصادر كتاب الموازنة.

(ب) ـ **مصادر أُخر اعتمدها القاضي دون أن يرد لها ذكرٌ في الوساطة:**

وهذه المصادر بعضها في اللغة والنحو ورواية الشعر والأخبار، ومن هذه المصادر:

«١» ـ كتاب سيبويه (١٨٠هـ).

«٢» ـ الحروف التي يتكلم بها في غير موضعها لابن السكيت (٢٤٤هـ).

«٣» ـ الجمهرة لابن دريد (٣٢١هـ).

«٤» ـ كتاب العين للخليل (١٧٥هـ).

«٥» ـ كتاب الكامل للمبرد (٨٥هـ).

«٦» ـ أمالي القالي (٣٥٦هـ).

«٧» ـ الصاحبي لابن فارس (٣٩٥هـ).

«٨» ـ سر صناعة الإعراب والخصائص والفسر لابن جني (٣٩٢هـ).

«٩» ـ المعاني الكبير وعيون الأخبار وتأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (٢٧٦هـ).

«١٠» ـ الأمالي وأخبار الزجاجي (٣٤٠هـ).

«١١» ـ ديوان الحماسة لأبي تمام (٢٣١هـ).

«١٢» ـ طبقات الشعراء لابن المعتز (٢٩٥هـ).

«١٣» ـ كتاب القوافي للأخفش (٢١٥هـ).

«١٤» ـ المفضليات والأصمعيات.

«١٥» ـ المؤتلف والمختلف للآمدي (٣٧٠هـ).

«١٦» ـ معجم الشعراء والموشح للمرزباني (٣٨٤هـ).

«١٧» ـ صنعة الشعر لأبي أحمد العسكري (٣٨٤هـ).

«١٨» ـ نسخة خاصة من ديوان أبي نواس.

«١٩» ـ نسخة خاصة من ديوان أبي تمام.

«٢٠» ـ نسخة خاصة من ديوان المتنبي.

«٢١» ـ الكشف عن مساوىء شعر المتنبي للصاحب بن عباد (٣٨٥هـ).

«٢٢» ـ المنصف للسارق والمسروق لابن وكيع التِّنِّيسي

wadod.org

(٣٩٣هـ)[١].

ويمكن القول إن هذا القسم يعتمد على اجتهادنا في تتبع نصوص الوساطة ومقارنتها بالمصادر التي سبقتها. وهذا الجهد استغرق وقتاً طويلاً منا لكون بعض هذه المصادر ـ إن لم نقل كلها ـ بعيداً عن موضوع الوساطة، فالوساطة كتاب أدبي نقدي يدور حول شعر المتنبي، ولكن القاضي جعله ميداناً أفرغ فيه ثقافته وأفاد من غيره وما خفي من مصادره أكثر مما ظهر.

وفيما يأتي تفصيل لما خفي من المصادر التي سبقته كما تتبعناها من خلال المقارنة وتوثيق النصوص.

«١» ـ كتاب سيبويه:

أفاد القاضي الجرجاني من شواهد سيبويه في الاحتجاج لشعر أبي الطيب، ولم يرد ذكر سيبويه أو كتابه في الوساطة، غير أننا نجد أن بعض ما ذكره القاضي من الشواهد في النحو واللغة مصدره كتاب سيبويه، وإن تكرر بعضها في الكتب التي أخذت عنه. وفيما يأتي مواضع تلك الشواهد:

الشاهد وقائله	كتاب سيبويه	الوساطة
(مواطناً ـ الحِمَى) (العجاج)	٢٦/١ و ١١٠	٤٥٣
(فلست ـ فضلُ) (النجاشي)	٢٧/١	٤٤١
(تنفي ـ الصياريف) (الفرزدق)	٢٨/١	٤٤٥
(مهلاً ـ ضننوا) (قعنب)	٢٩/١و٣/٣١٦و٥٣٥	٤٥٣
(فما كان ـ تهدماً) (عبدة بن الطبيب)	١٥٦/١	٣٨١

(١) لم نخصص حيزاً لكتاب ابن وكيع لأنني لم أجد ما يؤكد استفادة القاضي من هذا الكتاب، ولكنني أفدت من إشارة د. إحسان عباس إلى هذا المصدر وغيره من المؤلفات التي خُصصت لشعر المتنبي ونقده، فقد عَدَّدَ د. إحسان عباس الكتب والرسائل للحاتمي والصاحب وابن جني وأبي القاسم الأصفهاني وغيره وقال: «نرجح أن الجرجاني اطّلع على شرح ابن جني لديوان المتنبي، فهو يستشهد بما قاله أبو الطيب حول استعماله سداس، وهذا مما كان ابن جني يسأل المتنبي عنه، كذلك فإنه حين يقف على لفظة «مُخْشَلِب» يعتذر عنها باعتذار يشبه ما جاء به ابن جني، وقبل ذلك قال د. إحسان: «نجد ابن جني يؤلف النقص على ابن وكيع في شعر المتنبي وتخطئته» تاريخ النقد الأدبي عند العرب: ط٢/عمان/ ١٩٧١ ص ٣١١ ـ ٣١٣. مما يجعل كتاب ابن وكيع سابقاً لكتاب الوساطة، ولكننا لا نجزم باطلاع القاضي عليه، وقد يكون اطلع عليه وأغفل ذكره كبقية المصادر. وفي الوساطة ردٌّ للقاضي على (بعض أهل الأدب) وقد يكون ابن وكيع من هؤلاء، وقد طبع كتابه «المنصف للسارق والمسروق منه في إظهار سرقات أبي الطيب المتنبي» بتحـ د. محمد رضوان الداية ـ دار قتيبة لنشر ـ دمشق ١٩٨٢. وظهر أيضاً عام ١٩٨٤ بتحـ د. محمد يوسف نجم ـ الكويت ـ السلسلة التراثية.

wadod.org

(لما رأت ـ لامها) (عمرو بن قميئة)	١/ ١٧٨ ـ ١٩٤	٤٦٣
(كما خط ـ يزيل) (أبو حية النميري)	١٠/ ١٧٩	٤٦٤
(كأن ـ الفراريج) (ذو الرمة)	١/ ١٦١	٤٦٤
(ترى الثور ـ أجمع) (مجهول)	١/ ١٨١	٤٦٥ (نقله الفرا كما أشرنا إليه)
(عجبت ـ أضربه) (زياد الأعجم)	٤/ ١٨٠	٦
(رحت ـ المئزر) (الأقيشر الأسدي)	٤/ ٢٠٣	٧
(فاليوم ـ واغل) (امرؤ القيس)	٤/ ٢٠٤	٥

فالشواهد في الوساطة محصورة بين (٤٥٣ ـ ٤٦٥) يقابلها في كتاب سيبويه (١/ ٢٦ ـ ٢٩) و(١/ ١٧٨ ـ ١٨١) و(٤/ ٢٠٣ ـ ٢٠٤). وقد استشهد بها القاضي في اللغة والنحو، ولم ترد في موضوع السرقات الشعرية، فضلاً عن ذلك نقله كلاماً عن سيبويه دون الإشارة إليه، ففي الوساطة (ص ٤٥٤) قال القاضي: «وأكثر ما تقول العرب: علماءِ بنو (كذا) فلان» وفي كتاب سيبويه (٤/ ٤٨٥) «ومثل هذا قول بعضهم: علماءِ بنو فلان» فحذف اللام، يريد: على الماء بنو فلان وهي عربية».

«٢» ـ رسالة الحروف التي يتكلم بها في غير موضعها لابن السكيت (٢٤٤هـ)[١].

وإليك مواضع ما أخذه القاضي من هذه الرسالة:

الوساطة	رسالة ابن السكيت	الشاهد
١٢	٩٦	بيت النابغة الجعدي (الأثاب)
١٣	١٠١	بيت زهير (فتعظم)
١٣	١٠٠	بيت رؤبة (الأسودا)
١٣	١٠١	أبو ذؤيب (يموج)
١٤	١٠١	الحطيئة (سلام)

وقد أورد القاضي تحت باب (أغاليط الشعراء) معظم ما ورد في رسالة ابن السكيت ونقل بعضها في آخر الوساطة في (ما عاب العلماء على أبي الطيب)[٢].

فضلاً عن ذلك فالشواهد وردت في كتابي «المعاني الكبير» والشعر والشعراء لابن

(١) حققها ونشرها د. رمضان عبد التواب ضمن (ثلاثة كتب في الحروف) ـ مكتبة الخانجي بمصر ١٩٨٢ (ص ٤٩ ـ ١١٣).

(٢) الوساطة: ٤ ـ ١٥ و ٤٣٤ ـ ٤٧٩.

wadod.org

قتيبة.

«٣» ـ كتاب المعاني الكبير لابن قتيبة (٢٧٦هـ):

الوساطة	المعاني الكبير	الشاهد
٥	١/ ١٤٥	امرؤ القيس (النمر)
٦	١/ ٥٧٦	الراعي (البلد)
١١	١/ ١٤٣	سلمة بنت الخرشب (البريم)
١١	١/ ١٥٨	بشر بن أبي خازم (الغبار)
١٢	١/ ٣٠ (والشعر والشعراء ٣٨٣)	أبو النجم (أوله)
١٤	٢/ ١٠٣٢ و ١٠٣٦	النابغة (وائل)
٢٦٣	٢/ ٩٧ والوحشيات رقم ٣٨٢.	العوام بن شوزب الشيباني (وأزنما)

«٤» ـ تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (٢٧٦هـ):

الوساطة	تأويل مشكل القرآن	الشاهد
٥٩ و٤٣٦	٢٨ (والمعاني ٢/ ٩٢٧)	العوام بن شؤوب (وأزنما)
٤٢٣	٧٥ (والشعر والشعراء ٢/ ٦٦)	طريح الثقفي (منفرج)
٤٧٣	٢٠٢	(مثل النصارى)
٤٦٩	١٩٨	(أسلمته ـ وهفا)
٤٦٩	١٩٩	(كانت الرجم)
٤٦٩	١٩٥	الشماخ (منه ـ العود)
٤٦٩	١٩٤	الأخطل (مثل القنافذ ـ هجر)
٤٥٢	٣٠٥	(إن شكلي ـ تبيضي)[1]
٤٦٩	٣٠٦	النجاشي الحارثي (ولاكِ ـ ذا فضل)
	١٩٥، ١٩٨ ـ ١٩٩	أبيات الأخطل والشماخ
	(شواهد القلب ٧٤)[2]	وعبيد الله بن قيس الرقيات والنابغة الجعدي

(١) قال القاضي: أنشده الفراء، ولم أجده في معاني القرآن، وهو في سر صناعة الإعراب لابن جني ١/ ١٢ ط د. حسن هنداوي.

(٢) شواهد القلب في معاني الفراء ١/ ٩٩ ـ ١٣١.

wadod.org

«٥» ـ عيون الأخبار لابن قتيبة (٢٧٦هـ):

نقل ابن قتيبة بعض الأبيات وقد أغفل نسبة بعضها، وقد وردت في الوساطة منسوبة، من ذلك بيتا عنترة بن الأخرس (إذا أبصرتني ـ تدور) وهما في الوساطة ٣٧٣ وعيون الأخبار ٣/ ١١٠ وأبيات الطرماح (لقد زادني ـ غير طائل ـ المتجاهل، حابل) في الوساطة ٢٤٧ وعيون الأخبار ٣/ ١١٢.

«٦» ـ معاجم اللغة كالعين والجمهرة:

وقد وجدت أصول بعض الشواهد في كتاب العين، من ذلك نقله بيت سحيم بن وثيل الرياحي، ولكنه أورده دون نسبةٍ، ونسبه إلى بعض رجال العرب[١].

أما كتاب الجمهرة لابن دريد فنجد فيه الشواهد التي نقلها القاضي في (أغاليط الشعراء)[٢] وقد ذكرنا أنها وردت في مصادر أخرى غير الجمهرة كرسالة ابن السكيت في الحروف و(المعاني الكبير) والشعر والشعراء لابن قتيبة، ويحتمل أن يكون القاضي قد أفاد منها جميعاً. وقد استشهد القاضي ببعض شعر ابن دريد[٣].

«٧» ـ الكامل للمبرد (٢٨٥هـ):

ومما وجدنا من آثاره في الوساطة موازنة القاضي بين شعر للمتنبي وبيت لأبي تمام، وقد يكون القاضي اعتمد الموازنة في ذلك، ولكن المبرد أقدم من ذكر هذه الموازنة[٤] فضلاً عن أبيات أُخر أوردها القاضي دون أن ينص على الأخذ منها، وقد وردت في الكامل، ولكنها وردت في مصادر سابقة كمعاني الفراء.

«٨» ـ كتاب (القوافي) للأخفش (٢١٥هـ):

ذكر القاضي بعض الأشعار خصوصاً في الرجز وجدنا أصولها عند الأخفش في كتاب (القوافي)[٥].

«٩» ـ الأمالي وكتاب المقصور والممدود للقالي (٣٥٦هـ):

وجدنا بعض استشهادات القاضي مصدرها كتب القالي، لكونها أقدم المصادر التي وردت بها تلك الاستشهادات؛ من ذلك ذكره بيتاً (لبعض المحدثين وهو لابن دريد) وقال

(١) الوساطة: ٣٩٠ والبيت في كتاب العين ٦/ ١٨٧ وفي نوادر أبي زيد ١٥٩ وديوان الحماسة ص ١٨٥ والخزانة ١/ ٢٤٧.
(٢) الوساطة: ١٤ ـ ١٥ والجمهرة ٣٠/ ٥٠٣ ـ ٥٠٤.
(٣) الوساطة: ١٤ والمزهر: ٢/ ٥٠ ديوان ابن دريد: ٦٩ وأمالي القالي ٢/ ١١٠.
(٤) الوساطة: ٢٩٠ والكامل (ط بيروت) ١٢/ ٢٦١ والموازنة ١/ ١١١ ونور القبس ١٩٣ ـ ١٩٤.
(٥) الوساطة: ٤٥٠ وكتاب القوافي: ٤٧ والخصائص ١/ ٢٩١.

wadod.org

القالي: «شيخنا رضي الله عنه» ويعني ذلك ابن دريد[١].

نقل القاضي حكاية إسحاق الموصلي مع الأصمعي كما وردت في أمالي القالي[٢] ومقارنة بيت للبحتري (حبائب) وبيت لأبي تمام (الوطن).

وفي الوساطة بيت لبشار لم يُرْوَ في ديوانه المطبوع، وجعله المحقق في ملحق الديوان نقلاً عن أمالي القالي[٣]. وثمة أبيات من الرجز لم نجد لها مصدراً غير (المقصور والممدود) للقالي كما ذكر البغدادي في شرح شواهد الشافية[٤].

«١٠» ـ كتاب (الرد على أهل الإلحاد في أي القرآن) لقطرب (٢٠٧هـ):

في الوساطة رجز غير منسوب لم أجده في المصادر التي عدت إليها، ووجدت البغدادي في شرح شواهد القافية يقول: «والرجز الذي أنشده ابن عصفور مختصر، رواه بتمامه أبو علي بن المستنير المعروف بقطرب في كتابه: «الرد على أهل الإلحاد في آي القرآن» وذكر البغدادي أيضاً أن الرجز أورده الزجاج في (أول سورة الجمعة)[٥].

«١١» ـ (كتاب صنعة الشعر) لأبي أحمد العسكري (٣٨٢هـ):

والكتاب لم يصل إلينا، وقد أورد القاضي نصاً فحواه أن معنىً في الشعر تعاوره أبو خراش الهذلي وأبو نواس، وقد نقل عبد القاهر الجرجاني في كتابه (دلائل الإعجاز) عن كتاب (صنعة الشعر) لأبي أحمد العسكري: وحكى العسكري في (صنعة الشعر) أن ابن الرومي قال:

قال لي البحتري: قول أبي نواس:

ولم أدر من هم غير ما شهدَتْ به ... بشرقيِّ ساباطَ الديارُ البسابسُ

مأخوذ من قول أبي خراش الهذلي:

ولم أدر من ألقى عليه رداءه ... سوى أنه قد سُلَّ من ماجدٍ محضِ

قال: قلت: قد اختلف المعنى، فقال: أما ترى حذو الكلام حذواً واحداً[٦].

---

(١) أمالي القالي ٢/ ١١٠ والوساطة: ٣٤٣ وديوان ابن دريد ص ٦٩ وذكره المرزباني في معجم الشعراء: ٤٢٦ ونص على أنه لابن دريد.

(٢) الأمالي: ١/ ١٩٤ والوساطة: ٥٠.

(٣) ذيل الأمالي: ٩٤ والوساطة: ٢٣١.

(٤) الوساطة: ٢٧٨ والأمالي ٢/ ٥٤ وديوان بشار ٤: ٤٢. (تحـ ابن عاشور/ وانظر أيضاً الوساطة) ٣٤٣ (بعض العرب) في الأمالي ١/ ٤٦.

(٥) الوساطة: ٤٥٠ وشرح شواهد الشافية للبغدادي ٤/ ٢٧٣ والكتاب حققه عبد المجيد هريري في رسالة جامعية ويبدو أنه لم يطبع.

(٦) الرجز في الوساطة ٤٥٠ وشرح شواهد الشافية ٤/ ٢٦٧. وكتاب الزجاج (معاني القرآن وإعرابه) حققه د. عبد الجليل عبده شلبي ـ طبع في مصر ١٩٧٤ وط٢ بيروت ١٩٨٨.

wadod.org

«١٢» ـ كتب ابن جني (٣٩٢هـ) الخصائص، وسر صناعة الإعراب والفسر . . .

ابن جني وإن كان معاصراً للقاضي الجرجاني، لا نستبعد إفادة القاضي من كتبه، لكون الوساطة ألفها القاضي في أخريات أيامه، ولكن ابن جني أسبق من القاضي في التأليف وشهرته أكبر، فضلاً عن أنَّ كتب ابن جني ذاع صيتها كالخصائص وسر الصناعة، ولكون ابن جني أكثر صلة بشعر المتنبي فهو ـ أي ابن جني ـ تلميذه وشارح ديوانه.

وقد وجدنا اشتراك الرجلين في الإشارة إلى بعض المسائل التي ذكرت في الوساطة وكتب ابن جني، خصوصاً ما يتعلق منها بشعر المتنبي. من ذلك اشتراك الرجلين في ذكر بعض الظواهر اللغوية في شعر المتنبي، كاستعماله اسم الإشارة في شعره بصورة لافتة للنظر[١]، والفصل بين المتضايفين[٢] في شعره[٣] واعتماد الرجلين مصادر واحدة في بعض الأحيان[٤]، وثمة كثير من الشواهد في اللغة والغريب مذكورة في الخصائص والوساطة، وقد أعاد ابن جني ذكرها في (سر صناعة الإعراب)[٥].

«١٣» ـ المؤتلف والمختلف للآمدي (٣٧٠هـ):

يبدو من خلال تحقيق نصوص الوساطة أن القاضي الجرجاني أفاد من كتاب المؤتلف للآمدي؛ شأنه شأن كتاب الموازنة، ويمكننا الإشارة إلى بعض شواهد الوساطة

---

(١) دلائل الاعجاز (تحـ محمود شاكر) ص ٤٧٠ والوساطة: ٢٠٦ وعلق عليه القاضي بقوله: «فلم يخفَ موضع الأخذ، وإن كان قد نقل الغزل إلى الزهد والمرثية إلى المنادمة» وهذا معنى قول ابن الرومي معلقاً على قول البحتري وقد اختلف المعنى، وقد علق المحقق محمود شاكر على ذكر عبد القاهر عنوان كتاب أبي أحمد العسكري (صنعة الشعر) بقوله: «كأنه كتاب آخر غير ديوان المعاني لأبي هلال العسكري، ٣٩٥هـ، وقد ذكر ياقوت في معجم الأدباء من تصانيف أبي أحمد كتاب (المصون في الأدب)، وتنظر: مقدمة عبد العزيز أحمد لكتاب أبي أحمد العسكري (شرح ما يقع فيه التصنيف والتحريف». وقد نقل د. عبد الرزاق أبو زايد في كتاب (البديع) مكتبة الأنجلو المصرية ـ ١٩٧٧) في الفصل السادس الكلام على (صنعة الشعر) لأبي أحمد العسكري (ص ١٩٩) وما بعدها نصوصاً من (صنعة الشعر) لأبي أحمد من تلميذه أبي هلال من ديوان المعاني) ومن كتاب إعجاز القرآن للباقلاني، وهو أيضاً تلميذ أبي أحمد، وبذلك يظهر أن المحقق محمود شاكر خلط بين أبي أحمد العسكري وتلميذه أبي هلال لأن عبد القاهر ذكر (العسكري) دون تحديد!!.

(٢) ينظر الإشارة إلى استعمال المتنبي (ذا) في شعره: الفسر ١/ ١٠٨ والوساطة ٩٥ وعنها نقل ابن سنان في سر الفصاحة ص ٩٦.

(٣) الفسر ١/ ٣٥١ والوساطة ٤٦٤.

(٤) الفسر ١/ ٢٥٦ والوساطة ٤٦١ و٤٥٧ وهامش النظام ٧/ ٧٧.

(٥) يقول ابن جني في استعمال المتنبي لفظة (سُداس) ورأيت أبا حاتم قد حكى في كتاب الإبل أنه قال: «أُحاد إلى عُشار. .» انظر هامش النظام ٧/ ٧٧ نقلاً عن الفسر المخطوط. ويقول القاضي الجرجاني «إنه قد جاء عن العرب خماس وسداس إلى عشار، حكاه أبو عمرو الشيباني وابن السكيت، وذكره أبو حاتم في كتاب الإبل. . .» الوساطة: ٤٥٧، وهكذا يتبين أن الفرق بينهما أن ابن جني شارح يمر مروراً بالمعنى، والجرجاني باحث مدقق يأخذ عَمَّن سبقه ويضيف إليه اطلاعه، ويبقى ابن جني سابقاً له في هذا المجال.

wadod.org

التي وجدنا أصولها في كتاب (المؤتلف) للآمدي، لكونه حوى كثيراً من الأبيات لشعراء لم ترد أشعارهم في المصادر السابقة لكتاب الوساطة. من ذلك بيت (شمعلة بن قائد) في الوساطة ٢٩٣ وكتاب المؤتلف ٢٠٧[١] وبيت ابن حمام الأزدي (الراقع) في الوساطة ص ٥ والمؤتلف ١٢٧ وبيت خفاف بن غصين البرجمي في الوساطة ٢٧٢ والمؤتلف ص ١٥٤ وغير ذلك من الأشعار.

«١٤» ـ معجم الشعر للمرزباني (٣٨٤هـ):

والمرزباني شأنه شأن معاصري القاضي كالصاحب بن عباد (٣٨٥هـ) وأبي أحمد العسكري (٣٨٥هـ) وابن جني (٣٩٢هـ) وابن فارس (٣٩٥هـ) معنيٌ بالشعراء وأشعارهم، وقد وجدنا آثار ذلك في الوساطة، وذلك من خلال تحقيق نصوص الوساطة، غير أن المرزباني اعتمد مصادر سابقة له في جمع مادة كتبه، ويحتمل أن يكون القاضي قد أفاد منه ومن غيره في جمع المادة الشعرية وأخبار الشعراء، وقد أثبتُّ كثيراً من التخريجات من كتاب (معجم الشعراء) في حواشي نسختي الخاصة من الوساطة.

«١٥» ـ طبقات الشعراء لابن المعتز (٢٩٥هـ):

يعد كتاب ابن المعتز (طبقات الشعراء) مصدراً من مصادر رواية أشعار المحدثين، وقد وجدنا على سبيل المثال أن بيت ابن محلم الخزاعي (٢٢٠هـ) في الوساطة ٢٦٠ انفرد بروايته ابن المعتز في طبقات الشعراء ص ١٨٩[٢].

«١٦» ـ الصاحبي في فقه اللغة لأحمد بن فارس (٣٩٥هـ):

نجد في الوساطة إشارة إلى نص ورد في (الصاحبي)، وذلك قول القاضي: (لأنه جعل الشعراء بزعمه أمراء الكلام، وأباح لهم التصرف على غير ضرورة)[٣] وهذه هي عبارة ابن فارس في (الصاحبي) إذ قال: (والشعراء أمراء الكلام.. يقصرون الممدود ولا يمدون المقصور ويقدمون ويؤخرون...)[٤].

«١٧» ـ كتب معاني الشعر:

ذكر القاضي إشارات لكتب معاني الشعر في قوله: «وليس في الأرض بيت من أبيات المعاني لقديم أو محدث إلا ومعناه مخالف مستتر، ولولا ذلك لم تكن كغيرها من

---

(١) ينظر على سبيل المثال: الوساطة: ٤٥٢ وسر صناعة الإعراب ١/ ١٢٢.

(٢) وينظر بيت شمعلة في الأمالي الشجرية ١/ ١٢٥.

(٣) ينظر: هامش وفيات الأعيان ٢/ ٥١٩ والوافي والوفيات ٣/ ١٦٢ وقد نسب البيت في وفيات الأعيان إلى مقدس بن صيفي في طاهر بن الحسين.

(٤) الوساطة: ٤٥٣.

wadod.org

الشعر، ولم تفرد فيها الكتب المصنفة وتشغل باستخدامها الأفكار الفارغة»[١]. ويقول أيضاً: «والكتب المصنفة فيها معروفة والرجوع إليها ممكن»[٢] يعني كتب معاني الشعر.

وقد وجدنا بعض أبيات كتاب الوساطة منقولة عن كتب المعاني أو معاني الشعر، وقد أشرنا إلى كتاب المعاني الكبير لابن قتيبة، ونشير هنا إلى بعض الأمثلة، فقد نقل القاضي في الوساطة ص ٤١٩ بيت الشاعر:

فجنبت العوار أبا زُنَيْبٍ وجاد على محلتك السحابُ

وقد ذكرت هذا البيت معظم كتب معاني الشعر[٣].

«١٨» ـ الكشف عن مساوىء شعر المتنبي للصاحب بن عباد (٣٨٥هـ):

يرجح د. عبده قلقيلة أن القاضي الجرجاني ألف كتابه الوساطة بعد وفاة الصاحب سنة ٣٨٥هـ وقد ذكر أسباب ذلك في كتابه: (القاضي الجرجاني والنقد الأدبي[٤]). وقد وجد د. قلقيلة ثلاثة عشر بيتاً اشترك الكتابان في إيرادهما مع اختلاف موقف الرجلين منها[٥].

ومما يدل دلالة واضحة على أن القاضي ألف الوساطة رداً على الصاحب ما أورده في الوساطة ص ٤٦٧ قوله: «قالوا: خرج عن الوزن لأنه لم يجىء عند العرب مفاعيلن في عروض الطويل غير مصرّع» فقد أورد الصاحب بيت المتنبي:

تفكره علمٌ ومنطقه حكمٌ وباطنه دينٌ وظاهره ظرف[٦]

ثم قال: «وليس يجوز أن تأتي مفاعيلن في العروض إلا إذا كان البيت مصرعاً[٧]»

وكان رد القاضي الجرجاني خالياً من الإشارة إلى الصاحب ورسالته.

«١٩» ـ الأصمعيات والمفضليات:

وفي الوساطة كثير من شعر القدماء مصدره هذان الكتابان ويمكن مراجعة هوامش الوساطة للوقوف على ذلك.

---

(١) الصاحبي (تحـ الشويمي) ص ٢٧٥.

(٢) الوساطة: ٤١٧.

(٣) الوساطة: ٤١٩.

(٤) المعاني الكبير ٢٠/٨٣٣ ومعاني الشعر للأشناندانى ١٣٠ وينظر أيضاً البيان والتبيين ٢/ ١٢٥ وكتاب المعاريض لابن فارس (تحـ د. أحمد خان، المورد في ١٣/ع٣) ١٩٨٤ ص ١٨٠ والنوادر والتعليقات لأبي علي الهجري (ت نحو ٢٩٦هـ) تحـ حمود عبد الأمير حمادي، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد ١٩٨١: ٢/٢٨٧.

(٥) ص ٢٢ ـ ٢٢٩.

(٦) القاضي الجرجاني: ص ٢٢١ ـ ٢٢٧.

(٧) العرف الطيب: ١٠٣.

wadod.org

«٢٠» ـ ديوان الهذليين:

في الوساطة مجموعة من أشعار الهذليين، كأبي صخر وأبي صخر وأبي ذؤيب والمتنخل وأبي خراش وغيرهم. وقد صرح القاضي في أحد المواضع بمراجعة ديوان الهذليين، فقال: «وقد يرى في أشعار القبائل الأبيات تنسب إلى الرجل المجهول الذي لم يرو له غيرها، ويعرف له اسم إلا بها، وكأن النفس تشهد أن مثلها لا يكون باكورة الخاطر، ولا تسمح بها القريحة إلا بعد الدربة وطول الممارسة ومن ذا يسمع قول الهذلي:

أبـــو مـــالـــكٍ قـــاصـــرٌ فقـــره ... علـــى نفســـه ومشيـــح غنـــاه
إذا ســـدتـــه ســـدت مطـــواعـــةً ... ومهمـــا وكلـــت إليـــه كفـــاه

فيشك أنها لم تندر فلتةً، وتصدر بغتةً وأن بها مقدماتٍ سهلت سبيلها وأخواتٍ قربت مَأْخَذَها، وهي في شعر الهذليين أبيات لم يرو لشاعر غيرها[١].

«٢١» ـ ديوان الحماسة والوحشيات لأبي تمام (٢٣١هـ):

اعتمد القاضي مختارات أبي تمام، وأشهرها ديوان الحماسة والحماسة الصغرى المعروفة بـ (الوحشيات) في مقارنة أشعار الشعراء، ويمكننا الإحالة على بعض المواضع على سبيل الأمثلة:

الشاهد وقائله	الوساطة	ديوان الحماسة (رواية الجواليقي)
موسى بن جابر الحنفي	٢٢٨	ص ١٠٢ (رقم ١٠٩)[٢]
المؤرج السدوسي	٣٢٦	ص ٨٥ ،رقم ٧٨ و ٧٩)[٣]
علي بن محمد العلوي الحماني	٣٧٦	ص ٨٦
بعض الأعراب (الصمة القشيري)	٣٣	ص ٣٧٣ (رقم ٤٧٢)[٤]
بعض الأعراب (أحدث ـ صادق)	٣٣٣	ص ١٧٤ (لقبيصة النصراني)

(١) الكشف عن مساوىء شعر المتنبي: ٦٧ ـ ٦٨.

(٢) الوساطة: ١٦١ وشعر الهذليين ص ١٦١ والشعر والشعراء: ٦٦٠، والبيتان للمُتَنَخِّل الهذلي في معجم المرزباني ص ٢٥٧ وقد روي له غير هذين البيتين، وورد في الوساطة ص ٤٢٢ (قال الهذلي) وهو تحريف والصواب «الذُّهْلي» كما في المؤتلف والمختلف ص ٢١٦ وينظر للهذليين في الوساطة: ١٩٢ و٢٠٦ و٢٦١.

(٣) والبيت في المؤتلف ٢٤٨ ومعجم الشعراء ٢٨٥.

(٤) وانظر البيت في أخبار الزجاجي ٥٣.

wadod.org

لأبي صخر الهذلي	٢٦١	ص ٣٧٠ (ولم أجده في ديوان الهذليين)

ومما أخذه القاضي عن (الوحشيات).

الشاهد وقائله	الوساطة	الوحشيات
ورقاء بن زهير	٤٣٧	٦١
بعض العرب (زرق السحر)	٤٠٣	٢٤ (لشتيم بن خويلد)
شاتم الدهر العبدي	٤٣٠	٢٤٠[1]
العوام بن شوذب	٢٦٣	٢٣٠[2]

وثمة إشارة في الوساطة ص ٤٣٠، إلى أشعار القبائل، وقد يكون المقصود به كتاب أبي تمام، وهو مفقود مع كتابين آخرين لأبي تمام، وقد نقل عنها بعض المؤلفين كالبغدادي في الخزانة.

«٢٢» ـ دواوين الشعراء:

تعد دواوين الشعراء من مصادر الوساطة المهمة، فقد ضم كتاب الوساطة مجموعة شعرية بلغت بحسب إحصائي لها (٣٢٢٦) بيتاً وبعضها أشطار مفردة، وبعض الشعر لشعراء منشورة دواوينهم منهم القديم والإسلامي والمحدث، وبعض الأشعار لشعراء فقدت دواوينهم، وعدد كبير من الشعر غير منسوب إلى قائل أهمله القاضي وأمكننا معرفة قائليها، وبعضه وضعه تحت أسماء (أعرابي) (بعض الأعراب)، (قديم)، (محدث)... إلخ. وقد وردت في الوساطة أبيات لشعراء مشهورين لم ترد في دواوينهم المطبوعة كالمتنبي وأبي تمام وأبي نواس وبشار... مما يدل على أن القاضي كان يحتفظ بنسخ خاصة من هذه الدواوين، ولذلك عدت الوساطة مصدراً مهماً من مصادر جمع الشعر وتحقيقه، وقد رجعت إلى معظم الدواوين والمجموعات الشعرية، ولا سيما أشعار المحدثين، فوجدت أن الوساطة مصدر أصيل من مصادر رواية الأشعار، إذ أن الوساطة أقدم مصدرٍ روى هذه الأشعار، وفي بعض الأحيان وجدت أن الوساطة تنفرد برواية بعض

(١) وهو في أمالي القالي ١/ ٣١.

(٢) والموازنة ١/ ٢٧٤.

wadod.org

الأشعار، ولم يرد في مصدر سواها[١].

وقد نص القاضي على رجوعه إلى هذه الدواوين كديوان أبي نواس والأقيشر... وسبقت الإشارة إلى ذلك، وفي بعض الأحيان يذكر دواوين الشعراء ويخبر عن معرفته بها ورجوعه إليها كما في قوله: «ودونك هذه الدواوين الجاهلية والإسلامية...»[٢].

ويقول في موضع آخر: «وقد أتينا على ما حضرنا من هذا الكتاب، ونبنا عنك في جمعه واستحضاره ولقطه، ويتصفح الدواوين...»[٣].

هـ) ـ مصادر أخرى أشار إليها القاضي إشارات عابرة:

يقول القاضي في آخر كتاب الوساطة: «فأما كتابنا هذا فقد وفيناه حقه، وبلغنا به نهايته، وآتيناه على ما وصلت الطاقة إليه، وما أسعفنا الإمكان به، فإذا زادنا النظر والفكر والمطالعة والبحث بعض ما يليق به أضفناه إليه، وإن أفادنا غيرنا منه ما قصر علمنا عنه استفدناه، وأعظمنا النعمة فيه، وعرفناه لصاحبه فضل التقديم ورجعنا له بحق التعليم»[٤].

وفي هذا النص يتبين أن القاضي رجع إلى مكتبة ضخمة[٥]، وإن كتاب الوساطة، وإن خلا من ذكر بعض المصادر، حصيلة جهد ومثابرة وتتبع، وإن القاضي لم يوصد الأبواب وإنه لم يتم عمله وظلت في نفسه أشياء تركها للمستقبل يعاود النظر فيها وينتظر من غيره ملاحظات، وكأنه مؤلف معاصر أصدر الطبعة الأولى وفي نيته إصدار طبعة ثانية منقحة. ولذلك فالكتب والمصادر التي لم يرد لها ذكر فيما قدمناه أجمله القاضي بعبارات تدل على سعة اطلاعه، كإشارته إلى الدواوين وكتب معاني الشعر وأخبار الشعراء ونقد النقاد وكتب الضرورات الشعرية ونقد النحويين وغير ذلك يقول القاضي: «ثم تصفحت مع ذلك ما تكلف النحويون له من الاحتجاج إذا أمكن تارة بطلب التخفيف عن توالي الحركات، ومرة بالإتباع والمجاورة وما شاكل ذلك من المعاذير المُمْتَحلة، وتغيير الرواية إذا ضاقت الحجة»[٦].

---

(١) والمعاني الكبير ٢/ ٩٢٧.

(٢) اعتمدت في هذه النتيجة ما ذكره محققو الدواوين الشعرية، وقد خصصت له دراسة عنوانها: (الوساطة مصدراً من مصادر جمع الشعر وتحقيقه في طريقها إلى النشر).

(٣) الوساطة: ص ٢.

(٤) الوساطة: ٤١٠ ـ ٤١١.

(٥) الوساطة: ٤٧٩.

(٦) الوساطة: ص ١٠ وينظر إشارته إلى المصادر: الوساطة: ٤١٧، ٤١٩، ٤٥٣، وص ١٩٣، حيث ذكر قوله: «كما ادعى دعبل على أبي تمام...» وفي ص ١٦٠ يقول: «زعم بعض آل الزبير...».

wadod.org

٦ ـ المصادر التي تمثل ثقافته العامة التي لا يمكن أن ننسبها إلى مصدر معين:

مصادره في اللغة والنحو:

لم يقتصر كتاب الوساطة على النقد والشعر والأدب بل تعدى ذلك إلى مصادر أخرى في علوم اللغة والنحو، فقد اشتملت الوساطة على صفحات دلت على معرفة القاضي بمصادر اللغة والنحو، استخرج القاضي أمثلة منها للاحتجاج لشعر المتنبي، والأمثلة التي أوردها القاضي تدل على ثقافة لغوية واسعة. يتعسر على الباحث إرجاعها إلى مصادر محددة، وقد تضمنت الصفحات الأخيرة من الوساطة تحولاً عن القسم الأول من الوساطة، إذ أنه كان يوازن بين الأشعار بثقافة لغوية نقدية بلاغية أدبية، ثم نراه في آخر الوساطة يخصص فصولاً لما عاب العلماء على أبي الطيب فيتحول إلى ناقد لغوي على غرار اللغويين والنحويين، وقد أشرنا إلى بعض مصادره في الاستشهاد مثل: معاجم اللغة، وكتاب سيبويه، ومعاني الفراء ونوادر أبي زيد، وغريب اللغة وغير ذلك، يستوي في هذه المصادر البصريون والكوفيون، والقاضي في هذه الفصول يمزج آراء المدرستين البصرية والكوفية، فكان أقرب إلى آراء المدرسة البغدادية، فالمتنبي عنده شاعر كبير وهو يحتج له من أشعار القدماء، ويسوغ له الضرورة والشذوذ محتمياً تارة بالفراء وتارة بأبي زيد وأخرى الأصمعي.

وقد كان في أسلوبه شيء من الاختيار دون مراعاة الأفصح من الكلام؛ فهو يقول في بعض كلامه: «لأن كلتيهما قبيلتان..»[١] مع أن الأفصح القول: لأن كلتيهما قبيلة، على الإفراد، وقد تصدى الحريري لنقد القاضي في دفاعه عن المتنبي، وذلك في «درة الغواص[٢]».

وقد أظهر القاضي في بعض الأماكن من الوساطة ميلاً صريحاً إلى الكوفيين ونحوهم، لأن المتنبي في استعمالاته سلكه بعض الدارسين في النحويين الكوفيين[٣].

ومن آثار نزعة القاضي الكوفية استناده إلى شاهد مجهول القائل احتج به القاضي للمتنبي في استعماله (إلاك) كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

واكتفاؤه بالقول: إن البيت من شواهد الفراء وناهيك بالفراء ثقة. ومن ذلك إيراده بعض شواهد الكوفيين في تسويغه الفصل بين المتضايفين واحتجاجه لاستعمال المتنبي بشاهد مجهول القائل مفضلاً رواية الفراء على رواية

(١) الوساطة: ٤٣.

(٢) ينظر بحثنا الشاهد الشعري عند الحريري في درة الغواص مجلة (أبحاث البصرة).

(٣) الدرس النحوي في بغداد ١٥٠ ـ ١٥٢.

wadod.org

سيبويه[١] وغير ذلك من الشواهد، ولكن الغالب عليه عدم التعصب إلى رأي بصري أو كوفي، فالمهم أن يورد ما يسوغ استعمال المتنبي، لكن ميله إلى الكوفيين كان واضحاً في ذلك، وقد يصرح بذكرهم دون البصريين كما في قوله: «وقالوا: مواطن مكة من ورق الحمى يريد: الحمام. وهذا باب يتسع فيه القول، وتتشعب فيه الوجوه، وقد صنفت كتب معروفة، ولأهل الكوفة فيه رخص لا تكاد توجد لغيرهم من النحويين»[٢].

ونحو قوله: «ليس على الشاعر عيب في اتباع اللغة النادرة إذا رواها الثقات.. وقد أجاز الفراء وغيره إلحاق هذه الهاء في الوصل» يعني بيت المتنبي: واحر قلباه.. ثم أورد عليه شاهداً من شواهد الفراء[٣] وقد أوردنا من مصادره كتب ابن السكيت وأبي عمرو الشيباني، وكلاهما من علماء الكوفيين، وحين يجد ما يؤيد رأيه عند غير الكوفيين ويجعله حجة كقوله في أبي زيد الأنصاري: «وأبو زيد ثقة والرواية عن العرب حجة»[٤].

مصادره الفقهية:

القاضي الجرجاني فقيه شافعي، وقد ذكره كل من ألف في طبقات الشافعية، وهو حين يجد فرصة يظهر ثقافته الفقهية مستنداً إلى الشافعي، ولعل من أبرز المواضع في الوساطة ذلك الموضع الذي تعرض فيه للكلام على لفظة (الأيم) في قول أبي تمام:

حلت محل البكر من معطىً وقد زُفت من المعطي زفاف الأيِّم[٥]

فقد شغل معناه ثلاث صفحات في الوساطة[٦] وفيه رد على الآمدي ودفاع عن الشافعي وقد سبقت الإشارة إلى ذلك.

٧) ـ المصادر الشفاهية وتتضمن مرويات القاضي:

السماع والمحاورة والمشاهدة والمعاينة والأشعار: ومن المصادر التي أغفل القاضي ذكرها مجموعة من الآراء اعتمد فيها القاضي ما سمعه وما نقله عن غيره، «وقد يكون سمعه عن آخرين» وما شاهده في أسفاره الكثيرة، وما وقف عليه من أخبار في أماكن مختلفة.

---

(١) انظر قول الشاعر: ترى الثور.... في الوساطة ٤٦٥ ومعاني الفراء ٢/ ٨ وكتاب سيبويه ١/ ١٨١. وينظر: في ميله إلى تخريجات الكوفيين: الوساطة: ٤٤١، ٤٤٣، ٤٥٠، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، و٤٦٣ و٤٦٤ و٤٦٥.

(٢) الوساطة: ٤٥٣.

(٣) الوساطة: ٤٦٣ ومعاني الفراء: ٢/ ٤٢٢.

(٤) الوساطة: ٤٤١.

(٥) ينظر البيت في ديوان أبي تمام بشرح التبريزي ٣/ ٢٥٣ ب٢٧ والموازنة ١/ ١٦٦.

(٦) الوساطة: ٧٩ ـ ٨١.

wadod.org

مـرويـات القاضـي:

أ ـ ما أسنده القاضي إلى بعض أهل الأدب في مواضع من الوساطة، يذكر القاضي أبياتاً يشير إلى أن بعض أهل الأدب قد ذكرها وذكر رأياً فيها والقاضي يرى خلافاً لرأيه. من ذلك قوله: «ومما أضيفه إلى هذا الباب وخالفني فيه بعض أهل الأدب قول الأعشى...»[١].

وقوله: «وربما جاء من هذا الباب ما يظنه الناس استعارة وهو تشبيه أو مثل، فقد رأيت بعض أهل الأدب ذكر أنواعاً من الاستعارة عدّ فيها قول أبي نواس... ولست أرى هذا وما أشبهه استعارة»[٢].

وربما أشار إلى أشخاص مجهولين دون أن يذكر مصدر ذلك كقوله: «فقد سلك مفسرو هذا البيت غير طريق، وقالوا فيه غير قول، فلم يزيدوا على تأكيد المحال بالمحال، وإضافة الخطأ إلى الخطأ»[٣].

ويقول في بيت المتنبي:

وإنـي لمـن قـوم كـأن نفـوسنـا بهـا أنـفٌ أن تسكـن اللحـم والعظمـا

«زعم بعض المحتجين عنه أن العرب تحمل الكلام على المعنى فتصرف الضمير عن وجهه»[٤]. وقد يكون هذا المحتج للمتنبي هو القاضي نفسه.

وثمة نُقولٌ ينسبها إلى (العرب) مثل قوله: «والعرب تقول: رهبوت خير من رحموت، أي أن تُرْهِبَ خير من أن تَرْحَم»[٥].

وحكايات متفرقة أخرى مجهولة المصادر كقوله: «وحكي عن بعض العرب الحكماء أنه سُئل عن أسوأ الناس حالاً فقال: من قويت شهوته وبعدت همته، واتسعت معرفته، وضاقت قدرته»[٦].

وقوله: حكى الجاحظ عن بعض الحكماء: أنه كان يقول في دعائه: «اللهم ارزقني حمداً ومجداً، فإنه لا حمد إلا بفعالٍ، ولا مجد إلا بمال»[٧].

وحكـايـات أخـرى عـن الأصمعـي وأبـي عبيـدة وأبـي الخطـاب

(١) الوساطة: ٤٣.
(٢) الوساطة: ٤١.
(٣) الوساطة: ٧٧.
(٤) الوساطة: ٤٤٧.
(٥) الوساطة: ٣٤٣.
(٦) الوساطة: ٣٨٧.
(٧) الوساطة: ٣٨٧.

wadod.org

الأخفش[١].

ب ـ السماع:

ويعد السماع مصدراً من مصادر القاضي الجرجاني، حيث ذكر مجموعة من الأخبار مصدرها السماع صدَّرها بقوله: «حدثني... وسمعت...» من ذلك قوله: «حدثني جماعة من أهل العلم عن أبي طاهر الحازمي وغيره من شيوخ المصريين عن يونس بن عبد الأعلى، قال: سألت الشافعي رضي الله عنه عن مسألة فقال: إني لأجد بيانها في قلبي، ولكن ليس ينطلق به لساني»[٢]. وقوله: «حدثني جماعة من أصحاب أبي رياش القيسي...»[٣].

وقوله: «وقد حدثني بعض أهل الأدب أنه حضر عند أبي الحسن بن لَنْكَكَ[٤]... ومما سمعه القاضي أيضاً قوله: «وقد سمعت رواة الشاميين يذكرون أنه أنشدهم قديماً (القنوع) ثم غير الإنشاد ورجع إلى (القناعة) يعني قول المتنبي: ولا القناعة بالإقلال من شيمي[٥].

وقوله: «وقد أنشدني بعض من أثق به لبعض العرب»:

متى نوهت في الهيجاء باسمي أتاك السيف أول من يجيب[٦]

فهذا نص على أنه لم يقرأه وإنما تلقاه سماعاً، وقوله: «وقد كان قدم مكة أيام مقامي بها... فأنشدنا قصيدة...»[٧].

جـ ـ ومن مصادره أيضاً المشاهدة والمعاينة، حيث ذكر تعقيباً على بيت عديٍ بن الرقاع:

وكأنها بين النساء أعارها عينيه أحور من جآذر جاسم

(وقد رأيت ظباء جاسم فلم أرها إلا كغيرها من الظباء، وسألت من لا أحصي من الأعراب عن وحش وجرة فلم يَرَ والهاً فضلاً على وحش ضريّة وغزلان بسيطة، وقد يختلف خلق الظباء وألوانها باختلاف المنشأ والمرتع، وأما العيون فقلَّ أن تختلف

(١) الوساطة: ١٩٢.
(٢) الوساطة: ٤٣٠.
(٣) الوساطة: ٥١.
(٤) الوساطة: ٤١٦.
(٥) الوساطة: ٤٦٣.
(٦) الوساطة: ٤٤٠.
(٧) الوساطة: ١٦١.

wadod.org

لذلك»[١].

الخلاصـة والنتائـج:

أظهرنا من هذا البحث المصادر التي اعتمدها القاضي الجرجاني في تأليف كتاب: «الوساطة بين المتنبي وخصومه» وأتينا على طائفة كبيرة من هذه المصادر التي تشكل مكتبة كاملة تتضمن كتب الأدب والشعر والنقد؛ فضلاً عن كتب اللغة والنحو، وأضفنا إليها مصادر أخرى تلقاها القاضي مشافهة وسماعاً، أو وقف عليها في أسفاره وتنقلاته في حواضر الدولة الإسلامية.

وكان ما خفي من هذه المصادر أضعاف ما ظهر عن طريق التصريح أو التلميح أو الإغفال. ولم يشأ القاضي أن يطيل في هذا الكتاب، لذلك كان اعتماده تلك المصادر مباشرة، ولسنا بصدد محاكمة القاضي وفق مناهج البحث الحديث في إسناد الأقوال إلى مصادرها، فقد كانت طبيعة البحث لدى المؤلفين القدماء الإحاطة بالمصادر التي يأخذون عنها دون التصريح بذكرها، غير أن حاجة الباحث [المعاصر] شديدة في معرفة هذه المصادر، فقد يخفى على الدارس مصدر ثقافة الكاتب فيشيد بآرائه، ولو عرف أصل تلك الآراء لتغيرت أحكامه. فالجهد الذي عرضه القاضي في الوساطة لم يكن إلا تجميعاً لآراء من سبقه كالآمدي ومهلهل، ولا سيما في الموازنات والبحث في سرقات الشعراء. والمنهج الذي اتبعه القاضي في دفاعه عن المتنبي يبدو واضحاً أنه منهج اللغويين والنحويين الكوفيين، واتباع المنهج البغدادي الذي ساد في القرن الرابع الهجري.

ولعل ما يخرج به الباحث في الحكم على ثقافة القاضي، والإفادة من مصادر تأليف الوساطة يجد خلاصته عند أحد النقاد في قوله: «ولن يضير كاتباً ـ مهما تكن عبقريته، ومهما سما فنُّه ـ أن يتأثر بإنتاج الآخرين، ويستخلصه لنفسه، ليخرج منه إنتاجاً منطبعاً بطابعه متسماً بمواهبه...

يقول بول فاليري: «لا شيء أدعى إلى إبراز أصالة الكاتب وشخصيته من أن يتغذى بآراء الآخرين، فما الليث إلا عدة خراف مهضومة»[٢].

وهكذا يمكننا القول ـ من خلال عرض هذه المصادر ـ إن كتاب الوساطة ما هو إلا عدة خراف مهضومة. فقد كان محور الوساطة الدفاع عن شعر المتنبي، لذلك سلك القاضي مسلكاً يؤدي به إلى هذه الغاية، فكانت الشرارة التي أوحت إليه بتأليف الوساطة،

---

(١) الوساطة: ١٣١ ـ ١٣٢.

(٢) الأدب المقارن: د. محمد غنيمي هلال: ١٧ ـ ١٨.

wadod.org

رسالة الصاحب وما سبقها وتلاها من نقد شعر المتنبي، وكان منهجه في ذلك خليطاً من الآراء والمصادر، فالموازنة ورسالة المهلهل أمدتاه بالموازنات وكتب البلاغة والنقد أمدته بالمصطلحات والمعاني، وكتب اللغة والنحو أمدته بالشواهد التي توصل عن طريقها إلى تسويغ استعمالات المتنبي، ثم وجد في أثناء الكتاب قدرته على الجدل والمناقشة، وتوسعت دائرة مصادره لتشمل الرواية والسماع والمشاهدة، فهو مؤلف يجد بغيته بكل هذه المصادر المكتوب منها وغير المكتوب؛ كالمحادثة والسماع والمشاهدة، فالثقافة عنده غير محصورة في الكتب والمصادر التي لم تحد من قدرته على طرح الآراء وتطوير الأفكار التي سبقته، فهو وإن أغفل الإشارة إلى تلك المصادر لم يكن غائب الشخصية، فهو ناقد حر يأخذ من غيره ويضيف إلى تلك الآراء، ثم هو ناقد أفاد من منصبه قاضي القضاة، حيث يجلس إلى الخصوم يستمع إليهم ويوجه آراءهم، ويوازن بينها ويطرح رأيه ويخرج من كل ذلك بحصيلة تقوده إلى أن يكون متابعاً مُنصفاً، يتوخى العدالة في الحكم ويقيس الأشباه والنظائر، فكان من ثمار ذلك كتاب الوساطة الذي نال استحسان القدماء، ووضعه المعاصرون في مقدمة الكتب النقدية التي تقف شاهداً على أصالة الفكر النقدي العربي، لكونه مصدراً من مصادر الأدب العربي، وموسوعة شعرية يجد كل دارس بغيته في ما ضمه كتاب الوساطة من آراء بلاغية ودلالية ولغوية، وهو فوق كل ذلك أهم كتاب تجاوز حدود النظرية إلى التطبيق واقترن بشعر أكبر شعراء العربية وهو المتنبي.

المصادر والمراجع

١ ـ أخبار أبي تمام: للصولي (٣٣٥هـ)، تحقيق: خليل محمد عساكر وآخرين، مط لجنة التأليف والترجمة ـ القاهرة ـ ١٩٣٧.

٢ ـ أخبار أبي القاسم الزجاجي (٣٤٠هـ). تحقيق د. عبد الحسين المبارك ـ دار الرشيد، بغداد ١٩٨٠.

٣ ـ أدب الكاتب ـ ابن قتيبة (٢٧٦هـ). تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ـ المكتبة التجارية ـ مط السعادة ـ مصر ط٣/ ١٩٥٨.

٤ ـ الأدب المقارن. د. محمد غنيمي هلال ـ ط٩ ـ دار العودة ـ بيروت ـ ١٩٨١م.

٥ ـ إصلاح المنطق ـ ابن السكيت (٢٤٤هـ). شرح وتحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ـ دار المعارف ـ مصر ط٢/ ١٩٧٠.

٦ ـ الأصمعيات ـ للأصمعي (٢١٥هـ). تحقيق عبد السلام هارون وأحمد محمد شاكر ط٤/ ١٩٧٦.

wadod.org

٧ ـ الأمالي ـ لأبي علي القالي (٣٣٥هـ)، مط السعادة ـ مصر ـ ط٣/ ١٩٥٣.

٨ ـ البيان والتبيين للجاحظ (٢٥٠هـ). تحقيق عبد السلام هارون ـ مكتبة الخانجي بمصر، مكتبة المثنى بغداد ١٩٦٠.

٩ ـ تاريخ النقد الأدبي عند العرب. د. إحسان عباس ـ ط٢/ دار الشروق ـ عمان ١٩٧١.

١٠ ـ تأويل مشكل القرآن ـ ابن قتيبة (٢٧٦هـ). تحقيق السيد أحمد صقر ـ ط٣ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٩٨١.

١١ ـ ثلاثة كتب في الحروف ـ للخليل وابن السكيت والرازي ـ تحقيق د. رمضان عبد التواب ـ مكتبة الخانجي ـ مصر ـ ١٩٨٢.

١٢ ـ جمهرة اللغة ابن دريد (٣٢١هـ) تحـ. د. رمزي بعلبكي، ط١/ دار العلم للملايين ـ ١٩٨٧.

١٣ ـ الحركة النقدية حول مذهب أبي تمام ـ من القديم. د. محمد الربداوي ـ دار الفكر للطباعة ـ بيروت.

١٤ ـ حلية المحاضرة ـ أبو علي الحاتمي (٣٨٨هـ). تحقيق د. جعفر الكتاني ـ وزارة الاعلام ـ بغداد ـ ١٩٧٩.

١٥ ـ خزانة الأدب ـ البغدادي (١٠٩٣هـ). تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي ـ مصر ـ دار الرافعي ـ الرياض ١٩٨٣.

١٦ ـ الخصائص ـ ابن جني (٣٩٢هـ)، تحـ محمد علي النجار ـ ط٢/ دار الهدى ـ بيروت ـ (مصورة ط. دار الكتب المصرية ١٩٥٢).

١٧ ـ الدرس النحوي في بغداد ـ د. مهدي المخزومي ـ وزارة الإعلام ـ بغداد ١٩٤٧.

١٨ ـ دلائل الإعجاز ـ عبد القاهر الجرجاني ـ (٤٧١هـ)، تحـ الشيخ محمود محمد شاكر، مط الخانجي ـ مصر، دار الرفاعي ـ الرياض ـ ١٩٨٥.

١٩ ـ ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي ـ تحقيق محمد عبده عزام ـ ج٣ ـ دار المعارف ـ مصر ط٣/ ١٩٧٦ والجزء الثاني ـ ط٢/ ١٩٦٩.

٢٠ ـ ديوان بشار ـ تحقيق محمد الطاهر بن عاشور ـ تونس ـ الجزائر ـ ١٩٧٦ وط. القاهرة ـ مط لجنة التأليف والنشر ١٩٥٧.

٢١ ـ ديوان الحماسة ـ رواية أبي منصور الجواليقي ـ تحقيق د. عبد المنعم أحمد صالح ـ دار الشؤون الثقافية ـ بغداد ـ ١٩٨٧.

٢٢ ـ ديوان شعر الإمام أبي بكر بن دريد الأزدي (٣٢١هـ) جمع السيد محمد بدر

wadod.org

الدين العلوي ـ مط لجنة التأليف ـ القاهرة ـ ١٩٤٦ .

٢٣ ـ ديوان الهذليين ـ الدار القومية ـ مصر، ١٩٦٥، تحقيق عبد الستار أحمد فراج.

٢٤ ـ ذيل الأمالي والنوادر ـ أبو علي القالي (٣٣٥هـ). منشورات دار الآفاق الجديدة ـ بيروت.

٢٥ ـ سر صناعة الإعراب ـ أبو الفتح عثمان بن جني ـ (٣٩٢هـ). تحقيق حسن هنداوي، ط١ دار القلم ـ دمشق ١٩٨٥ .

٢٦ ـ سرقات أبي نواس ـ مهلهل بن موت ـ (٣٣٢هـ). تحـ د. محمد مصطفى هدارة ـ مط مخيمر ـ القاهرة ١٩٥٧ .

٢٧ ـ شرح ديوان أبي الطيب المتنبي (الفسر) لابن جني (٣٩٢هـ). تحـ د. صفاء خلوصي ـ دار الشؤون الثقافية العامة ـ بغداد ١٩٨٨ .

٢٨ ـ شرح شواهد الشافية ـ للبغدادي (١٠٩٢هـ)، تحقيق محمد نور الحسن ومحمد زفزاف ومحمد محي الدين عبد الحميد ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٩٧٥ .

٢٩ ـ شرح الصولي لديوان أبي تمام ـ أبو بكر الصولي (٣٣٥هـ). تحقيق د. خلف رشيد نعمان ـ وزارة الإعلام ـ بغداد (١٩٧٧ ـ ١٩٨٢).

٣٠ ـ الشعر والشعراء ـ لابن قتيبة (٢٧٦هـ) ١ ـ ٢ ـ تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر ـ دار المعارف ـ مصر ١٩٨٢ .

٣١ ـ الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها ـ ابن فارس (٣٨٥هـ). تحقيق د. مصطفى الشويمي ـ مؤسسة بدران ـ بيروت ١٩٦٣ .

٣٢ ـ طبقات الشعراء لابن المعتز (٢٩٦هـ). تحقـ عبد الستار أحمد فراج ـ دار المعارف ـ مصر ١٩٥٦ .

٣٣ ـ العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب ـ ناصيف اليازجي (١٨٧١م) ـ المطبعة الأدبية ـ بيروت ١٨٨٧هـ.

٣٤ ـ العين للخليل بن أحمد (١٧٥هـ). تحـ د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي ج٦/ منشورات وزارة الثقافة والإعلام ـ بغداد ـ ط الكويت ١٩٨٢ .

٣٥ ـ عيون الأخبار ـ ابن قتيبة (٢٧٦هـ) نسخة مصورة عن ط دار الكتب المصرية ١٩٩٣م.

٣٦ ـ فعلت وأفلعت لأبي حاتم السجستاني (٢٥٥هـ) تحـ د. خليل العطية ـ ط جامعة البصرة ـ ١٩٧٩ .

٣٧ ـ الفهرست ـ ابن النديم ـ (٣٨٥هـ) ـ ط بيروت.

wadod.org

٣٨ ـ القاضي الجرجاني والنقد الأدبي ـ د. عبده قلقيلة ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ ١٩٧٣ .

٣٩ ـ القوافي ـ للأخفش (٢١٥هـ) تحـ د. عزة حسن ـ وزارة الثقافة ـ دمشق ١٩٧٠ .

٤٠ ـ الكامل في اللغة والأدب ـ للمبرد (٢٨٥هـ) ـ مكتبة المعارف ـ بيروت .

٤١ ـ كتاب سيبويه (١٨٠هـ). تحقيق عبد السلام هارون ـ جـ١/ ط٣/ ١٩٨٨ ـ مكتبة الخانجي، القاهرة.

٤٢ ـ الكشف عن مساوىء شعر المتنبي ـ الصاحب بن عباد (٣٨٥هـ). تحـ الشيخ محمد حسن آل ياسين ـ مكتبة النهضة ـ بغداد ١٩٦٥ .

٤٣ ـ كنز الحفاظ في كتاب (تهذيب الألفاظ) لابن السكيت (٢٤٤هـ) ـ المطبعة الكاثوليكية ـ بيروت ـ ١٨٩٥هـ بعناية الأب لويس شيخو اليسوعي.

٤٤ ـ المؤتلف والمختلف للآمدي (٣٧٠هـ) ـ تحـ عبد الستار أحمد فراج ـ دار إحياء الكتب العربية ـ القاهرة ـ ١٩٦١ .

٤٥ ـ مجاز القرآن ـ لأبي عبيدة ـ (٢١٠هـ). تحقق محمد فؤاد سزكين ـ مط السعادة ـ مصر ـ ١٩٧٠ .

٤٦ ـ المزهر في علوم اللغة وأنواعها ـ للسيوطي (٩١١هـ). تحقيق أحمد جاد المولى وآخرين ـ دار إحياء الكتب العربية ـ ط٤/ ١٩٥٨ .

٤٧ ـ المصون في الأدب ـ أبو أحمد العسكري ـ (٣٨٢هـ). تحقيق عبد السلام هارون ط٢/ ١٩٨٢ ـ مكتبة الخانجي ـ مصر .

٤٨ ـ معاني الشعر للأشناندانى (٢٨٨هـ) ـ تحقيق عز الدين التنوخي ـ دمشق ١٩٦٩ .

٤٩ ـ معاني القرآن للفراء (٢٠٧هـ) ـ ج٢ ـ تحقيق محمد علي النجار ـ مطابع سجل العرب ـ القاهرة ـ ١٩٦٦ .

٥٠ ـ المعاني الكبير ـ ١ـ٢/ ابن قتيبة (٢٧٦هـ) ـ دار المعارف العثمانية ـ حيدر آباد الهند ـ ١٩٤٩ .

٥١ ـ معجم الأدباء ـ ياقوت الحموي (٦٢٦هـ). تحـ مرغليوث ـ القاهرة ١٩١٦ .

٥٢ ـ معجم الشعراء ـ للمرزباني (٣٨٤هـ) ـ تحـ عبد الستار أحمد فراج ـ دار إحياء الكتب العربية ـ مصر ـ ١٩٦٠ .

٥٣ ـ الموازنة بين شعر الطائيين ـ للآمدي (٣٧٠هـ) ـ تحـ السيد أحمد صقر ـ دار المعارف ـ مصر ـ ط٢/ ١٩٧٠ .

wadod.org

٥٤ ـ الموازنة للآمدي ـ تحليل ودراسة ـ د. قاسم مومني ـ دار الشؤون الثقافية ـ بغداد ـ ١٩٨٥.

٥٥ ـ النظام في شرح المتنبي وأبي تمام ـ ابن المستوفي (٦٣٧هـ). تحقيق د. خلف رشيد نعمان ـ ج٧ ـ دار الشؤون الثقافية العامة ـ بغداد ١٩٩٨.

٥٦ ـ النقد المنهجي عند العرب ـ د. محد مندور ـ دار نهضة مصر للطبع والنشر ـ القاهرة ط٤/ ١٩٦٩.

٥٧ ـ كتاب النوادر في اللغة لأبي زيد الأنصاري (٢١٥هـ). تحـ د. محمد عبد القادر أحمد ط١/ دار الشروق ـ بيروت ـ ١٩٨١.

٥٨ ـ النوادر والتعليقات ـ لأبي علي الهجري (نحو ٢٩٦هـ). تحـ د. حمود عبد الأمير الحمادي ـ وزارة الثقافة والإعلام ـ بغداد ـ ١٩٨٠.

٥٩ ـ نور القبس المختصر من المقتبس ـ للمرزباني (٣٨٤هـ) اختصار الحافظ اليغموري ـ تحقيق رودلف زلهايم ـ المطبعة الكاثوليكية ـ بيروت ١٩٦٤.

٦٠ ـ الوحشيات (الحماسة الصغرى) ـ أبو تمام (٢٣١هـ). تحـ عبد العزيز الميمني الراجكوتي ـ دار المعارف ـ مصر ـ ط٢/ ١٩٧٠.

٦١ ـ الوساطة بين المتنبي وخصومه ـ القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني (٣٩٢هـ) ـ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي ـ ط٤/ مط البابي الحلبي ـ مصر ١٩٦٦.

٦٢ ـ يتيمة الدهر/ أبو منصور الثعالبي (٤٢٩هـ). تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ـ مصر ١٩٥٦.

البحوث والدوريات

ـ تقويم كتاب (معاني القرآن) للفراء ـ د. أحمد خطاب العمر ـ مجلة الورد ـ مج١٧ ـ ع٤ ـ ١٩٨٨.

ـ ذكر معاني أبنية الأسماء الموجودة في كتاب المفصل لابن مالك (٦٧٢هـ). تحقيق د. عبد الإله نبهان ـ مجلة (معهد المخطوطات العربية) ـ الكويت ـ مج٣٧ ج١ ـ ١٩٨٩.

ـ الشاهد الشعري عند الحريري في دُرّة الغواص. د. سلمى علي جبار ـ مجلة (أبحاث البصرة) العدد ٢٥/ ٢٠٠٠.

ـ علي بن يحيى المنجم (٢٠٠ ـ ٢٧٥هـ). د. يونس السامرائي. مجلة المجمع العلمي العراقي ـ مجـ ٣٦/ع١/ ١٩٨٥م.

wadod.org

ـ كتاب (المعاريض) لابن فارس (٣٩٥هـ). تحقيق د. أحمد خان ـ مجلة (المورد) ـ مج١٣ ـ ع٣ ـ ١٩٨٤.

ـ مؤلفات أبي حاتم السجستاني ـ د. خليل العطية ـ مجلة (الكتاب) بغداد ـ السنة التاسعة ـ العدد الرابع ـ ١٩٧٥.

ـ مؤلفات أبي عبيدة ـ د. ناصر حلاوي ـ مجلة المورد ـ مج٣ ـ ع٤ ـ ١٩٧٤.

(كتاب) الهمز لأبي زيد الأنصاري (٢١٥هـ)، نشره لويس شيخو اليسوعي ـ في مجلة «المشرق» السنة الثالثة عشرة ـ ١٩١٠، الأعداد: ٩، ١٠، ١١، ١٢.

wadod.org

اتجاهات تحقيق التراث في الجامعات العراقية

الأستاذة الدكتورة: إيمان مرهون الصفار

شهد القرن العشرين حركة دائبة واسعة لتحقيق التراث، وأسهمت فيه جهات مختلفة ومتنوعة كالجامعات ومراكز البحث العلمي، والجمعيات المختلفة ودور النشر الممتدة في أرجاء العالم العربي والإسلامي. وتجاوزته إلى بعض البلدان الأوربية. لقد دأب باحثون ومحققون بجدٍّ، وصبرٍ كبيرين لنفض غبار السنين الذي حجب ذخائر التراث. وكانت الحركة وليدة وعي كبير بوجوب الالتفات إلى أصالة الماضي، وربطها بالواقع ليكون البناء الفكري الحاضر أصيلاً مستمداً من القديم عراقته، وأصالته، ومن الحاضر التخطيط والوعي العلمي فكانت مناهج التحقيق تسير بخطى علمية اتضحت أكثر بمرور السنين، وتكرار التجارب. فلا عجب أن نجد اتجاهات مختلفة في اختيار المخطوطات، فبدت متنوعة تنوع الاتجاهات الفكرية والأدبية التي تدفع أصحابها إلى التوجه نحو هذا المخطوط دون غيره لتحقيقه ونشره.

وقد اخترنا رصد هذه الاتجاهات من خلال ما قدمه طلبة الدراسات العليا في الجامعات العراقية من جهود في تحقيق التراث، والتي انطلقت مكانياً من جامعة بغداد ـ الأم ـ إلى جامعة البصرة جنوباً مروراً ببابل والكوفة والأنبار والقادسية، وصعوداً إلى جامعة تكريت فصلاح الدين، فالموصل. فضلاً عن جامعتي المستنصرية، وجامعة صلاح الدين، ومعهد التاريخ العربي في بغداد.

ومعلوم أن هذه المتابعة لما حقق من التراث في الجامعات العراقية ليس بمعزلٍ عن جهود الجامعات العربية الأخرى، بل هو يعززها، ويصب في معين واحد هو خدمة الأمة العربية، واللغة العربية لغة القرآن الكريم.

لقد اهتمت الجامعات العراقية بتحقيق التراث منذ وقت مبكر، وإذا كان لأساتذتها الفضل في الإسهام في نشر التراث العربي الإسلامي؛ فإن عملنا هنا مخصص لجهود طلبة الدراسات العليا في تحقيق النصوص، وجهود الجامعات أساتذة وأقساماً في توجيه الطلبة نحو هذا الباب من أبواب المعرفة التي تغني الفكر المعاصر، وتربطه

wadod.org

بالماضي وتؤصله.

سيحاول البحث متابعة ما حقق منذ تأسيس الدراسات العليا في جامعة بغداد عام ١٩٦١ حتى أواخر عام ١٩٩٩.

إن أول جامعة فتحت أبوابها للدراسات العليا هي جامعة بغداد، التي استحدثت فيها دائرتان ملحقتان بكلية الآداب، وهما دائرة اللغة العربية، ودائرة التاريخ والآثار. وتخرجت الدفعات الأولى من طلبة الماجستير عام ١٩٦٦، والدفعات الأولى من الدكتوراه عام ١٩٧٦. وكان من أوائل ما اختير ليكون أطروحة ماجستير من كتب التراث «كتاب الطبقات» لخليفة بن خياط المتوفى سنة ٢٢٣هـ حققه أكرم ضياء العمري، وذلك عام ١٩٦٦. وفي العام نفسه حققت مناهل فخر الدين فليح كتاب «نصرة الثائر على المثل السائر» لصلاح الدين بن إيبك الصفدي، ونالت به درجة الماجستير.

وإذا أردنا أن نتابع اتجاهات الأقسام وطلبة الدراسات العليا في اختيار موضوعات التحقيق، فإننا بعد استقصاء أسماء الرسائل، والأطاريح التي نوقشت منذ عام ١٩٦٦ نجد في مقدمة الكتب المحققة كتب الدراسات القرآنية، إعراباً وتفسيراً، وبحثاً في لغته، ومعانيه، وقراءاته، ثم كتب الأدب، والمجاميع الأدبية فكتب الدراسات اللغوية، ثم كتب النحو فكتب التاريخ والسير، وكتب الفقه والشريعة.

وقد بدا الخط البياني تصاعدياً في رصد نسبة المتوجهين إلى تحقيق التراث في الدراسات العليا؛ فالأعوام ١٩٦٦، ١٩٦٧، ١٩٦٨، ١٩٦٩ كانت حصيلتها ستة كتب، وهو عدد معقول جداً لبدايات لم تتجاوز قسمي اللغة العربية والتاريخ في كلية واحدة هي كلية الآداب.

وأثمرت سنوات السبعينيات أربعة وثلاثين أطروحة في التحقيق، ثم يبلغ الخط التصاعدي أوجه خلال سنوات الثمانينيات فيفوق ما حقق في السبعينيات، وما سيحقق في التسعينيات. لقد بلغ ما حقق في الثمانينيات أكثر من خمسة وخمسين مخطوطاً، بينما لم يبلغ هذا العدد في التسعينيات مع اتساع دوائر الدراسات العليا بكثرة الطلبة المتقدمين لها من ناحية، وفتح جامعات وكليات جديدة من ناحية أخرى، مثل استحداث جامعة الكوفة بكليتيها الآداب، والتربية، وجامعة صدام للعلوم الإسلامية، وجامعة القادسية بكليتيها الآداب والتربية، وجامعة الأنبار.

أما كتب الدراسات القرآنية فإنها تنوعت ما بين الكتب المخصصة في إعراب القرآن أو تفسيره، أو كتب المتشابه، ويبرز بين هذه التوجهات خط تحقيق كتب القراءات القرآنية.

من أوائل ما حقق من كتب إعراب القرآن «مشكل إعراب القرآن» لأبي محمد

wadod.org

مكي بن أبي طالب القيسي المتوفى سنة ٤٣٧هـ. نال به حاتم صالح الضامن (الدكتور) درجة الماجستير من كلية الآداب ١٩٧٣ (وقد طبع الكتاب).

وحقق موسى إبراهيم موسى، سورتي الحمد والبقرة من كتاب «إعراب القرآن الكريم» لأبي طاهر إسماعيل بن خلف المتوفى سنة ٤٥٥هـ، وجعل التحقيق ملحقاً بأطروحة تحمل عنوان (دراسة الظاهر النحوية في إعراب القرآن الكريم، لأبي طاهر إسماعيل بن خلف). وقد نال بها درجة الدكتوراه من كلية الآداب ببغداد عام ١٩٩٨، وتقع الرسالة في ٣٢٤ صفحة، مضافاً إليها الدراسة والملاحق لتكون في ٥٣٩ صفحة.

وحقق عبد الرزاق أحمد الأحبابي سورتي الفاتحة والبقرة من كتاب «المجيد في إعراب القرآن المجيد» للسفاقسي. ونال به درجة الدكتوراه من كلية الآداب، جامعة بغداد ١٩٩٨ ويقع في ٧٦٠ صفحة مع دراسة لغوية للكتاب.

وسجل إبراهيم محمد مهاوش تحقيق كتاب «المجيد في إعراب القرآن المجيد» ـ سورة الأنعام إلى آخر سورة يونس ـ لينال درجة الدكتوراه عام ١٩٩٧ في كلية التربية (ابن رشد) جامعة بغداد.

أما ما حقق من كتب التفسير، تفسير معاني القرآن، وألفاظه فنسجل منه: «معاني القرآن» للأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة البلخي المتوفى ٢١٥هـ حققه عبد الأمير الورد، ونال به درجة الدكتوراه من كلية الآداب، جامعة بغداد ١٩٧٨، ويقع في ٦٨٨ صفحة (وقد طبع الكتاب).

وحقق «نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر» لجمال الدين أبي الفرج ابن الجوزي، قام بتحقيقه عبد الكريم كاظم راضي. ونال به درجة الماجستير عام ١٩٨٠ من كلية الآداب، الجامعة المستنصرية.

وفي عام ١٩٩٢ حقق صالح مهدي عباس كتاب «عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ» للسمين الحلبي، أحمد بن يوسف المتوفى سنة ٧٥٦هـ. وقدم له دراسة، نال بها درجة الدكتوراه من كلية الآداب، الجامعة المستنصرية ١٩٩٢.

ونال نشأة صلاح الدين الدوري درجة الدكتوراه بتحقيقه لكتاب «تفسير الخمسمائة آية من القرآن الكريم» لمقاتل بن سليمان الخراساني، وذلك في كلية العلوم الإسلامية، جامعة بغداد ١٩٩٩.

وفي هذه الكلية حقق أيضاً «تفسير قطف الأزهار في كشف الأسرار» حققته أسماء عدنان محمد سلمان، والكتاب للسيوطي (عبد الرحمن المتوفى سنة ٩١١هـ) ونالت به المحققة درجة الدكتوراه ١٩٩٧.

وفي جامعة صدام للعلوم الإسلامية سجلت أطروحتان عام ١٩٩٩ لتحقيق كتابين في تفسير القرآن، الأول: «تفسير سورة الكهف» من مخطوط منقول التفاسير ليوسف

wadod.org

الأصمّ سجله عبد القادر عبد الله، أما الأطروحة الأخرى التي سجلت ١٩٩٩، فهي بعنوان: «تفسير سورتي الأنفال والتوبة» لموفق الدين الكواشي، يقوم بتحقيقه محمد خليل لينال به درجة الماجستير.

وقلنا: إن تحقيق الكتب المتعلقة بالقراءات القرآنية تشكل أوضح خط في اتجاهات التحقيق في أقسام اللغة العربية، لما في هذه الكتب من ثروات كبيرة فيما يتعلق بالدراسات اللغوية والنحوية، والصرفية، فضلاً عما تقدمه من مادة مهمة لتفسير كثير من الآيات القرآنية. فانصرف إليها الطلبة، وانكبوا عليها دراسة وتحقيقاً.

ويؤرخ عام ١٩٨٥ نقطة الانطلاق في دراسة القراءات القرآنية، وتحقيق ما وصل من كتب عنها، فكان منها رسائل حققت مرويات بعض القراء، أو دراستها، وتحقيقها.

حقق دريد حسن أحمد كتاب «الوجيز في شرح قراءات القراء الثمانية وأئمة الأمصار الخمسة» لأبي الحسن بن علي الأهوازي (٣٦٢هـ ـ ٤٤٦هـ)، ونال به درجة الماجستير من كلية الآداب جامعة بغداد ١٩٨٥. ويقع الكتاب في ستمائة وخمس صفحات، شغل الكتاب أو النص المحقق الصفحات ٧٦ إلى ٥٩١، ودرس فيه المحقق رواة كتاب الوجيز، وأهميته، ثم وصف النسخ الخطية، ومنهج التحقيق.

وقد ألحق بعض الباحثين نصاً محققاً للدراسات التي قاموا بها؛ فقد درس عبد القادر السعدي (الجامع النحوي وآراؤه مع تحقيق كتاب الكشف) واسم كتاب الكشف هو «الكشف في نكت المعاني والإعراب»، وعلل القراءات المروية عن الأئمة السبعة للجامع النحوي. وقد نال بالدراسة والتحقيق درجة الدكتوراه من كلية الآداب ١٩٨٦.

وفي العام نفسه قام جايد زيدان بتحقيق كتاب «البديع» لابن خالويه المتوفى سنة ٣٨٠هـ ضمن أطروحته الموسومة بـ(اتجاهات التأليف في القراءات القرآنية). وقد شغل النص المحقق الصفحات ٤٠٠ إلى ٦٤٤ ونال به درجة الدكتوراه من كلية الآداب، جامعة بغداد.

وفي عام ١٩٨٧ حقق صالح مهدي عباس كتاب «الوسيلة إلى كشف العقيلة» لعلم الدين السخاوي، ونال به الماجستير من كلية الآداب، الجامعة المستنصرية.

وخطَت جامعة الموصل خطّاً في دراسة القراءات القرآنية من خلال جمع مرويات القراء، وقراءاتهم، ودراستها دراسة لغوية فكان منها قراءة عبد الله بن مسعود جمع وتحقيق ودراسة عبد الله حسن أحمد، ونال بها درجة الماجستير من كلية الآداب في جامعة الموصل ١٩٨٧.

ـ قراءة يحيى بن يعمر العدواني: جمع وتحقيق ودراسة جمعة حسين محمد. جمع في الفصل الثاني من أطروحته قراءة يحيى بن يعمر مسوقة على الآي والسور اسماً

wadod.org

ورقماً، وألحق جميع القراءات في الصفحات ١١٥ ـ ٢٤١ ونال بعمله هذا درجة الماجستير من كلية الآداب، جامعة الموصل ١٩٨٨.

ـ قراءة عاصم بن أبي النجود (المعلومات غير متكاملة عندي).

ـ قراءة يعقوب الحضرمي المتوفى سنة ٢٠٥هـ (دراسة لغوية نحوية) قام بها مصطفى عدنان محمد سلمان، ونال بها درجة الماجستير من كلية التربية في الجامعة المستنصرية.

ـ قراءة حمزة بن حبيب، دراسة نحوية وصرفية لحمودي زين الدين المشهداني، ونال بها درجة الماجستير عام ١٩٩٥ من كلية الآداب، جامعة بغداد.

ـ قراءة زيد بن علي، نال بها إبراهيم حمودي السامرائي درجة الدكتوراه من كلية الآداب، جامعة بغداد ١٩٩٥.

ـ قراءة شعبة بن عاصم، الظاهر اللغوية والنحوية فيها، لمحمد عادل أحمد ماجستير (؟).

ـ قراءة طلحة بن مصرف: دراسة نحوية، ولغوية. قام بها نافع سليمان جاسم في كلية التربية لابن رشد ١٩٩٨، ونال بها درجة الماجستير.

ومن الواضح من عناوين هذه الرسائل، ومناهج أصحابها أنهم أرادوا بها دراسات لغوية وصرفية ونحوية لقراءة من القراءات، مما دفعهم إلى جمع القراءة المعنية، وتحقيقها، فصحّ أن تدرج مع جهود التحقيق في الدراسات القرآنية.

ومن كتب القراءات التي حققت، ونال بها المحققون درجات علمية:

ـ الموضح في تعليل القراءات: لأبي العباس المهدوي المتوفى سنة ٤٤٠هـ، وهي أطروحة ماجستير من كلية الآداب، جامعة بغداد ١٩٨٨. وقدم المحقق للكتاب بدراسة درس فيها تعليل القراءات، ومنهج المهدوي، ومصادره، ثم الدراسة اللغوية. أما نص الكتاب المحقق فقد شغل الصفحات ٩١ ـ ٧٢٣.

ـ البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، حققه عبد الحسين عبد الله محمود، ونال به الدكتوراه من كلية الآداب، جامعة بغداد عام ١٩٩٠. وتناول في القسم الأول حياة المؤلف، وآثاره، ومنهجه، ثم مآخذه على الكتاب. وكان القسم الثاني هو النص المحقق وشغل الصفحات ٥٤٠ ـ ٦٩٧.

ـ جهد المقلّ: لمحمد بن أبي بكر المرعشي المعروف بساجقلي زادة المتوفى سنة ١١٥٠هـ، تحقيق ودراسة سالم قدوري حمد، ونال به درجة الدكتوراه من كلية الآداب، جامعة بغداد. ويقع في ٢٣٢ صفحة.

ـ حاشية ابن الحاج على النهجة المرضية، تحقيق محمد صابر مصطفى، وقد نال به الدكتوراه من كلية الآداب، جامعة بغداد عام ١٩٩٤.

wadod.org

ـ الكافي في القراءات السبع للرعيني: المتوفى سنة ٤٧٦هـ، حققته إيمان صالح مهدي عباس. وهو ملحق بأطروحة الماجستير الموسومة بـ (دراسة الظواهر اللغوية، والنحوية في كتاب الكافي في القراءات السبع مع تحقيق الكتاب). وذلك في كلية الآداب، جامعة بغداد ١٩٩٦.

ـ مصطلح الإشارات في القراءات الزوائد المروية عن الثقات: لابن الناصح علي بن عثمان محمد البغدادي المتوفى سنة ٨٠١هـ. دراسة وتحقيق عطية أحمد محمد، ونال به درجة الماجستير من كلية الآداب، جامعة بغداد ١٩٩٦.

ـ التجريد لبغية المريد في القراءات السبع: لأبي القاسم عبد الرحمن بن عتيق المعروف بابن الفحام المتوفى سنة ٥١٦هـ. حققه ضاري إبراهيم العاصي في كلية العلوم الإسلامية، جامعة بغداد ١٩٩٧، ونال به درجة الدكتوراه، ويقع في ٤٦٠ صفحة.

ـ الكنز في القراءات العشر: لأبي محمد، عبد الله بن عبد المؤمن الواسطي المتوفى سنة ٧٤٠هـ. حققه خالد أحمد عبد القادر المشهداني وألحقه بأطروحته الموسومة بـ (دراسة الظواهر اللغوية، والنحوية في كتاب الكنز في قراءات العشر). وقد نال به درجة الدكتوراه. ويقع النص في الأوراق ٨٧ ـ ٦٤٩.

ـ المستنير في القراءات العشر: لابن سوار البغدادي المتوفى سنة ٤٩٦هـ، دراسة وتحقيق عمار أمين محمد الددو، ونال به درجة الدكتوراه، من كلية الآداب، جامعة بغداد ١٩٩٩.

ـ تحفة الأنام في الوقف على الهمز لحمزة وهشام: لابن القاصح العذري البغدادي المتوفى سنة ٨٠١ درسه وحققه أحمد عبد الكريم شوكت الكبيسي، في أطروحة ماجستير من كلية العلوم الإسلامية في جامعة بغداد ١٩٩٩.

مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني لأبي العلاء الكرماني المتوفى سنة ٥٦٣هـ، دراسة وتحقيق عبد الكريم مصطفى مدلج. ونال به درجة الدكتوراه من جامعة بغداد ١٩٩٩.

ـ بيان المشكلات على المبتدئين من جهة التجويد في القرآن المبين، دراسة وتحقيق عبد الناصر طه مزهر. وهو موضوح أطروحة مسجلة في جامعة صدام للعلوم الإسلامية عام ١٩٩٩.

ـ الإيضاح في القراءات، دراسة وتحقيق مُنى عدنان غني. وهو كتاب سجل تحقيقه موضوع أطروحة دكتوراه في جامعة تكريت عام ١٩٩٧.

ـ المنتخب من فضائل القرآن: للباهلي الأندلسي، حققه محمد عبد الكريم العزاوي في معهد التاريخ العربي والتراث العلمي، ونال به درجة الماجستير (عام ؟).

wadod.org

واختيرت كتب تراثية للتحقيق، وهي في الأصل خُصَّت لدراسة الحديث النبوي، وندرجها هنا مع الدراسات القرآنية، لأنها متممة لها، وإن كانت تمثل اتجاهاً قصير المدى إذا قيس بالدراسات القرآنية أو الأدبية أو اللغوية. كان من أوائلها:

ـ التنبيه على خطأ الغريبين: للحافظ أبي الفضل محمد بن ناصر السلامي المتوفى سنة ٥٥٠هـ، دراسة وتحقيق سعيد كمال ستيته، وهو أطروحة ماجستير تناولت الكتاب بالدراسة، وشغل النص المحقق الصفحات ١٣٢ ـ ٢٨٧، وذلك من كلية الآداب، جامعة بغداد.

وحقق عبد الله الجبوري كتاب «غريب الحديث» لابن قتيبة، عبد الله بن مسلم المتوفى سنة ٢٧٦هـ، وتقع الأطروحة في ثلاثة أقسام وفي ١٥٤٦ صفحة، شغل التحقيق القسمين الثاني، والثالث. ونال به الدكتوراه عام ١٩٧٦ من كلية الآداب، جامعة بغداد.

ـ المجرد للغة الحديث: لموفق الدين عبد اللطيف البغدادي المتوفى سنة ٦٢٩هـ دراسة، وتحقيق فاطمة حمزة الراضي، ونالت به درجة الماجستير عام ١٩٨٣ من كلية الآداب، جامعة بغداد، ويقع في ٨٩٥ صفحة.

ـ مختصر غريب الحديث: لعباد الطالقاني المتوفى سنة ٣٨٥هـ، دراسة وتحقيق عباس خضير عباس، ونال به درجة الماجستير عام ١٩٨٧ من كلية الآداب، جامعة بغداد.

وتقف الدواوين الشعرية في مقدمة الكتب الأدبية المحققة، إذ التفتت إليها أقسام اللغة العربية لتحقيق ما وصل من هذه الدووابن، أو جمع أشعار ما لم تجمع، وتحقيقها، فكان أن حققت أشعار شعراء جاهليين وإسلاميين وعباسيين، بعضها اعتمد محققوها على نسخ خطية عثروا عليها وآخرون جمعوا أشعار الشعراء من مظانّها في المصادر العربية القديمة، وقاموا بتحقيقها وتخريجها، نذكرها مرتبة وفق سنوات التحقيق:

ـ ديوان شعر جحظة البرمكي، جمع شعره، وحققه مزهر السوداني، وقد شغل التحقيق الفصل الرابع من أطروحة تحمل عنوان (جحظة البرمكي الأديب الشاعر) وخصص الفصل الخامس فيما نسب له ولغيره. ونال به صاحبه درجة الماجستير من دائرة اللغة العربية في جامعة بغداد ١٩٦٧، ويقع في ٣٢٣ صفحة (وقد طبع فيما بعد).

ـ ديوان أمية بن أبي الصلت، دراسة وتحقيق بهجت عبد الغفور الحديثي، وكانت حصة الديوان في الباب الثالث. ونال بها الباحث درجة الماجستير عام ١٩٧٣ من كلية الآداب، جامعة بغداد (وقد طبع).

wadod.org

ـ ديوان الملك الأمجد، مجد الدين الأيوبي المتوفى سنة ٦٢٨هـ، دراسة وتحقيق ناظم رشيد شيخو، نال به درجة الماجستير من كلية الآداب، جامعة بغداد ١٩٧٣.

ـ شعر الخوارزمي، وقد حقق وأُلحق بالأطروحة الموسومة بـ(أبو بكر الخوارزمي، حياته، وأدبه) ونال به محمود صالح الضمور درجة الماجستير من كلية الآداب، جامعة بغداد ١٩٧٧.

ـ شعر فتيان بن علي الشاغوري المتوفى سنة ٦١٥هـ، وهو ضمن رسالة تحمل عنوان فتيان بن علي الشاغوري، حياته وشعره. قامت بتحقيقه ودراسته سالمة جاسم، ونالت به الماجستير من كلية الآداب، جامعة بغداد ١٩٨٥.

ـ شعر دواد بن عيسى الأيوبي، وهو القسم الثاني من أطروحة دكتوراه، تقدم بها ناظم رشيد شيخو، وتقع في ٥٧١ صفحة. كلية الآداب جامعة بغداد ١٩٨١، وتحمل اسم داود بن عيسى الأيوبي، حياته، وشعره، وتحقيق الفوائد الحلبية من الفرائد الناصرية.

ـ شعر الموثبات قبل الإسلام، وهو جمع وتحقيق، ودراسة لشعر الموثبات في الشعر العربي قبل الإسلام. نال به درجة الماجستير محمد فتاح الجباوي من كلية الآداب، جامعة بغداد.

ـ ديوان الأبله البغدادي (٥٢٠ ـ ٥٧٩هـ). وهو الفصل الرابع من أطروحة الماجستير التي تحمل العنوان نفسه، ويشغل الصفحات ١٩٦ ـ ٧٦٠، ونالت به سعاد جاسم محمد درجة الماجستير من كلية الآداب، جامعة الموصل ١٩٨٥.

ـ المهلهل بن ربيعة التغلبي، حياته وشعره، دراسة وتحقيق نافع منجل شاهين، نال به درجة الماجستير من كلية الآداب، الجامعة المستنصرية ١٩٨٦.

ـ شعر بكر بن وائل، حققه حميد آدم ثويني، ملحقاً برسالة تحمل عنوان (شعر بكر بن وائل، دراسة تاريخية، وفنية، وجمع ما لم يجمع من شعر شعرائها). نال به درجة الدكتوراه من كلية الآداب، جامعة بغداد ١٩٨٦ وتقع في ٧٣٦ صفحة.

ـ ديوان ابن دُنَيْنير اللخمي، أبي إسماعيل، إبراهيم بن محمد بن إبراهيم المتوفى سنة (٦٢٧هـ). تقدم بها جاسم محمد جاسم، ونال بها درجة الدكتوراه من كلية الآداب ـ جامعة بغداد، عام ١٩٨٧. ويقع في ٦٥٤ صفحة.

ـ ديوان راجح الحلي بن إسماعيل بن أبي القاسم الأسدي (٥٧٠ ـ ٦٢٧هـ)، تحقيق ودراسة، قامت بها أميرة محمود عبد الله، ونالت بها درجة الماجستير عام ١٩٨٧ وتقع في ٨١٥ صفحة.

ـ ديوان الحاجري، حسام الدين عيسى بن سنجر الأربلي (ت ٦٣٢هـ) وهو

wadod.org

القسم الثاني من رسالة الماجستير التي تقدم بها صاحب شنون الزيدي إلى كلية الآداب، جامعة بغداد ١٩٨٨.

ـ ديوان أبي نواس برواية الصولي. درسه وحققه بهجت الحديثي، ونال به درجة الدكتوراه من كلية الآداب، جامعة بغداد ١٩٨٨.

ـ شعر سليم في عصر ما قبل الإسلام: لعبد الحسين حداد كنيهل نال به الدكتوراه من كلية الآداب، جامعة بغداد ١٩٨٩.

ـ خير أنيس لخير جليس، وهو ديوان شعر لعلي بن خلف الحويزي، حققه عبد الرحمن كريم اللآمي، ونال به درجة الدكتوراه من كلية الآداب، جامعة بغداد ١٩٨٩.

ـ شعر الخلفاء العباسيين (٢٣٢ ـ ٦٥٦هـ) لأحمد حسين محمد، نال به درجة الماجستير من كلية الآداب. جامعة الموصل ١٩٩٠.

ـ شعر قبيلة عبس لخالد ناجي حمد السامرائي. نال به درجة الماجستير من كلية الآداب، جامعة بغداد ١٩٩٤.

ـ شعر قبيلة الخزرج قبل الإسلام، جميع ودراسة وتحقيق عبد الباقي بدر ناصر، تقدم به إلى كلية الآداب، الجامعة المستنصرية ١٩٩٥.

ـ شعر أيام الإسلام من الهجرة النبوية حتى نهاية حروب الردة، دراسة تحليلية، توثيقية، جمع وتحقيق ناهي إبراهيم محمد، نال بها درجة الدكتوراه من كلية الآداب، الجامعة المستنصرية ١٩٩٥.

ـ شعر الأطباء في العصر العباسي الثاني (٣٣٤ ـ ٦٥٦هـ) جمع ودراسة رافد رشيد مجيد. نال به درجة الماجستير من كلية التربية، ابن رشد ١٩٩٨.

ـ شعر ابن أبي الحديد: لعبد الجبار سلمان عبد الكريم ضمن أطروحة (ابن أبي الحديد شاعراً مع تحقيق ودراسة)، كلية الآداب جامعة بغداد ١٩٩٣.

ـ ديوان شعر خلفاء بني أمية (ضمن أطروحة تحمل عنوان: التراث الشعري لخلفاء بني أمية من ٤١هـ ـ ١٣٢هـ) جمع وتحقيق ودراسة خالد عبد جبري الجنابي، نال به درجة الدكتوراه من كلية الآداب، جامعة بغداد ١٩٩٨.

ـ ديوان الصرصري المتوفى سنة ٦٥٦هـ، حققه فراس عبد الرحمن في كلية التربية للبنات، جامعة الأنبار، ونال به درجة الماجستير عام ١٩٩٩.

ـ أرجوزة خليل البصير، أرجوزة عبد الله العمري، أرجوزة فتح الله القادري، ملحقة برسالة تحمل عنوان: الشعر العراقي في النصف الأول من القرن الثامن عشر، نال بها نبيل محمد سلمان درجة الماجستير، وتقع في ٢٩٦ صفحة.

أما الكتب الأدبية، أو المجاميع المحققة فهي:

ـ الجليس الصالح الكافي، والأنيس الناصح الشافي: للقاضي أبي الفرج

wadod.org

المعافى بن زكريا الحريري المتوفى سنة ٣٩٠هـ. حققه محمد مصطفى رسلان في كلية الآداب ١٩٧٠ ونال به درجة الماجستير.

ـ شرح المعلقات. أو شرح القصائد التسع المشهورات، صنعة أبي جعفر أحمد بن محمد النحاس المتوفى سنة ٣٣٨هـ، دراسة وتحقيق أحمد خطاب العمر، ويقع النص المحقق في الفصل السادس، ويشغل الصفحات ٧٠ ـ ٦٧٥، نال به درجة الماجستير من كلية الآداب، جامعة بغداد ١٩٧١.

ـ جمهرة الإسلام ذات النثر والنظام: للشيزري مسلم بن محمود (ت ٦٢٢هـ) حققه، ودرسه منذر رديف داود، ونال به درجة الدكتوراه، من كلية الآداب، جامعة بغداد ١٩٩٠. ويقع النص في ١٠٢٩ صفحة.

ـ الاعتماد الأدبي، لإسماعيل بن موسى بن إسماعيل الحبيشي المعروف بالمعدل، وهو أطروحة ماجستير مسجلة في جامعة القادسية عام ١٩٩٩ سجلها عبد الله عبد القادر الطويل.

ومن الكتب الأدبية المحققة في أقسام اللغة العربية ما يتعلق بعلم العروض منها:

ـ الكافي في العروض والقوافي: لأبي زكريا بن علي المعروف بابن الخطيب التبريزي المتوفى سنة ٥٠٢. تحقيق حميد حسن الخالصي. نال به درجة الماجستير من كلية الآداب ١٩٧٠. ويقع النص المحقق ما بين الصفحات ٦٠ ـ ٢٧٠.

ـ موارد البصائر لفرائد الضرائر: لابن عبد الحليم. تحقيق ودراسة حازم سعيد يونس. كلية الآداب، جامعة الموصل ١٩٨٦ (ماجستير).

أما الكتب البلاغية التي حققها طلبة الدراسات العليا فهي:

ـ نصرة الثائر على المثل السائر: لصلاح الدين خليل بن إيبك الصفدي المتوفى سنة ٧٦٤هـ. حققته مناهل فخر الدين فليح من دائرة اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة بغداد عام ١٩٦٨. ونالت به درجة الماجستير. درست في القسم الأول المؤلف، وصلة الكتاب بالمثل السائر، وبكتاب الفلك الدائر. وتقع الرسالة في ٢٩٧ صفحة.

ـ طراز الحلة، وشفاء الغلّة بشرح بديعية ابن جابر أحمد بن يوسف الغرناطي. حققته حزام جمال الدين الألوسي، ونالت به درجة الماجستير من كلية الآداب، جامعة بغداد عام ١٩٧٠، وكانت حصة التحقيق ٣٠٤ صفحة، ودراسة حياة المؤلف ونظرة في البديع في ١٠٢ صفحة.

ـ حسن التوسل إلى صناعة الترسل: لشهاب الدين محمود الحلبي (المتوفى سنة ٧٢٥هـ). تحقيق أكرم عثمان يوسف. نال به درجة الماجستير من كلية الآداب جامعة بغداد، عام ١٩٧٦. ويقع الكتاب في ٣٧٧ صفحة.

wadod.org

ـ سر الفصاحة: لابن سنان الخفاجي المتوفى سنة ٤٦٦هـ. وقد حققه سليم سليمان الأنصاري في كلية الآداب، جامعة بغداد، عام ١٩٧٦، و شغل الكتاب المحقق القسم الثاني من الأطروحة وفي ٥١٩ صفحة. ونال به صاحبه درجة الماجستير.

ـ مفتاح العلوم: للسكاكي المتوفى سنة ٦٢٦هـ. تحقيق أكرم عثمان يوسف. نال به درجة الدكتوراه من كلية الآداب جامعة بغداد عام ١٩٨٠ وشغل نص الكتاب الصفحات ١٠٣ ـ ٧٨٣ (وقد طبع الكتاب).

ـ زهر الربيع في شواهد البديع، لناصر الدين بن قرقماس المتوفى (٨٨٢هـ) دراسة وتحقيق وسن صالح حسين الحياني. نالت به درجة الماجستير من كلية التربية في جامعة الأنبار ١٩٩٧.

أما الكتب التراثية التي تتعلق بالدراسات النحوية، فقد تلت الدراسات القرآنية والأدبية، ونشط الطلبة في اختيار المخطوطات وتحقيقها ودراستها. فكان من أوائل ما حقق من كتب النحو:

ـ المختصر في النحو: لأبي منصور الجواليقي، موهوب بن أحمد بن محمد المتوفى ٥٤٠هـ، قام بتحقيقه محرم جلبي، ونال به درجة الماجستير من دائرة اللغة العربية، جامعة بغداد عام ١٩٧٠، وقد شغل نص الكتاب الأوراق ٥٢ ـ ٢٠١.

ـ الإنصاف والخلاف النحوي بين المذهبين: لأبي البركات بن الأنباري، عبد الرحمن المتوفى سنة ٥٩٩هـ، وهو موضوع رسالة ماجستير نوقشت عام ١٩٧١.

ـ الوافية في شرح الكافية: لركن الدين الاستراباذي أبي الفضل الحسن بن محمد المتوفى سنة ٧١٥هـ، حققه محمد علي الحسين عام ١٩٧١.

ـ الكتاب البارع: لأبي علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي المتوفى سنة ٣٥٦هـ، حققه هاشم الطعان، ونال به درجة الماجستير من كلية الآداب، جامعة بغداد ١٩٧٢.

ـ المستوفي في النحو: لعلي بن مسعود الفرغاني (من القرن السادس الهجري) وقد حققه ملحقاً بالأطروحة الموسومة بـ(مسعود الفرغاني، وجهوده النحوية) حسن عبد الكريم حسن، ونال به درجة الماجستير. ويشغل النص المحقق الصفحات من ٢٧ ـ ٦٣٩، وذلك سنة ١٩٧٩ في كلية الآداب، جامعة بغداد.

ـ الاستغناء في حكم الاستثناء: لشهاب الدين القرافي المتوفى سنة ٦٨٢هـ، حققه طه محسن عبد الرحمن، ونال به درجة الدكتوراه عام ١٩٨١ وشغل النص المحقق الفصل الرابع من الأطروحة التي تحمل العنوان نفسه، وتقع في ٦٥٦ صفحة. وتمت مناقشتها في كلية الآداب، جامعة بغداد.

ـ البسيط في شرح الكافية: لركن الدين الاستراباذي، أبي الفضل الحسن بن

wadod.org

محمد (٦٤٥ ـ ٧١٥هـ)، درسه وحققه حازم سليمان، ونال به درجة الدكتوراه من كلية الآداب، جامعة بغداد. والنص يشغل القسم الثاني من الأطروحة الموسومة بـ (ركن الدين الاستراباذي، وكتابه البسيط في شرح الكافية) والمجلدان يقعان في ١٣٦٥ صفحة.

ـ اللباب في الرد على ابن الخشاب لابن بري عبد الله بن بري بن عبد الجبار المقدسي المتوفى سنة ٥٨٢هـ حققه حاكم مالك الزيادي. وهو القسم الثاني من الأطروحة الموسومة بـ (ابن بري، وجهوده اللغوية). وقد نال به درجة الدكتوراه من كلية الآداب، جامعة بغداد، ويقع في ٥٠٨ صفحات مع الدراسة.

ـ النكت على الألفية والكافية، والشافية، والنزهة: لجلال الدين السيوطي (المتوفى ٩١١هـ). حققه فاخر جبر مطر عام ١٩٨٣ ونال به درجة الماجستير من كلية الآداب جامعة بغداد.

ـ المنهل الصافي في شرح الوافي: للدماميني، محمد بن أبي بكر بن عمر (المتوفى سنة ٣٢٧هـ). درسه وحققه فاخر جبر مطر عام ١٩٨٩، ونال به درجة الدكتوراه من جامعة بغداد، كلية الآداب.

ـ شرح عيون كتاب سيبويه لأبي نصر هارون بن موسى القرطبي المتوفى (سنة ٤٠١هـ). حققه محمد سعيد حميد عبد الله في كلية الآداب، جامعة الموصل عام ١٩٨٥، وقد جعل الرسالة في قسمين، خصّ القسم الأول لدراسة المؤلف والكتاب، والقسم الثاني للنص المحقق من صفحة ١ـ ٣٧٢.

ـ النكت في تفسير كتاب سيبويه: للأعلم الشنتمري (المتوفى سنة ٤٩٦هـ) وهو القسم الثاني من أطروحة كتبها زهير عبد المحسن سلطان بعنوان (الأعلم الشنتمري وآثاره). وشغل قسم التحقيق الصفحات ١٠١٧ ـ ١٠٤١، ونال به درجة الماجستير من كلية الآداب، جامعة بغداد ١٩٨٥.

ـ علل النحو لابن الوراق المتوفى سنة ٣٨١هـ. وقد حققه محمود جاسم الدرويش، وجعله القسم الثاني ويقع في ٤٩٠ صفحة، من أطروحته الموسومة بـ (العلة النحوية تاريخ وتطور حتى نهاية القرن السادس الهجري). ونال به درجة الدكتوراه من كلية الآداب، جامعة بغداد ١٩٨٧.

ـ الموشح في شرح الكافية: لشمس الدين محمد بن أبي بكر بن محمد الخبيصي (من القرن الثالث عشر) قام بدراسته وتحقيقه محمد أمين عواد الكبيسي، ونال به درجة الماجستير في كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٨٩، ويقع في ٦١٤ صفحة مع الدراسة.

ـ بلوغ المرام في حل قطر ابن هشام لعبد الملك الإسفراييني المتوفى سنة

wadod.org

(١٠٣٧هـ). حققته هيام فهمي إبراهيم، ونالت به درجة الماجستير من كلية الآداب، جامعة بغداد عام ١٩٩٠، وشغلت الدراسة ٨٤ صفحة والنص المحقق ٤٢٦ صفحة.

ـ المنصف من الكلام على مغني ابن هشام: لأحمد بن محمد التميمي الشهير بالسمين المتوفى سنة ٨٧٢هـ. وقد حققته نضال محمد هاشم الرفاعي، ونالت به درجة الدكتوراه عام ١٩٩١ من كلية الآداب، جامعة بغداد ويقع الكتاب في ٧٣٧ صفحة.

ـ مجيب الندا إلى شرح قطر الندى: للشيخ عبد الله بن أحمد بن علي الفاكهي المكي المتوفى سنة ٩٧٢هـ. حققه محمد أمين عواد الكبيسي ونال به درجة الدكتوراه عام ١٩٩٦ من كلية الآداب جامعة بغداد، وشغل النص المحقق الثاني من الأطروحة التي تحمل العنوان نفسه من صفحة ١ ـ ٤٣٠.

ـ شرح الأعراب عن قواعد الإعراب للكافيجي، دراسة وتحقيق عادل محمد عبد الرحمن، ونال به درجة الدكتوراه عام ١٩٩٨ من كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، وتقع الرسالة في ٤٠٥ صفحة.

ـ التبصرة والتذكرة: لأبي محمد، عبد الله بن علي بن إسحاق الصيمري، حققه ظافر عكيدي فتحي، ونال به درجة الماجستير عام ١٩٩٨ من كلية التربية (ابن رشد) جامعة بغداد.

ـ المنهاج في شرح جمل الزجاج، درسه وحققه هادي عبد الله ناجي، ونال به درجة الدكتوراه عام ١٩٩٩ من كلية الآداب، جامعة بغداد.

ـ حل المعاقد على شرح القواعد، حققه عمر علي محمد في كلية التربية، جامعة الأنبار، ونال به درجة الماجستير عام ١٩٩٩.

ـ المسائل المشكلة المعروفة بالبغداديات: لأبي علي الفارسي، الحسن بن أحمد (المتوفى سنة ٣٧٧هـ). درسه وحققه عبد الله السنكاوي في كلية الآداب، الجامعة المستنصرية.

ـ تفصيل الجرجاني في النحو، دراسة وتحقيق محمد صالح حسن الجاف، نال به درجة الماجستير من معهد التاريخ العربي والتراث العلمي.

أما كتب التراث اللغوية فقد توجه الطلبة إلى تحقيقها منذ وقت مبكر، إذ سجل علي صائب حسون رسالة الماجستير عام ١٩٧١ في كلية الآداب، جامعة بغداد. وكانت تحقيق شرح ما في المقامات الحريرية من الألفاظ اللغوية لأبي البقاء العكبري، محيي الدين (المتوفى عام ٦١٥هـ).

وتوالت بعده التحقيقات فكان منها:

ـ الحلل في إصلاح الخلل من كتاب الجمل: لأبي محمد، عبد الله بن محمد ابن

wadod.org

السيد البطليوسي. حققه سعيد عبد الكريم في جامعة بغداد، كلية الآداب، عام ١٩٧٢، ونال به درجة الماجستير، ويقع في ٥٣٧ صفحة شغلت دراسة ابن السيد، ومؤلفاته، ودراسة الكتاب المحقق الصفحات ١ ـ ٥٣ وشغل نص الكتاب الصفحات ٥٣ ـ ٥١٨. وقد طبع الكتاب في وزارة الإعلام ببغداد.

ـ مجمل اللغة: لأحمد بن فارس المتوفى سنة ٣٩٥هـ. حققه هادي حسن حمودي عام ١٩٧٢ ونال به درجة الماجستير وشغل النص المحقق الصفحات ٩٥ ـ ٤٣٤.

ـ التنبيه على شرح مشكلات الحماسة: لأبي الفتح، عثمان بن جني المتوفى سنة ٣٩٢هـ. درسه وحققه عبد المحسن خلوصي الناصري، ونال به درجة الماجستير من كلية الآداب ١٩٧٤. ويقع الكتاب في ٦٢٤ صفحة.

ـ شرح فصيح ثعلب: لأبي منصور محمد بن علي بن الجبان الأصبهاني، ونال به عبد الجبار جعفر القزار، درجة الماجستير عام ١٩٧٤ من كلية الآداب، جامعة بغداد. ويقع في ٤٠٧ صفحة.

ـ النوادر: لابن الاعرابي، جمع مروياته وحققه كامل سعيد عواد شهوان في كلية الآداب جامعة بغداد ١٩٧٦. ونال به درجة الماجستير.

ـ الزاهر في معاني كلمات الناس: لابن الأنباري، أبي بكر محمد بن القاسم المتوفى عام ٣٢٨هـ. درسه وحققه حاتم صالح الضامن، ونال به درجة الدكتوراه من كلية الآداب ببغداد عام ١٩٧٧ ويقع في مجلدين وفي ٩٩٤ صفحة وقد طبع فيما بعد.

ـ المذكر والمؤنث: لأبي بكر بن الأنباري، درسه وحققه طارق عبد عون الجنابي، ونال به درجة الدكتوراه من كلية الآداب، جامعة بغداد، عام ١٩٧٧، ويشغل الكتاب المحقق الباب الثالث من الأطروحة الموسومة بـ (أبو بكر بن الانباري اللغوي، النحوي وكتابه المذكر والمؤنث). ويقع في مجلدين وفي ١٠٢٧ صفحة. وقد طبعته وزارة الأوقاف.

ـ المثلث في اللغة، للبطليوسي عبد الله بن محمد ابن السيد (المتوفى ٥٣١هـ)، وقد حققه صلاح مهدي الفرطوسي في قسمين وبلغ ٩٨٢ صفحة، ونال به شهادة الدكتوراه من كلية الآداب ـ جامعة بغداد ١٩٧٨.

ـ الشوارد في اللغة، وقد حققه عدنان عبد الرحمن حمودي في كلية الآداب الجامعة المستنصرية ١٩٨٠، ونال به درجة الدبلوم العالي. والكتاب المحقق هو لرضي الدين الحسن بن محمد الصغاني.

ـ مبادىء اللغة: لمحمد بن عبد الله بن الخطيب الأسكافي (ت ٤٢٠هـ). تحقيق محمد حسين شاه، ونال به درجة الدكتوراه من كلية الآداب، جامعة بغداد ١٩٨٢.

wadod.org

ويقع الكتاب في ٤٠٤ صفحة، وشغل التحقيق الصفحات ٨٨ ـ ٣٤٨.

ـ شرح مقصورة ابن دريد لابن هشام اللخمي. وهو القسم الثاني من أطروحة تحمل عنوان (ابن هشام اللخمي وجهوده اللغوية) حققه عبيد جاسم، ونال به درجة الماجستير من كلية الآداب ١٩٨٢، ويقع الكتاب في ٣٨٠ صفحة.

ـ عقد الخلاص في نقد كلام الخواص: لابن الحنبلي المتوفى سنة ٩٥٤هـ. حققته نهاد حسوني صالح، وألحقته بأطروحتها الموسومة بـ(جهود ابن الحنبلي اللغوية) ونالت به درجة الماجستير من كلية الآداب، جامعة بغداد سنة ١٩٨٢. ويقع في ٢٢١ صفحة.

ـ التقريب في علم الغريب: لابن خطيب الدهشة المتوفى سنة ٨٣٤هـ. دراسة مع تحقيق، وهو أطروحة دكتوراه تقع في قسمين وفي ١٤٢٠ صفحة من كلية الآداب، جامعة بغداد ١٩٨٦.

ـ غاية الإحسان في خلق الإنسان، للسيوطي عبد الرحمن المتوفى سنة ٩١١هـ. وهو جزء من أطروحة دكتوراه تحمل عنوان (خلق الإنسان)، دراسة منهجية ولغوية. كتبتها نهاد حسوني صالح، ونالت بها درجة الدكتوراه من كلية الآداب، جامعة بغداد ١٩٨٧.

ـ شرح الفصيح: لابن هشام اللخمي المتوفى سنة ٥٧٧هـ. وهو القسم الثاني من أطروحة تحمل عنوان (منهج شروح الفصيح) كتبها مهدي عبيد جاسم ونال بها درجة الدكتوراه، شغل القسم المحقق الصفحات ٢٠٩ ـ ٥٤٨، من كلية الآداب، جامعة بغداد ١٩٨٧.

ـ معاني الأدوات والحروف والاعراب: المنسوب للحسن بن الحسين البخاري. دراسة وتحقيق عبد الله عبد الرحمن أحمد، نال به درجة الماجستير من كلية الآداب ١٩٨٩.

ـ نوادر اللحياني، لأبي الحسن علي بن حازم المتوفى ٢٢٣هـ. حققه عبد العزيز ياسين عبد الله، ونال به شهادة الدكتوراه في كلية الآداب، جامعة الموصل ١٩٩٠.

ـ التفسح في منثور اللغة، ومنظومها، وإعراب القرآن الشاهد بذلك لها: للخزار عبد الله بن محمد بن سفيان المتوفى سنة ٢٨٢هـ. تحقيق ودراسة عبد الجبار عبد الأمير هادي، ماجستير من كلية الآداب جامعة البصرة، ١٩٩٠، ويقع في ٤٩٨ صفحة.

ـ شرح اللمع، لجامع العلوم المتوفى سنة ٥٤٣هـ. دراسة وتحقيق محمد خليل مراد، نال به شهادة الدكتوراه من كلية التربية للبنات ببغداد عام ١٩٩٣.

wadod.org

- المثلث اللغوي، دراسة تحليلية حقق معها كتاب «الألفاظ مثلثية المعاني» لأبي بيان تبأ بن محمد بن محفوظ (ت ٥٥١هـ)، علي محسن بادي، ونال بها درجة الماجستير من كلية الآداب، جامعة بغداد ١٩٩٤. وتقع الرسالة في ١٠٣ صفحة.

- مرويات شمر بن حمدويه اللغوية. جمع وتحقيق ودراسة قام بها حازم سعيد يونس ونال بها درجة الدكتوراه من كلية الآداب جامعة الموصل سنة ١٩٩٤.

- الفوائد والقواعد لعمر بن ثابت الثمانيني المتوفى سنة ٤٤٢هـ. وهو أطروحة دكتوراه من جامعة الموصل، كلية الآداب،عام ١٩٩٥.

- مرويات النضر بن شميل اللغوية، جمع وتحقيق محمد سعيد عبد الله، نال به شهادة الدكتوراه من جامعة الموصل، كلية الآداب ١٩٩٥.

- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، لنشوان بن سعيد الحميري. دراسة مع تحقيق المقدمة، وكتاب الهمزة، قامت بها سداد هاشم مراد، في كلية التربية للبنات، جامعة تكريت ١٩٩٦، ونالت بها الماجستير.

- مرويات أبي تراب اللغوية من كتاب الأعشاب. جمع وتحقيق ودراسة. قامت بها زهراء سعد الدين شيت، ونالت بها شهادة الماجستير من جامعة الموصل ١٩٩٦.

- الأمثال لأبي زيد الأنصاري. جمع ما تبقى من الكتاب، وتحقيقه ضمن أطروحة (الظواهر اللغوية في الأمثال العربية مع جمع ما تبقى من كتاب الأمثال لأبي زيد الأنصاري). قام بالدراسة والتحقيق عبد الحسين معتوق صقر، ونال بها درجة الدكتوراه من كلية التربية، جامعة البصرة ١٩٩٧.

أما كتب التاريخ والتراجم والحضارة، فلها نصيب في توجه الجامعات العراقية نحو التحقيق؛ إلا أنها أقل بكثير مما وجدناه في أقسام اللغة العربية. تبدو في مقدمتها كتب التراجم، تراجم المحدثين والمؤرخين والصحابة منها:

- الطبقات: لخليفة بن خياط، حققه أكرم ضياء العمري، ونال به درجة الماجستير عام ١٩٦٦ من دائرة الآثار والتاريخ التابعة لكلية الآداب، جامعة بغداد، ودرس فيه الباحث كتاب الطبقات، ومن ألّف فيه من الأوائل مع مقدمة في علم الرجال، واسم الأطروحة خليفة بن خياط وموارده. تحقيق ودراسة كتابه الطبقات (وقد طبع الكتاب).

- الوفيات: لتقي الدين محمد بن رافع السلامي. حققه صالح مهدي عباس، ونال به درجة الدبلوم في المخطوطات، وتحقيق النصوص من الجامعة المستنصرية، مركز تحقيق النصوص عام ١٩٨٠.

- التحبير في المعجم الكبير: للسمعاني. حققته منيرة ناجي سالم، ودرست في مقدمته السمعاني، وجمعه للحديث النبوي الشريف، وأماكن دراسته، والعلماء الذين

wadod.org

رووا عنه، ثم مؤلفاته، ثم كتاب التحبير، أهميته ومصادره، ثم النص المحقق.

- الإرشاد في معرفة علماء الحديث: لأبي يعلى الخليل بن عبد الله الخليلي المتوفى سنة (٤٤٦هـ). تحقيق آسيا كليبان علي. نالت به درجة الدبلوم من مركز إحياء التراث العربي عام ١٩٨١.

- التحبير في المعجم الكبير: للسمعاني، حققته منيرة ناجي سالم، درست في القسم الأول السمعاني وتحمله للحديث، وأماكن دراسته، والعلماء الذين رووا عنه، ثم مؤلفاته، وخصت بالتفصيل كتاب التحبير دراسة وتحليلاً، ثم كان القسم الثاني وهو التحقيق حققت منه إحدى وثلاثين ترجمة. عن كلية الآداب - جامعة بغداد.

- تحفة اللطائف في فضائل عبد الله بن عباس ووج والطائف: لجار لله محمد بن عبد العزيز بن عمر بن فهد المكي المتوفى سنة ٩٥٤هـ. دراسة وتحقيق فاروق عبد الرزاق الألوسي. نال به درجة الماجستير من كلية الآداب، جامعة بغداد ١٩٨٩.

- قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، لأبي مخرمة عبد الله بن الفقيه عفيف الدين الشيباني المتوفى سنة ٩٤٧هـ. دراسة وتحقيق أمل محمد حسن الجابري. نالت به درجة الماجستير من كلية التربية، جامعة بغداد ١٩٩٠.

- طبقات الشافعية: للإمام تقي الدين أبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري. تحقيق ساجدة هادي حسين، نالت به درجة الماجستير من كلية التربية للبنات ببغداد، ١٩٩٩.

أما كتب التاريخ فقد حظيت منذ وقت مبكر باهتمام قسم التاريخ في كلية الآداب، جامعة بغداد، كان منها:

- التذكرة الحمدونية: لمحمد بن الحسن بن حمدون، وقد اختارت بثينة شاكر محمود رامز الجزء الأول فقط الذي يخص التاريخ، وحققته، مع دراسته. وشغل التحقيق ٣٧٦ صفحة.

ومن الكتب التاريخية المهمة:

- تاريخ ابن زرعة الدمشقي. تحقيق شكر الله نعمت الله. نال به الماجستير من كلية الآداب، جامعة بغداد ١٩٧٢.

- التاريخ الغياثي من سنة ٦٥٦هـ - ٨٩١هـ. دراسة وتحقيق طارق نافع الحمداني. نال به الماجستير في كلية الآداب، جامعة بغداد ١٩٧٤.

- المصباح المضيء في خلافة المستضيء: لابن الجوزي، عبد الرحمن (ت ٥٩٧هـ). حققته ناجية إبراهيم عبد الله. ونالت به درجة الدكتوراه من كلية الآداب، جامعة بغداد (طبع).

wadod.org

ـ المستفاد من ذيل تاريخ بغداد: لمحمد بن إيبك الدمياطي. تحقيق محمد مولود مخلص، الجامعة المستنصرية ١٩٨٠، ويقع في ٦٨٠ صفحة.

ـ المختار من تاريخ ابن الجزري المسمى حوادث الزمان وأبنائه، ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه لابن الجزري. تحقيق خضير عباس المنشداوي. نال به درجة الماجستير من كلية الآداب، جامعة بغداد ١٩٨٤، ويقع في ٥٨٨ صفحة. وقد نال المحقق نفسه دبلوماً في تحقيق المخطوطات من مركز إحياء التراث لتحقيقه كتاب:

ـ المعونة في علم الحساب الهوائي: لابن الهائم المقدسي المتوفى سنة ٨١٥هـ وذلك في عام ١٩٨٢.

ـ التاريخ المجدد لمدينة السلام، وأخبار فضلائها الأعلام ومن وردها من العلماء والأنام: لمحب الدين أبي عبد الله محمد بن أبي الفضل محمود المعروف بابن النجار المتوفى سنة ٦٤٣هـ. دراسة وتحقيق آلاء نافع التكريتي، ويقع الكتاب في مجلدين وفي ٨٤٣ صفحة، وذلك من كلية التربية (ابن رشد)، جامعة بغداد ١٩٨٩.

ـ غربال الزمان المفتتح بسيد ولد عدنان: ليحيى بن أبي بكر العامري (ت ٨٩٣هـ)، تحقيق عبد الفتاح عبد الله محمود. نال به الماجستير من جامعة البصرة، كلية التربية ١٩٨٩.

وكان لجهود معهد التاريخ العربي التابع لاتحاد المؤرخين العرب في بغداد أثره في توجيه طلبة الدراسات العليا لتحقيق كتب في التاريخ والتراث عامة منها:

ـ مختار ذيل بغداد: لابن منظور المتوفى سنة ٧١١هـ بجزأين، حققه عبد الحسين عبد الله، ونال به الماجستير.

ـ المنتخب من تاريخ الأسر الطالبية. حققه عبد الحليم عبد الكريم المدني. ونال به الماجستير.

ـ أسماء رجال مشكاة المصابيح: لولي الدين محمد الخطيب العرابي. حققه عبد الجبار ستار البياتي، ونال به الماجستير.

ـ تذكرة الأولياء لمرتضى بن محمد آل نظمي البغدادي. حققه مجيد حميد هدّو.

ـ تاج التراجم في طبقات الحنفية. تحقيق عامر عطا عبد الغني، ونال به الماجستير.

ـ تاريخ بغداد: للبنداري الفتح بن علي (٦٤٣هـ). دراسة وتحقيق غازي محمد علي الديراوي. ونال به الماجستير.

ـ ذم الكلام: لشيخ الإسلام الأنصاري. تحقيق عبد الستار محسن ذياب. نال به الماجستير.

أما المخطوطات التي تخص جانباً من جوانب الحضارة الإسلامية فحظها قليل إذا

wadod.org

قيس بغيرها من كتب التراث. كان منها ما يتعلق باقتصاد الدولة الإسلامية مثل:

ـ قاطعة اللجاج في تحقيق حل الخراج: لمؤلفها علي بن الحسين الكركي (ت ٩٤٠). تحقيق عبد العظيم البكاء. نال به الماجستير، ويقع في ٤٠٦ صفحة. وخص القسم الثاني منه للتحقيق. وذلك من كلية الآداب، جامعة بغداد.

ومنها ما يتعلق بالزراعة مثل:

ـ المقنع في الفلاحة: لابن عمر بن محمد بن حجاج الإشبيلي المتوفى سنة ٤٦٦هـ. حققه إبراهيم محمد مهاوش، ونال به الدبلوم العالي من مركز تحقيق التراث ١٩٨١.

ومنها ما يتعلق بعلم من العلوم مثل تحقيق كتاب في الفلك أو علم الطبيعة مثل:

ـ سُلَّم العروج إلى علم المنازل والبروج: لمحمد عبد الرحمن الأحسائي الحنبلي المتوفى سنة ١١٦٤هـ، دراسة وتحقيق عدنان علي كرموش الفراجي. نال به درجة الدبلوم العالي من مركز تحقيق التراث عام ١٩٨١.

ـ مباهج الفكر، ومناهج العبر: لمحمد بن إبراهيم الوطواط. حقق قسماً منه، وهو القسم الخاص بالحيوان، عبد الرزاق أحمد محمود الحربي، ونال درجة الدبلوم العالي عام ١٩٨٠ من مركز تحقيق التراث، الجامعة المستنصرية.

ـ كنز العلوم، والدر المنظوم في حقائق علم الشريعة، ودقائق علم الطبيعة: لابن تومرت المصمودي المتوفى سنة ٥٢٤هـ. دراسة وتحقيق عامر عبد الغني البياتي، نال به درجة الدبلوم العالي من مركز إحياء التراث، الجامعة المستنصرية ١٩٨٠، ويقع في ٢٥٢ صفحة.

وتعد الكتب الأربعة الأخيرة، مع كتاب المختار من تاريخ ابن الجزري هي كل ما حقق في مركز إحياء التراث الذي كان ملحقاً بالجامعة المستنصرية ١٩٨٠ ـ ١٩٨١، ثم ألغي، وحل محله مركز إحياء التراث التابع لجامعة بغداد، وهو معهد له أنشطته الملحوظة في دراسة التراث العربي الإسلامي والعلمي منه بصورة خاصة، ولكنه لم يُعْنَ إلا قليلاً بتحقيق التراث وما طبع فيه لم يتجاوز الطباعة الأولية بالرونيو، ولعل سبب ذلك أن المركز أسس للبحوث، وليس للدراسات العليا فيه مكان.

أما الكتب المحققة في ميادين الفقه والشريعة والعقيدة، فقد توجه إليها قسم من طلبة كلية الآداب، و كلية العلوم الإسلامية (الشريعة) وجامعة صدام للعلوم الإسلامية فكان حصاد ذلك:

ـ الحاوي في شروط الطحاوي (الطحاوي متوفى سنة ٣٢١هـ). تحليل وترجمة وتحقيق روحي أوزجان. نال به الماجستير من كلية الآداب، جامعة بغداد ١٩٧٢.

ـ كتاب الحدود والسرقة إلى كتاب السير من المحيط البرهاني في الفقه النعماني

wadod.org

لمحمود بن أحمد بن عبد العزيز البخاري المتوفى سنة ٦١٦هـ. نال به درجة الدكتوراه من كلية العلوم الإسلامية، جامعة بغداد ١٩٩١.

- تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر: تحقيق بسام بن عبد الكريم بن بهلول. ويقع في جزأين الأول: في ١٧٣ صفحة، والثاني: وهو التحقيق يقع في ٥٥٦ صفحة. كلية العلوم الإسلامية، جامعة بغداد ١٩٩٣.

- القواعد في الفقه الإسلامي: لابن رجب الحنبلي. تحقيق مجيد علي محمد العبيدي. كلية العلوم الإسلامية، جامعة بغداد ١٩٩٣ وهو أطروحة ماجستير تقع في ٢٦٧ صفحة.

- مطالع الرقائق في تحرير الجوامع والخوانق: للإمام الأسنوي المتوفى سنة ٧٧٢هـ. حققه إبراهيم عبد سعود الجنابي. كلية العلوم الإسلامية، جامعة بغداد ١٩٩٦ ونال به صاحبه درجة الماجستير.

- تفسير قطف الأزهار في كشف الأسرار: تحقيق أسماء عدنان محمد سلمان. والكتاب للسيوطي عبد الرحمن المتوفى ٩١١هـ. نالت به المحققة درجة الدكتوراه من كلية العلوم الإسلامية ١٩٩٧ (تحقيق سورتي الفاتحة والبقرة).

- المجموع المذهب في قواعد المذهب. حققه أحور خضير عباس، ونال به درجة الدكتوراه من كلية العلوم الإسلامية ١٩٩٧.

- كتاب الطهارات من المحيط البرهاني في الفقه النعماني: لمحمود بن أحمد بن عبد العزيز البخاري المتوفى سنة ٦١٦هـ. حققه صالح مصلح الرواشدة، كلية العلوم الإسلامية ١٩٩٦ ونال به درجة الدكتوراه.

- كتاب الزكاة والعشر والخراج والمعادن من المحيط البرهاني في الفقه النعماني (للمؤلف السابق). حققه أحمد عباس مهنا العيساوي. ونال به درجة الدكتوراه من كلية العلوم الإسلامية، جامعة بغداد ١٩٩٧ ويقع في ٣٦٧ صفحة.

- جلاء الخاطر من كلام الشيخ عبد القادر. حققه إبراهيم عزة الدوري. نال به درجة الماجستير من جامعة صدام للعلوم الإسلامية ١٩٩٨.

- كتاب المناسك من المحيط البرهاني في الفقه النعماني (للمؤلف السابق). بغداد كلية العلوم الإسلامية ١٩٩٨. ونال بتحقيقه أحمد السيد محمود حسن البياتي درجة الماجستير. ويقع الكتاب في ٣٦٠ صفحة.

- كتاب النكاح إلى النفقة من المحيط البرهاني في الفقه النعماني (للمؤلف السابق). حققه مفلح عبد الواحد محمد سعيد الهيثي، ونال به درجة الدكتوراه من كلية العلوم الإسلامية ١٩٩٩. ويقع النص المحقق في ٥٣٣ صفحة.

- الانتصار لصحة نقل القرآن، والرد على من نحله الفساد بزيادة أو نقصان:

للقاضي أبي بكر محمد بن الطيب المعروف بالباقلاني المتوفى سنة ٤٠٣هـ. حققه عبد القدوس أسامة الحسيني، ونال به درجة الماجستير من كلية العلوم الإسلامية عام ١٩٩٨. ويقع في ٢٧٦ صفحة.

ـ كتاب الوقف من المحيط البرهاني في الفقه النعماني: لمحمود بن أحمد بن عبد العزيز البخاري المتوفى سنة ٦١٦هـ. حققه خالد أحمد صالح في كلية العلوم الإسلامية، جامعة بغداد ١٩٩٩، ونال به درجة الدكتوراه.

وهناك رسائل مسجلة لم تتم مناقشتها بعد، وهي:

ـ شرح الورقات: لإمام الحرمين محمد بن كمال الدين ابن إمام الكاملية. دراسة وتحقيق بشير مهدي الكبيسي. وهي أطروحة ماجستير مسجلة في جامعة صدام للعلوم الإسلامية.

ـ مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجة. تحقيق رائد يوسف جهاد مسجلة في جامعة صدام للعلوم الإسلامية.

ـ كتاب الحدود والأحكام لعلي بن محمد بن محي الدين بن مسعود السهروردي البسطامي. دراسة وتحقيق أحمد عليان. وهي أطروحة ماجستير مسجلة في جامعة صدام للعلوم الإسلامية.

ـ المنتخب في أصول المذهب: لحسام الدين أبي الفضل محمود بن محمد الأخسكيتي الحنفي، دراسة وتحقيق. مسجلة في جامعة صدام للعلوم الإسلامية لنيل درجة الدكتوراه.

ـ تفسير سورة الكهف: من مخطوط منقول التفاسير ليوسف الأصم، لعبد القادر علي عبد الله. مسجلة في جامعة صدام للعلوم الإسلامية.

ـ تفسير سورتي الأنفال والتوبة: لموفق الدين الكواشي. تحقيق نور الدين محمد خليل. رسالة مسجلة في جامعة صدام للعلوم الإسلامية.

ومن خلال هذا العرض الذي غطى مدة زمنية تزيد على الربع قرن ١٩٦١ ـ ١٩٩٩، تبين لنا أن جهوداً طيبة كبيرة قد بذلتها أقسام اللغة العربية والتاريخ والشريعة في الجامعات العراقية لتحقيق عدد مهم من المخطوطات التراثية تجاوزت أعدادها ١٥٠ مخطوطاً. وحين نقف عند هذا الرقم نقف وقفة متفائلة لبذل المزيد من الجهد، والمزيد من الوعي إزاء تراثنا المخطوط ليتوجه إليه الباحثون وطلبة الدراسات العليا. وحبذا لو تلتزم الجامعات العربية كلها بهذا الخط الجاد، وتلزم طلبتها في السنة التحضيرية، أو تلزمهم بتحقيق نص أو جزء من نص يلحق برسائلهم وفق الموضوعات التي يختارونها. وبهذه الخطوات نجلي الغابر عما دثر من ذخائر التراث. كما أن هذا التذكير بما حققه طلبة الدراسات العليا حرّي بالنشر، فليس ثمة فائدة تُرجى إذا اكتفى

wadod.org

طالب الدراسات بتحقيق الكتاب والحصول على الشهادة العليا، وإعادته إلى الرفوف حيث يلفه النسيان مرة أخرى. إن من شأن هذه الكتب أن تطلب من محققيها، وأن تتسارع دور النشر لطباعتها، ليطلع عليها القراء. فتسهم الجامعات بهذا في نشر الوعي الثقافي عند القارىء العربي فيما يخص المخطوطات العربية القديمة.

مراجع البحث

١ ـ مكتبات الكليات في الجامعات العراقية، ومراجعة الرسائل والأطاريح الجامعية والكتب المحققة منها، أو الملحقة بأحد أقسامها وأبوابها لغرض توثيق المعلومات، ووصف الكتاب المحقق.

٢ ـ فهرس الرسائل الجامعية (١٩٦٥ ـ ١٩٧٥) لكلية الآداب، إعداد: جلال محمود الدباغ. منشورات كلية الآداب عام ١٩٧٦.

٣ ـ فهرس الأطاريح الجامعية لكلية الآداب، جامعة بغداد من عام ١٩٧٦ ـ ١٩٨٥. إعداد ندى نعمان السعدي (مطبوعات وزارة التعليم العالي).

٤ ـ كشاف الدراسات العليا لكلية الآداب، جامعة الموصل (وهو كراس صغير لأسماء الرسائل لقسمي اللغة العربية. والتاريخ من عام ١٩٧٨ ـ ١٩٩٢.

٥ ـ فهرس الأطاريح الموجودة في الجامعة المستنصرية لغاية عام ١٩٩٠. (أجزاء مطبوعة على الآلة الكاتبة).

wadod.org

الشيخ الطوسي ومنهجه في القراءات

الدكتور عبد علي حسين الخماسي

المقدمة:

يستحق العلماء الأفاضل تسجيل كل الجهود العلمية التي خلفوها لنا وأرسوا قواعدها. حفظاً لتلك العلوم من الضياع، وعرفاناً بفضل أولئك الذين أمضوا جلّ حياتهم في البحث والتأليف، وصياغة مفردات الحياة التي تحقق السعادة للمجتمع.

والطوسي واحد من أولئك العلماء الأجلاء، وشخصية بارزة بسطت ذراعيها في مختلف العلوم، ولا سيما تلك التي تتعلق بكتاب الله العزيز، وأحكامه، ولا أدل على ذلك من كتابه [التبيان] في تفسير القرآن الذي جاء بعشرة مجلدات، عالج فيه ما يتعلق بالتفسير واللغة والنحو والقراءات. فضلاً عن مؤلفاته الأخرى التي قاربت الخمسين مؤلفاً.

إن القراءات القرآنية من أسبق العلوم العربية التي واكبت النص القرآني المنزل، وبتطورها أصبح لها نضال اتصال وثيق باللغة والنحو والصرف، وربما كانت العناية بالقراءات قد مهدت السبيل لقيام الدراسات اللغوية والنحوية، ولا سيما إذا ما عرفنا أن النحو لم ينشا إلا بفضل القرآن، لأن هدفه الأول هو الحفاظ على القرآن الكريم من اللحن والتحريف.

لقد كتب عن هذا العالم الجليل كثير من الباحثين، وتناولت جهوده المختلفة دراسات علمية كثيرة، لعل أبرزها تلك التي قدمها الدكتور حسن الحكيم بعنوان

wadod.org

«الشيخ الطوسي» تناول فيها كثيراً مما يتعلق بالطوسي، ثم جاءت دراسة الدكتور كاصد الزيدي الموسومة «منهج الطوسي في تفسير القرآن الكريم» ثم جاءت دراسة الباحث الموسومة «البحث اللغوي والنحوي في تفسير البيان» إلا أن هذه الدراسات على أهميتها والبحوث الأخرى التي كتبت عنه لم تغط جوانب هذه الشخصية كاملة. وظل للباحثين مجالهم الرحب في متابعة هذه الشخصية العلمية، ولا سيما في مجال القراءات، ذلك العلم الوافر الذي اتصل بالقرآن، وأثر في مختلف الدراسات اللغوية والنحوية، وحفظ لنا تراثاً ضخماً من لغات العرب ولهجاتهم المختلفة.

من هنا تأتي أهمية هذا البحث في الكشف عن جهود الطوسي القرائية ومذهبه فيها، ومنهجه في النقل، وقد تشكل البحث من مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة.

أما الفصل الأول: فقد تناول فيه الباحث حياة الطوسي وتفسيره، ثم عرف بالقراءات والقرّاء، في مبحثين مختصرين.

أما الثاني: فقد خصصه لمنهج الطوسي في القراءات ومصادره.

وكان الثالث على مبحثين: عالج في الأول مذهب الطوسي في القراءة، وفي الثاني منهجه في النقل، وكانت مصادره متنوعة أهمها «التبيان» لأنها المصدر الوحيد الذي اعتمده البحث في هذا المجال.

الفصل الأول

المبحث الأول - حياة الطوسي ومكانته العلمية:

نظراً للدراسات العلمية التي تناولت شخصية الطوسي ومؤلفاته وشيوخه وتلامذته[1]، وما فيها من التفصيل ارتأى الباحث أن يكتفي بعرض موجز عن حياته، تاركاً للقارئ الرجوع إلى المظان المفصلة إن أراد التفصيل والاستزادة، تحاشياً للتكرار.

---

(١) ظ [الشيخ الطوسي] د. حسن الحكيم، منهج الطوسي في تفسير القرآن الكريم: د. كاصد الزيدي. البحث اللغوي والنحوي في تفسير البيان: د. عبد علي الخماسي.

wadod.org

هو أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي[١] الملقب بالطوسي، نسبة إلى مدينة طوس التي اشتهرت بمركزها العلمي إذ تخرج فيها كثير من أئمة العلم، ودفن فيها كثير من مشاهير الأمة الإسلامية[٢].

ويهم الباحث في هذا البحث أن يسجل حقيقة ناصعة لا غبار عليها، لم تتعرض لها الدراسات السابقة لسبب أو لآخر. وهذه الحقيقة إن هذا العالم الجليل هو عربي الأصل، وليس أعجمياً كما يعتقد، ولنا في إثبات ذلك جملة من الأدلة النقلية والعقلية التي لا تقبل الشك، ولا أدل على ذلك من تشخيص الجاحظ لهذا الأصل، إذ نص على عروبته[٣]. فضلاً عن خزائن أخرى تثبت عروبته وتدحض مزاعم المتقولين والطاعنين منها: أنه ألف ما يقرب من الخمسين مؤلفاً، لم نجد بينها مؤلفاً واحداً باللغة الأعجمية، فلو صحت مزاعم أعجميته لنزعت نفسه يوماً ما إلى التأليف بهذه اللغة، كما أن الباحث عثر على نصوص في كتابه «المبسوط» يفضل فيها العرب على غيرهم وفي ذلك كما يعتقد الباحث دليل على عروبته.

ولد الطوسي في شهر رمضان سنة ٣٨٥ هـ[٤]، ونشأ في طوس وقضى فيها مدة شبابه الأولى، تلقى خلالها دروسه الأولية[٥]، ثم رحل إلى بغداد سنة ٤٠٨هـ[٦]، وكانت بغداد آنذاك تمثل مرحلة الازدهار الفكري والعلمي والأدبي، فأخذ الطوسي يحضر محاضرات جميع العلماء، ولا سيما محاضرات الشيخ المفيد - أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان(ت٤١٣ هـ) - فقيه الشيعة وزعيمهم آنذاك[٧]، ثم انتقل بعد وفاته إلى مجلس الشريف المرتضى علي بن الحسين ت٤٣٦ هـ - الذي كان يجمع من العلوم ما لم يصل إليه أحد في زمانه[٨]،

(١) ظ الفهرست: الطوسي ١٨٩، الرجال: النجاشي ٢٨٧.
(٢) ظ معجم البلدان: ياقوت الحموي ٤٩/٤.
(٣) ظ البيان والتبيين: الجاحظ.
(٤) ظ معجم المؤلفين: عمر كحالة ٢٠٢/٩.
(٥) ظ دائرة المعارف الإسلامية: مج ٣٧٦/١٥ مادة الطوسي.
(٦) ظ الغيبة: الطوسي ٢١٧.
(٧) ظ الرجال: ابن داود ق٣٣٣/١.
(٨) ظ الرجال: الطوسي ٤٨٥.

wadod.org

فلازمه حتى وفاته، حيث تولى بنفسه قيادة الشيعة في بغداد لمدة اثنتي عشرة سنة - ٤٣٦ - ٤٤٨ هـ زاد خلالها الإقبال عليه، وحضر مجلسه الكثير من العلماء من مختلف الطوائف الإسلامية، مما دفع الخليفة العباسي القائم بأمر الله ٤٢٢ - ٤٦٧ هـ إلى أن يمنحه كرسي الكلام، وكان هذا الكرسي لا يحظى به إلا من اشتهر بعلمه، وتفوق على أقرانه[١].

وبصورة عامة اتسم عصر الطوسي في بغداد ٤٠٨ - ٤٤٨ بظاهرة الصراع الفكري والعقائدي، وكان الطوسي واحداً من الذين ذاقوا مرارة ذلك الصراع. فنكبت داره، وأحرقت كتبه، وأخذ كرسيه الذي يجلس عليه للمناظرة[٢]، إلا أن ذلك لم يثن عالمنا الجليل عن طريقه، فقد ظل منكباً على البحث والدراسة والتأليف.

رحل إلى النجف الأشرف سنة (٤٤٨ هـ) وجاور قبر الإمام علي[٣] (عليه السلام)، فلما استقر رحله فيها صيرها مركزاً للعلم والعلماء، وأصبحت محط أنظار طلبة العلم، حتى قيل عنه: إنه (أول من جعل النجف مركزاً علمياً)[٤]. بعد أن كانت نواة لحركة علمية نمّاها وجعلها متخصصة في دراسة الفقه والحديث والأصول والعلوم الإسلامية الأخرى، إلى أن صارت من أوسع جامعات العالم الدينية وأهمها[٥].

أما مكانة الطوسي العلمية فهي غنية عن إطراء الباحث، فقد أطراها كثير من جهابذة العلماء والمفكرين[٦] وأصبحت معروفة عند أكثر الدارسين المتخصصين. فقد ترجم له الكثيرون حتى بلغت مصادر ترجمته (٧٨) ثمانية وسبعين

---

(١) ظ حديقة الرضوية: هروي ١٩.

(٢) ظ المنتظم: ابن الجوزي ٨/١٧٣، البداية والنهاية: بن كثير ٢/٩٧.

(٣) دائرة المعارف الإسلامية، البستاني/٢٤٠، الشيخ الطوسي مؤسس جامعة النجف، محمد رضا المظفر.

(٤) ظ الذريعة: الطهراني ٢/١٤.

(٥) العراق في العصر السلجوقي: حسن ٣٧٩.

(٦) حياة الشيخ الطوسي: الطهراني (مقدمة التبيان).

wadod.org

مصدراً[١]، وبلغت مؤلفاته (٤٧) سبعةً وأربعين مؤلفاً[٢] استقى مادتها من مختلف التصانيف العلمية.

لقد كان الطوسي حافظاً للقرآن الكريم، بصيراً بمعانيه، فقيهاً بأحكامه، عارفاً بالقراءات، عالماً بالسنن وطرقها، عارفاً بأيام العرب وأخبارهم ولغاتهم، متحصناً بأقوال الرسول (ص) والصحابة والأئمة رضوان الله عليهم في أحكام الدين ومسائله، وكان مفسراً لامعاً بين المفسرين.

توفي ليلة الاثنين، الثاني والعشرين من محرم سنة (٤٦٠ هـ) في النجف الأشرف، ودفن في داره التي أصبحت مسجداً فيما بعد عرف باسمه.

أما تفسيره [التبيان] فلابد للباحث من الإشارة إليه، لأنه المصدر الوحيد الذي يستقى منه منهج الطوسي في القراءات.

إن كتب التفسير التي سبقت الطوسي أو عاصرته كثيرة يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام: قسم لم يربط بين التفسير وعلم اللغة كتفسير القمي (ت٣٠٧ هـ)، والعياشي (ت٣٢٠ هـ) وغيرهم، وقسم اهتم بالجانب اللغوي ولكنه لم يصل إلينا، وإنما حفظت لنا الكتب العلمية الأخرى تقولاً عنه، كتفسير المفضل بن سلمة (ت٣٠٠ هـ) والبلخي (ت٣١٩ هـ) وغيرهم، وقسم ثالث: اهتم بالجانب اللغوي ووصل إلينا وهي كتب كثيرة[٣] لا يسع المقام لسردها هنا.

ومن يلق نظرة في تلك الكتب التي وصلت إلينا يجد لتفسير [التبيان] ميزة عليها تتلخص باقتصاده، واجتماعه على جميع فنون القرآن من القراءة والمعاني والإعراب والكلام على المتشابه[٤]. بينما كانت التفاسير السابقة لم تطرد في منهجيتها على نسق واحد فهي تطيل إلى حد الملل، أو تختصر لحد الإبهام، أو إنها تقتصر على روايات أحادية، أو تميل لجانب على آخر بقدر ارتباطها بذلك الجانب[٥].

---

(١) المصدر السابق (مقدمة التبيان).

(٢) ظ الشيخ الطوسي: د. حسن الحكيم ١٠٩-١٧١.

(٣) ظ البحث اللغوي والنحوي في تفسير التبيان: د. عبد علي الخماسي.

(٤) ظ التبيان: الطوسي ١/١.

(٥) ظ التبيان: الطوسي ١/١ المصدر السابق.

wadod.org

إن قيمة التبيان تتمثل فيما عرض له من آراء لغوية ونحوية وتفسيرية، وفيما عرض له من بيانات في القراءات القرآنية المشهورة منها والشاذة، وتوجيهها، وبيان علاقتها بلغات العرب، حتى أصبح هذا التفسير سجلاً حافلاً بكثير من المعارف والعلوم التي لابد منها لدارسي العربية.

المبحث الثاني - لمحة عن علم القراءات والقرّاء:

مرت القراءات القرآنية بأدوار مختلفة ضمن مراحل شتى متداخلة بعضها في بعض، حتى استقرت علماً من علوم القرآن الكريم، ومجالاً من مجالات الدراسات النحوية واللغوية، شأنها شأن العلوم الأخرى، فهي تولد صغيرة ثم تنضج وتكبر وتتشعب عن طريق البحث والاستقراء والدراسة.

إن أدوار التطور والنمو التي مرت بها القراءات كثيرة لا يسع البحث لها هنا. وقد فصلها البعض وأوصلها إلى ست عشرة مرحلة[١].

عرف الزركشي القراءات بقوله: (القراءات هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتابة الحروف أو كيفيتها من تخفيف أو تثقيل وغيرها)[٢]، وعرفها الدمياطي بأنها (علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها مفرداً لقائله)[٣].

ويستخلص من هذين التعريفين أن علم القراءات كان يختص بالمختلف من ألفاظ القرآن الكريم، بينما وسع علماء القراءات فيما بعد مفهومه حتى شملوا المتفق عليه.

لقد أحيط القرآن الكريم بالعناية والرعاية بما لم يحط به أي كتاب سماوي آخر، فقد احترم لفظه، ومعناه، وتعبد بتلاوته. وليس غريباً أن يكون علم القراءات من أسبق العلوم العربية التي واكبت النص القرآني، ثم أصبحت ذات اتصال وثيق بعلوم العربية من نحو وصرف ولغة وبلاغة. فهي منبع غزير غذى اللغة ومدها بالدراسات اللغوية والنحوية، لتصمد أمام التيارات الفكرية على مر العصور والأزمنة. بل هي سجل واف للغات العرب ولهجاتها، فإذا ما أردنا أن

---

(١) ظ القراءات القرآنية تاريخ وتعريف: د. عبد الهادي الفضلي ١٣ - ٥٢.

(٢) البرهان: الزركشي ٣١٨/١.

(٣) إتحاف فضلاء البشر: أحمد الدمياطي ٣.

wadod.org

ندرس هذه اللغات أو اللهجات فلا مندوحة من كتب القراءات، لأنها خير دليل لنا في تحقيق هذا الغرض.

بدأت نواة هذا الموضوع عندما قام الإمام الكبير ابن مجاهد بجمع سبع قراءات[١] لسبعة من أئمة الحرمين والشام والكوفة، اشتهروا بالضبط والأمانة وملازمة القراءة، في حين أن هناك عدد لا يستهان به من أئمة القراءة[٢]. وقد فسر مكي سبب اشتهار هؤلاء القرّاء السبعة دون غيرهم[٣]، وهؤلاء القراء هم: عبد الله بن عامر (ت١١٨ هـ)، وعبد الله بن كثير (ت١٢٠ هـ)، وعاصم بن أبي النجود (ت١٥٦ هـ)، وأبو عمرو بن العلاء (ت١٥٤ هـ)، وحمزة بن حبيب الزيات (ت ١٥٦ هـ)، ونافع بن أبي النعيم (ت١٦٩ هـ)، وعلي بن حمزة الكسائي (ت١٨٩ هـ)[٤].

وقد أقبل الناس في الأمصار الإسلامية على قراءة بعض الأئمة دون بعض، فاشتهرت في مكة قراءة عبد الله بن كثير، وفي المدينة قراءة نافع، وفي الشام قراءة ابن عامر، وفي البصرة قراءة أبي عمرو بن العلاء، وفي الكوفة قراءة حمزة وعاصم[٥].

والحقيقة أن هذه القراءات التي يقرأ بها اليوم، وصحت روايتها عن الأئمة هي جزء من الأحرف السبعة، وليست الأحرف السبعة التي وردت في الحديث النبوي[٦] لأن العلماء وضعوا ضابطاً لقبول القراءة، وبتوفر هذا الضابط وجد ما يسمى بالقراءات العشر والقراءات الأربع عشرة. فأما العشر منها تلك السبع المشهورة مضافاً إليها قراءة يزيد بن القعقاع المدني (ت١٣٢ هـ)، ويعقوب بن إسحاق الحضرمي (ت٢٠٥ هـ) وخلف بن هشام اليزاز (ت٢٢٩ هـ)، وهؤلاء

---

(١) ظ البرهان: الزركشي ١/٣٢٧.

(٢) المصدر السابق: ١/٣٢٩.

(٣) إتحاف فضلاء البشر: الدمياطي ٧، النشر في القراءات السبع: أبو عمرو.

(٤) طبقات القراء: ١٠-١٧ (٢٦١-٤٢٥/٢/٣٣٠-٣٨٩).

(٥) طبقات القراء: الجزري ١/٢٦١، البرهان: ١/٣٢٩.

(٦) ظ الإبانة عن معاني القراءات: مكي بن أبي طالب ٣، مباحث في علوم القرآن: د. صبحي الصالح ٢٤٧-٢٤٩.

wadod.org

ألحقهم المحققون بهؤلاء السبعة، لأن قراءتهم متواترة لا تخالف رسم المصدق[١].
وهم الذين أضاف إليهم الدمياطي أربعة قراء آخرين، لتصبح القراءات أربع عشرة قراءة، وهم ابن محيصين محمد بن عبد الرحمن المكي، واليزيدي يحيى بن المبارك، والحسن البصري، والأعمش سليمان بن مهران[٢].

والضابط الذي وضعه الأئمة ميزاناً يرجع إليه في قبول القراءة هو (السند والرسم والعربية... فإذا اجتمعت هذه الثلاثة في قراءة وجب قبولها، سواء كانت من السبعة أم عن العشرة أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين)[٣]. ولم يكتف البعض[٤] بصحة السند، بل اشترط التواتر أيضاً. والمراد بالتواتر ما رواه جماعة عن جماعة متفق على صدقهم مختلف في عددهم، فقيل ستة وقيل اثنا عشر وقيل عشرون، أو أربعون أو سبعون.

ويرى أصحاب التواتر أن القرآن الكريم هو ما نقل نقلاً متواتراً دون خلاف في ذلك، (وقد أجمع الأصوليون الفقهاء وغيرهم على أن الشاذ ليس بقرآن لعدم صدق الحد عليه والجمهور على تحريم القراءة به)[٥].

قال النووي (في شرح المهذب عن أصحاب الشافعي قال: قال أصحابنا وغيرهم: لا تجوز القراءة في الصلاة ولا غيرها بالقراءة الشاذة لأنها ليست قرآناً، لأن القرآن لا يثبت إلاّ بالتواتر، والقراءة الشاذة ليست متواترة، ومن قال غيره فغالط أو جاهل)[٦]، ومع ذلك فقد عني بعض اللغويين والنحاة بتتبع القراءات الشاذة، فألف فيها ابن خالويه كتاباً سماه [المختصر في شواذ القراءات] ووضع ابن جني كتابه [المحسن في توصية القراءات الشاذة]، ووضع العكبري كتابه المعروف [إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن] وتابعهم في ذلك عبد الفتاح الكافي فألف [القراءة الشاذة وتوجيهها من لغة

---

(١) البرهان: الزركشي ١/٣٣٠.
(٢) ظ إتحاف فضلاء البشر: الدمياطي٧.
(٣) المصدر السابق ٤-٥.
(٤) ظ المصدر السابق ٥.
(٥) المصدر السابق ٥.
(٦) البرهان الزركشي ١/٣٣٣.

العرب] حتى اعتقد بعضهم أن (توجيه القراءات الشاذة أقوى في الصناعة من توجيه المشهورة)[١] .

أما أنواع القراءات من حيث تواترها وعدمها ، فتنقسم إلى ثلاثة أقسام على ما يراه الدمياطي ، قسم متفق على تواتره وهم القراء السبعة ، وقسم اختلف فيه والصحيح المختار تواتره وهم الثلاثة بعدها ، وقسم اتفق على شذوذه وهم الأربعة الباقية[٢] .

أما من حيث السند فينقل السيوطي عن ابن الجزري أنها ستة هي :

١ـ المتواتر : هو ما رواه جمع عن جمع يمتنع تواطؤهم على الكذب .

٢ـ المشهور : هو ما صح سنده بأن رواه راو عادل ضابط عن مثله ، وهكذا مع موافقتها العربية ، وأحد المصاحف العثمانية .

٣ـ ما صح سنده وخالف الرسم أو العربية ، وهذا لا يقرأ به ولا يجب اعتقاده .

٤ـ الشاذ : ما لم يصح سنده .

٥ـ الموضوع : هو ما ينسب إلى قائله من غير أصل .

٦ـ ما زيد في القراءات على وجه التفسير .

إن تعدد القراءات لا يخلو من فائدة كما يرى مكي قال : (إن الله تعالى لم يجعل حرجاً على عباده في دينهم ، ولما كانت لغات من أنزل عليهم القرآن مختلفة ، ولسان كل صاحب لغة لا يقدر على رده إلى لغة أخرى إلاّ بعد تكلف ، فيسر الله عليهم ذلك ، فأنزل كتابه على سبع لغات متفرقة في القرآن ، بمعان متفقة مختلفة ليقرأ كل قوم على لغتهم ، وعلى ما جرت به عادتهم)[٣] ، وأخذ العلماء يستنبطون عن كل حرف يقرأ به قارئ معنى لا يوجد في غيره[٤] . لا سيما

---

(١) البرهان: الزركشي ١/٣٤١.

(٢) إتحاف فضلاء البشر: أحمد الدمياطي ٩.

(٣) الإبانة عن معاني القراءات: مكي بن أبي طالب ٤٢.

(٤) إتحاف فضلاء البشر: أحمد الدمياطي ٥.

wadod.org

علماء اللغة وأصحاب الدراسات القرآنية، الذين أخذوا يوجهون القراءات القرآنية المشهورة منها والشاذّة توجيهاً يستند إلى اللغة وعلومها، ولعل سيبويه خير مثال على ذلك، إذ لم يترك موضوعاً إلاّ واستشهد له بالآيات القرآنية، مشيراً إلى اختلاف القراءات فيها، محتجاً لها بلغات العرب، فضلاً عن النحاة الآخرين الذين بسطوا وسعهم في التأليف في معاني القرآن والقراءات، فالفراء مثلاً (ت٢٠٧ هـ) ألف كتاباً سماه [معاني القرآن] ونهج منهجه من البصريين الأخفش سعيد بن مسعدة (ت٢١٠ هـ) وأبو عبيدة معمر بن المثنى (ت٢١٠ هـ) والزجاج (ت٣١٠ هـ)، والطبري (ت٣١٠ هـ)، وظلت القراءة المقبولة هي القراءة المروية عن السلف.

wadod.org

الفصل الثاني

منهج الطوسي في القراءات ومصادره

قبل أن يتحدث الباحث عن منهج الطوسي في القراءات لابد له أن يسجل ما أدلى به الطوسي بهذا الخصوص، ليرى القارئ بنفسه مدى الدقة التي يلتزم بين تنظيره وتطبيقه. قال الطوسي: «واعلموا أن العرب من مذهب أصحابنا والشائع من أخبارهم ورواياتهم أن القرآن نزل بحرف واحد، على نبي واحد، غير أنهم أجمعوا على جواز القراءة بما يتداوله القراء، وأنّ الإنسان مخير بأي القراءة بالمجاز شاء قرأ، وكرهوا تجويز قراءة بعضها. بل أجازوا القراءة بالمجاز الذي يجوز بين القراء، ولم يبلغوا بذلك حد التحريم والحظر»[(١)].

لقد تبين للباحث من خلال تتبعه لتفسير (التبيان) أن للطوسي منهجاً متميزاً في القراءة يعتمد عليها، ولا يخرج عنه، وهو في الغالب، يوافق مناهج المفسرين الذين سبقوه أو عاصروه، فهو يعتمد أساساً على قراءة الأمصار، ويعد ما جاء عن قرائها أمراً مسلماً به لا تجوز مخالفته، كما أن الحجة من القراء هم الفيصل عند اختلاف القراءة، فما قرأ به السلف هو الذي يؤخذ به لأن القراءة سنة متبعة[(٢)] لا تجوز مخالفتها، ولم يقتصر على قراءة بعينها، بل نقل الكثير من آراء القراء من مختلف الأمصار، مبيناً حجة كل قراءة دون ترجيح لقراءة على أخرى - في الأعم الأغلب - وكأنه مقتنع بكل ما جاء به من تلك القراءات إلا أن ذلك لا يعني عدم قدرة الطوسي على التميز، فكثيراً ما نجد شخصية واضحة من خلال مواقف الترجيح والمفاضلة التي يعقدها بين القراءات، مسوغاً ذلك الترجيح بقاعدة نحوية، أو تركيب لغوي، كما أنه نقل الكثير من الآراء عن النحاة

---

(١) التبيان: الطوسي ٧/١.

(٢) التبيان: الطوسي١٠٩/٢، ٥٦١.

wadod.org

واللغويين أمثال: أبي عمرو بن العلاء، وابن أبي إسحاق وعيسى بن عمر، والكسائي، والفراء، كما أنه نقل عن رواة الحديث والمفسرين، أمثال: ابن عباس، والحسن البصري وابن مسعود، وقتادة، والأعمش، والطبري، واستخدم هذه الآراء لتعضيد القراءة التي أوردها أو مال إليها، وقد ظهر واضحاً تأثره بمعاني القرآن للفراء إذ نقل عنه كثيراً من الآراء في اللغة والنحو والقراءات زادت على المائتين[١] فضلاً عن المادة التفسيرية التي أوردها للفراء، وكان يعتمد خط المصحف في ترجيح كثير من القراءات، وتقارب المعنى واحد من الأسس التي اعتمدها عند الترجيح والمفاضلة، وكانت شواهده الشعرية كثيرة جداً، حيث بلغت أكثر من (١٩١٩) بيتاً في مجالات اللغة والنحو والقراءات[٢]، وهو كغيره من العلماء لم يحتج بأشعار من لا يحتج بشعرهم كبشار وأبي تمام وغيرهم. بل اعتمد على شعراء القبائل المشهورة كتميم وبكر وتغلب وكندة والأزد والخزرج وطيء، وكان يستدل بقراءات مشهورة لتعضيد قراءة أخرى، ربما مال إليها أو اعتقد صحتها، وكان استخدامه للغة والنحو في ترجيح القراءة أو ردها كثيراً جداً، وهو يعتمد في كل ذلك على أفصح اللغات وأشهرها، وكان ميالاً للقراءات التي يرد فيها رأي للأئمة (عليهم السلام)[٣].

ومن خلال المتابعة الدقيقة لتفسيره، ظهر أن له شخصية بارزة متزنة وآراء سديدة ناصعة، فما أكثر الآراء التي ذكرها وأعرض عنها في النهاية، لأنه لا يفضلها ولا يميل إليها، بل ما أكثر الآراء التي ردها أو ضعفها، مبيناً سبب ذلك الرد أو التضعيف، وقدرة كهذه لا تتأتى لكل باحث ما لم تكن لديه بصيرة ثاقبة، ودراية تامة بالسنن وأيام العرب ولغاتها، وهذا ما تمثل في شخصية الطوسي التفسيرية والقرائية لأنه كان حافظاً للقرآن، فقيهاً ناضجاً بلغ مرتبة الاجتهاد، وكان ذا معرفة دقيقة بالخلاف بين المذاهب، متزناً في أحكامه بعيداً عن التعصب، الأمر الذي جعل تفسيره من أفضل التفاسير وأكثرها قبولاً، وكان من حفاظ الحديث، وصاحب تأليف في كثير من العلوم.

---

(١) ظ البحث اللغوي والنحوي في تفسير التبيان: د. عبد علي الخماسي ٢٢-٢٣.

(٢) ظ م. ن٢١٧.

(٣) ظ التبيان: الطوسي ١/٤٣٦، ٣/٢٠٥، ٥٣٠، ٤/١٢٧، ٩/٤٩٥.

wadod.org

من خلال هذا العرض الموجز يمكن للباحث أن يجمل منهج الطوسي بالخطوات الآتية:

١ـ يذكر قراءات متعددة، ويبين حجة كلّ قراءة دون تفضيل لواحدة منها، وكأنه راضٍ عنها جميعاً.

٢ـ يعتمد إجماع القراء حجة، لأن القراءة عنده سنة متبعة لا يرغب بمخالفتها، واستخدم لترجيح قراءة طائفة من التراكيب أشهرها (والصحيح ما عليه القراء) أو (وعليه أكثر القراء) أو (وعليه الجمهور).

٣ـ يذكر جملة من القراءات؛ ثم يميل إلى قراءة منها ويرجحها على غيرها مسوغاً ذلك الترجيح بقراءة أخرى، أو بيت شعر، أو تعليل مقبول.

٤ـ يعتمد السماع وما يحكى عن العرب أساساً في حكمه على القراءة.

٥ـ يرجح القراءة التي تتوافق مع خط المصحف.

٦ـ الاستدلال بقراءة على إثبات قراءة أخرى أو ترجيحها أو ردها.

٧ـ كثيراً ما يذكر قراءتين أو أكثر يرتضيها جميعها معبراً عن ذلك الرضا بقوله: (والقراءتان صحيحتان) أو (القراءتان قويتان) أو (القراءتان حسنتان) أو (كل جيد سابغ) أو(كلاهما جيدان).

٨ـ اهتمامه بتقارب المعنى.

٩ـ ينقل عن علماء اللغة والنحو كثيراً من آرائهم.

١٠ـ استخدم اللغة والنحو دليلاً لترجيح القراءة أو ردها أو تضعيفها أو تشذيذها.

١١ـ الاعتماد على أفصح اللغات وأشهرها، إذ أن اللغة الأفصح هي اللغة الأحق التي ينبغي أن يقرأ بها القرآن الكريم.

١٢ـ ينقل القراءات المعروفة، ويجوز قراءة أخرى وهو لم يقرأ بها، يرى أن لها وجهاً في العربية.

١٣ـ يختار القراءة التي تتناسب مع تفسير الآية الذي يعتقد به.

wadod.org

١٤ـ اهتمامه الكبير بلغات العرب، فكثيراً ما يعزو القراءة إلى لغة ما.

١٥ـ توجيه القراءة بناءً على شعر العرب.

١٦ـ لا يسوغ القراءة عندما لا تكون معروفة عند أهل العربية.

١٧ـ لا يعتد بالقراءات الشاذة.

١٨ـ يرد على قراء مشهورين وإن كانوا من السبعة مثل حمزة ونافع.

١٩ـ يميل إلى القراءة المروية عن أهل البيت (عليهم السلام) عندما تكون هناك أكثر من قراءة.

وعلى ضوء هذه الملاحظات سيعرض الباحث قسماً من القراءات التي ذكرها الطوسي في كتابه [التبيان] أمثلة تطبيقية للملاحظات السابقة.

١. موقف القبول:

وهو الموقف الشائع لديه، إذ يروي القراءة دون أن يعقب عليها، وكثيراً ما يروي أوجه الاختلاف في القراءة ويحتج لكل وجه منها، دون مفاضلة أو ترجيح[١]، وكأنه راض عنها جميعاً، والحجة في كتب القراءات يراد بها سبب الاختيار، أي لماذا اختار القارئ لنفسه هذه القراءة بعينها دون غيرها من بين القراءات المشهورة، وقد يكون ذلك الاحتجاج تعليلاً لغوياً، أو نحوياً، أو معنوياً، أو نقلياً، فكل ذلك تعليل الاختيار، لا دليل صحة اختيار القراءة، لأن صحة الاختيار هو صحة إسنادها وتواترها[٢].

قال الطوسي عند تفسيره قوله تعالى: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾[٣]: (أجمع القراء على ضم الدال من الحمد وكسر اللام الأولى من الله، وكان يجوز أن يفتح الدال مع كسر اللام ويكسر اللام والدال لم يقرأ به إلا أهل البوادي ـ من نصب فعلى المصدر ـ ومن كسرها اتبع كسرة الدال كسرة اللام، ومن ضمها أتبع ضم الدال بضم اللام. ونصب الدال لغة في قريش والحارث بن أسامة بن لؤي،

---

(١) ظ التبيان: الطوسي ١/٢١٠، ٢٨٠، ٣١٧، ٣٣٤، ٣٤١، ٣٦١، ٣٩٢، ٢/١٤٥، ٣/٥٣٤، ٤/٢٧٣، ٣٠٥، ٣١٤، ٣٢٧، ٤٢٩، ٥/١٨٠، ٦/٧٣، ٧/٤٥٢، ٥١٠.

(٢) ظ حجة القراءات: أبو زرعة ٣٤-٣٥.

(٣) الفاتحة.

wadod.org

وكسرها لغة في تميم وغطفان. وضمها لغة في ربيعة)[١]. ويتضح من هذا المثال أن الطوسي فسر القراءتين، واحتج لكل منهما بما يناسبها من لغات العرب، من غير أن يشذذها أو يخطّئها كما فعل البصريون[٢]. وهذا دليل رضاه عن تلك القراءات.

لقد قرأ الحسن البصري وزيد بن علي﴿ الحمد لله﴾ مكسورتان، وقرأ إبراهيم ابن أبي عيله﴿ الحمدُ لله ﴾ مضمومة الدال واللام، وكلاهما شاذ في القياس والاستعمال[٣].

وقد ذكر الفراء هذه القراءات وعللها تعليلاً صوتياً. قال: « فأما من نصب فإنه يقول: [الحمد] ليس باسم إنما هو مصدر، يجوز لقائله أن يقول: أحمد الله، فإذا صلح مكان المصدر (فَعَلَ يفعَل) جاز فيه النصب. . . وأما من خفض الدال من [الحمد] فإنه قال: هذه كلمة كثرت على ألسن العرب حتى صارت كالاسم الواحد، فثقل عليهم أن يجمع في اسم واحد في كلامهم ضمة بعدها كسرة، أو كسرة بعدها ضمة، ووجدوا الكسرتين قد تجتمعان في الاسم الواحد مثل إبل، فكسروا الدال ليكون على المثال من أسمائهم، وأما الذين رفعوا اللام فإنهم أرادوا المثال الأكثر من أسماء العرب الذي تجتمع فيه الضمتان مثل الحُلُم والعُقُب »[٤].

وقد فسر إبراهيم أنيس هذه الحركات على أنها اتباع حركي، يهدف إلى الانسجام الصوتي بين الحركات المختلفة في الكلمة الواحدة أو الكلمات المتجاورة، ميلاً إلى تقليل الجهد العضلي المبذول لتحقيق المجانسة بين أصوات المد القصيرة[٥].

وعند تفسيره قوله تعالى: ﴿ وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله﴾[٦] قال الطوسي: « قرأ حمزة [وليحكم] بكسر اللام، ونصب الميم. الباقون بجزم الميم

(١) التبيان: الطوسي ١/٣٠-٣١.
(٢) ظ إعراب القرآن: النحاس ١/١٢٠.
(٣) ظ المحتسب: ابن جني ١/٣٧، مختصر في شواذ القراءات: ابن خالويه ١.
(٤) معاني القرآن: الفراء ١/٣-٤.
(٥) في اللهجات العربية: إبراهيم أنيس ٩٦.
(٦) المائدة: ٤٧.

wadod.org

وسكون اللام على الأمر. حجة حمزة أنه جعل اللام متعلقة بقوله تعالى: ﴿وأتيناه الإنجيل﴾ لأن إيتاء الإنجيل إنزال ذلك عليه، فصار كقوله تعالى: ﴿ إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس﴾[١] وحجة من جزم الميم أنه جعله أمراً بدلالة قوله: ﴿ وأن احكم بينهم بما أنزل الله﴾ فكما أمر النبي (عليه السلام) بالحكم بما أنزل عليه، كذلك أمر عيسى (عليه السلام) بالحكم بما أنزل الله في الإنجيل[٢]. والطوسي هنا أورد القراءتين وبين حجة كل قراءة بما يتلاءم مع اللغة من غير أن يرجح واحدة منها.

وفي قوله تعالى: ﴿ والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماماً أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقّون فيها تحية وسلاماً﴾[٣].

قال الطوسي: «قرا أبو عمرو وحمزة والكسائي وخلف وأبو بكر إلا حفصاً [وذريتنا] على التوحيد. الباقون على الجمع، وقرأ أهل الكوفة إلا حفصاً [يلقون] بفتح الياء وسكون اللام وتخفيف القاف، الباقون بضم الياء وفتح اللام وتشديد القاف.

من وحّد[الذرية] فلأنه في معنى الجمع كقوله [ذرية من حملنا مع نوح][٤] ومن جمع فكما تجمع الأسماء الدالة على الجمع نحو (قوم، وأقوام) وقد يعبر بذلك عن الواحد كقوله: ﴿ هب لي من لدنك ذرية طيبة ﴾[٥]، ويعبر به عن الجمع كقوله: ﴿ وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم ﴾[٦]، ومن جمع فلا ازدواج.

ومن شدد [يلقون] فعلى أن المعنى يلقون التحية والسلام مرة بعد مرة لأن التشديد للتكثير، وشاهده قوله: ﴿ ولقاهم نضرة وسروراً ﴾[٧] ومن خفف أراد

(١) النساء: ١٠٤.
(٢) التبيان: الطوسي ٣/٥٣٤-٥٣٥.
(٣) الفرقان: ٧٤-٧٥.
(٤) الإسراء: ٣.
(٥) آل عمران: ٣٨.
(٦) النساء: ٨.
(٧) الدهر: ١١.

wadod.org

يلقون هم تحية، كما قال: ﴿ فسوف يلقون غياً ﴾[١]، وقال بعضهم: «لو كان بالتشديد لقال: [ويتلقون] لأنهم يقولون تلقيته بالتحية »[٢]. وهكذا أورد الطوسي القراءات المختلفة وحججها دون أن يتدخل في مفاضلة أو ترجيح.

بل نجد الطوسي في مواقف كثيرة يصرح برضاه وقبوله لهذه القراءات[٣] فيقول: « والقراءتان صحيحتان » أو« القراءتان قويتان » أو« كل جيد سائغ » ففي قوله تعالى: ﴿ وإذا واعدنا موسى أربعين ليلة ﴾[٤].

قال الطوسي: « قرأ[واعدنا] بغير ألف أهل البصرة، وأبو جعفر هنا وفي الأعراف، وطه. وقرأ الباقون بألف. . . حجة من قرأ بإثبات الألف دلالة الله على وعده، وقبول موسى لأنه إذ حسن في مثل قوله: ﴿ اخلفوا الله ما وعدوه ﴾[٥] الإخبار كان هنا في الاختبار واعدنا.

ومن قرأ بغير الألف، قال: هو أشد مطابقة للمعنى، إذ القبول ليس بوعد في الحقيقة، إنما هو إخبار الموعود بما يفعل به من خير. وعلى هذا قوله [أخلفوا الله لما وعدوه] مجاز حقيقة بما أخبروه أنهم فاعلوه، وقال جماعة من أهل العلم: إن المواعدة في الحقيقة لا تكون إلا من البشر والله تعالى هو المتفرد بالوعد والوعيد. كما قال تعالى: ﴿وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين ﴾[٦]، وقال: ﴿ وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾[٧]، والقراءتان صحيحتان قويتان »[٨].

---

(١) مريم: ٥٩.
(٢) التبيان: للطوسي ٥٠٩/٧-٥١٠.
(٣) ظ التبيان: ٢٣٢/١ن ٤٧٢، ٦٩/٣، ٣٥٧، ٢٢٠/٥، ٤٠٧.
(٤) البقرة: ٥١.
(٥) التوبة: ٧٨.
(٦) الأنفال: ٩.
(٧) المائدة: ٩.
(٨) التبيان: للطوسي ٢٣٢/١.

wadod.org

٢. موقف المفاضلة والترجيح:

لم يكن الطوسي ناقلاً فحسب بل كان مناقشاً ناقداً معلناً رأيه في كثير من القضايا النحوية[١] واللغوية[٢] أو القرآنية التي عرض لها، فقد نجده ينقل قراءتين أو أكثر ثم يميل إلى ترجيح إحداهما[٣] دون أن يخطئ الأخرى، وربما يورد - في أحيان كثيرة - الشواهد التي تسند القراءة التي يميل إليها.

استخدم الطوسي طائفة من التراكيب التي تدل على ترجيحه لهذه القراءة أو تلك منها (وذلك هو الاختيار) أو(وهو الأقوى) أو(والوجه الدمع) أو(والكسر أقوى)..

والطوسي في هذا الموقف سلك نهجين: فإما أن يفاضل بين القراءات ويرجح إحداهما دون أن يذكر سبب الترجيح، أو يفاضل ويستشهد لها جميعاً بما يسندها ثم يميل لقراءة منها معللاً ذلك الميل.

ويبدوا أن الطوسي قد تأثر في نهجه هذا بما انتهجه الفراء في معانيه[٤]، ولكثرة الأمثلة سيكتفي الباحث بعرض أربعة نماذج - كخط منهجي يسير عليه - تطبيقية للفقرة.

قال الطوسي عند تفسير قوله تعالى: [ولا يسمع الصم الدعاء إذا ما ينذرون][٥]: (قرأ ابن عامر [ولا تسمع] بالتاء وضمها وكسر الميم [الصم] بالنصب، الباقون بالياء مفتوحة، ويفتح الميم، وضم [الصم].

فوجه قراءة ابن عامر أنه وجه الخطاب إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فكأنه قال: [ولا تسمع] أنت يا محمد [الصم] كما قال: ﴿ وما أنت بمسمع من في

---

(١) ظ البحث اللغوي والنحوي في تفسير التبيان: د. عبد علي الخماسي: ١٤٦.

(٢) م ن: ١٩٧.

(٣) ظ التبيان: الطوسي ١/٢٧٢، ٢/٥٨٠، ٣/١٤٨، ١٧٨، ١٨٢، ٢٤٦، ٢٦٨، ٥٥٦، ٤/١٠٣، ١٤٩، ٥/٣٩٠، ٦/١٠٠، ٧/١٠٣، ١١٣، ١٢٦، ٢٥٠، ٣٥٠، ٩/٣١، ٥٣، ٥٢١.

(٤) ظ معاني القرآن: الفراء ١/٨٨، ١٢٤، ٢٧٦، ٣/٤٤، ٢٥٦، ٢٦٠.

(٥) الأنبياء: ٤٥.

wadod.org

القبور ﴾[١] لأن الله تعالى لما خاطبهم، فلم يلتفتوا إلى ما دعاهم إليه، صاروا بمنزلة الميت الذي لا يسمع ولا يعقل.

ووجه قراءة الباقين أنهم جعلوا الفعل لهم، ويقويه قوله: ﴿ إذا ما ينذرون ﴾.. ولو كان على قراءة ابن عامر لقال: «إذا ينذرون»[٢].

وفي قوله تعالى: ﴿ وكلاً وعد الله الحسنى ﴾[٣] قال الطوسي: «قرأ ابن عامر وحده وكل وعد بالحسنى» بالرفع، وهي في مصاحفهم بلا ألف جعله مبتدأ وخبراً، وعدى الفعل إلى ضميره، وتقديره: وكل وعده الله الحسنى كما قال الراجز: [من الرجز]

قد أصبحت أم الخيار تدعي ... عليّ ذنباً كله لم أصنع

أي لم أصنعه فحذف الهاء، الباقون بالنصب على أنه مفعول [وعد الله] وتقديره: وعد الله كلاً الحسنى، ويكون [الحسنى] في موضع نصب بأنه مفعول ثان وهو الأقوى»[٤].

وعند تفسيره قوله تعالى: ﴿ ما فعلوه إلا قليل منهم ﴾[٥] قال الطوسي: «قرأ ابن عامر وحده [إلا قليلاً] بالنصب. وكذلك هو في مصاحف أهل الشام، الباقون بالرفع، وقيل: إن النصب قراءة أُبيّ، فمن رفع فعلى البدل من المضمر كأنه قال: ما فعله إلا قليل منهم، وهذا يجوز في النفي دون الإثبات، لأنه لا يجوز أن يقول: فعله إلا قليل منهم، لأن الفعل ليس للقليل في الإثبات كما هو لهم في النفي. وقال الكسائي ارتفع بالتكرار. والمعنى: ما فعلوه ما فعله إلا قليل. ومن نصب فإنه قال: الاستثناء بعد تمام القول، لأن قوله [ما فعلوه] كلام تام كما أن قولك: فعل القوم كلام تام. فاستثنى بعده ولم يجعل ما بعد إلا عليه الاعتماد. والوجه الرفع، لأن الفعل لهم فهو أدل على المعنى»[٦].

---

(١) فاطر: ٢٢.

(٢) التبيان: الطوسي ٧/٢٥٠.

(٣) الحديد: ١٠.

(٤) التبيان: الطوسي ٩/٥٢١.

(٥)

(٦) التبيان: الطوسي ٣/٢٤٦-٢٤٧.

wadod.org

وفي قوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء﴾[١].

قال الطوسي: «قرأ [والكفار] بالجر أبو عمرو، ونافع، والكسائي. الباقون بالنصب، فمن نصب عطف على[الذين اتخذوا دينكم] وحجتهم في ذلك قوله: ﴿ لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء﴾ ومن جر عطف على[من الذين أوتوا الكتاب] أي وصف الكفار أولياء، وحجتهم في ذلك أن الحمل على أقرب العاملين أجود، لأنها لغة القرآن الكريم، وحسن الحمل على الجر، لأن فرق الكفار ثلاث: المشرك، والمنافق، والكتابي الذي لم يسلم، وقد كان منهم الهزء فساغ لذلك أن يكون الكفار مجروراً»[٢].

٣. إجماع الحجة:

لم ينس الطوسي أنّ القراءة سنة متبعة، وما عليه السلف هو الحجة في قبول القراءة[٣] فكان يردد عبارة (والصحيح ما عليه القراء) أو (والأجود ما عليه الجماعة) أو (عليه الأكثرية).

قال الطوسي في قوله تعالى: ﴿ غلبت الروم ﴾[٤] «قرأ ابن عمر، وأبو سعيد الخدري، [غلبت الروم] بفتح الغين، فقيل لابن عمر، على أي شيء غلبوا. قال على ريف الشام وهذا على غلط، فإن عند جميع المفسرين القراءة بالضم»[٥].

وهذا ما أورده الطبري قبله إذ أورد الخلاف في القراءة. ثم قال: «والصواب الذي لا يجوز غيره [غلبت الروم] بضم الغين لإجماع الحجة من القراء عليه»[٦].

---

(١) المائدة: ٥٧.

(٢) التبيان: الطوسي ٥٥٦/٣.

(٣) ظ التبيان: الطوسي ٨٢/١، ١٤٧، ١٦٧، ٢٩٨، ٤٦٦، ٥٠٠/٢، ٤٢٢، ١٠٩/٣، ٥٦١، ٣٠٨/٦، ٢٢٨/٨، ٥٣/٩.

(٤) الروم: ٢.

(٥) التبيان: ٢٢٨/٨.

(٦) جامع البيان: الطبري ١٦/٢١.

wadod.org

وفي قوله تعالى: ﴿ أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ﴾[١]. قال الطوسي: «ضم جميع القراء الواو من [اشتروا الضلالة] وروى الوفردي عن زيد بن إسماعيل بتخفيف ضمة الواو، وكذلك نظائره، نحو (لتبلون)، [فتمنوا الموت] وروى عن يحيى بن يعمر في الشواذ أنه كسرها، فشبهها بواو (لو) في قوله: [لو استطعنا لخرجنا][٢] وضم يحيى بن وثاب واو (لو). والصحيح ما عليه القراء، لأن الواو في الآية ونظائرها واو الجمع، فحركت بالحركة التي من جنسها لالتقاء الساكنين»[٣].

وفي قوله تعالى: ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾[٤] قال الطوسي: «ضم التاء من الملائكة أبو جعفر وحده، وحيث وقع أتبع ضمة التاء ضمة الجيم، وقيل إنه نقل ضمة الهمزة وابتدأ بها. والأول أقوى، لأن الهمزة ألف وصل تسقط في الدرج فلا يبقى فيها حركة تنقل، فالوجه الأول هو المعتمد عليه، والصحيح ما عليه القراء من كسر التاء بلام الجر»[٥].

وفي قوله تعالى: ﴿ فتلقى آدم من ربه كلمات ﴾[٦]. قال الطوسي: «قرأ ابن كثير [آدم] بنصب الميم، و[كلمات] برفع التاء.. يجوز في العربية رفع آدم، ونصبه، مع رفع كلمات، والاختيار قراءة الأكثر، لأن معنى التلقي هنا القبول. فكأنه قال: قبل آدم من ربه كلمات. وإنما جاز نصب آدم لأن الأفعال المتعدية إلى المفعول به على ثلاثة أقسام، أحدها: يجوز أن يكون الفاعل له مفعولاً به والمفعول به فاعلاً، نحو: أكرم بشر بشراً، وشتم زيد عمراً.

ثانيها: ومنها لا يكون المفعول به فاعلاً، نحو: أكلت الخبز، وسرقت درهماً، وأعطيت ديناراً، وأمكنني الغرض.

---

(١) البقرة: ١٦.
(٢) التوبة: ٤٣.
(٣) التبيان: الطوسي ٨٢/١.
(٤) البقرة: ٣٤.
(٥) التبيان: الطوسي ١٤٧/١.
(٦) البقرة: ٣٧.

wadod.org

وثالثها: ما يكون إسناده إلى الفاعل في المعنى كإسناده إلى المفعول، نحو: أصبت ونلت، وتلقيت، تقول: نالني خير، ونلت خيراً، وأصابني خير، وأصبت خيراً، ولقيني زيدٌ، ولقيت زيداً، وتلقاني، وتلقيته، وقال تعالى: ﴿ وقد بلغني الكبر ﴾[١]. وقال: ﴿ وقد بلغت من الكبر عتياً ﴾[٢] فعلى هذا الرفع والنصب في المعنى واحد في الآية، وإنما أجيز رفع آدم، لأن عليه الأكثر وشواهده أكثر)[٣].

٤. السماع:

يلتزم الطوسي بالسماع في نهجه الإقرائي[٤]، شأنه شأن العلماء والمفسرين الآخرين، كما أنه يهتم بما يحكى عن العرب الفصحاء الذين يستشهد بلغتهم كتميم وقيس بن الحارث، وبني أسد، والأزد، وأهل الحجاز، وهذه أربعة أمثلة تطبيقية لما تبناه الطوسي في هذا المجال:

قال الطوسي عند تفسيره قوله تعالى: ﴿ إنّ المنافقين في الدرك الأسفل من النار ﴾[٥]: «قرأ أهل الكوفة إلا أبا بكر، إلا العلمي [الدرك] بسكون الراء، الباقون بفتحها وهما لغتان مثل نهر ونهرَ وسمع وسمعَ. فمن فتح الراء قال في الجمع: إدراك في القلة والكثرة، ومن سكنها قال: إدراك وفي الكثير الدرك، والتسكين لغة وليس يسكن من المفتوح، لأن مثل ذلك لا يجوز تسكينه فلا يسكن جمل وجبل، وإنما هما لغتان مثل شمع وشمع ونهر ونهر، ويفتح الراء أفصح، سمع من العرب من يقول: أعطني دركاً أصل به حبلي، يعني ما يصل به حبله الذي عجز عن بلوغ الركيبة»[٦].

وفي قوله تعالى: ﴿ وإنه أهلك عاداً الأولى ﴾[٧]، قال الطوسي: «قرأ أهل البصرة غير سهل [عادا لولى] مدغمة بلا همز، وعن نافع خلاف فإنه أدغم

---

(١) آل عمران: ٤٠.
(٢) مريم: ٨.
(٣) التبيان: الطوسي ١/١٦٦-١٦٧.
(٤) ظ التبيان: الطوسي ٣/١٤٣، ٣٦٨، ٦/٣٩٥، ٩/٤٣٧، ٤٣٨، ١٠/١٧٩.
(٥) النساء: ١٤٥.
(٦) التبيان: الطوسي ٣/٣٦٨.
(٧) النجم: ٥٠.

wadod.org

وترك الهمز قال: [عاداً لأولى] فإنه همز، الباقون بالهمز والإظهار. ومن أدغم ألقى حركة الهمزة على اللام فانضمت ثم سكنها وحذف همزة الوصل، ولقيتها النون فأدغمت في اللام، ونظير ذلك قول العرب (قم لآن عنا) يريدون: قم الآن عنا وقولهم: صم الثنين أي صم الاثنين. الباقون تركوه على حاله »[١].

وهذا ما أورده الطبري قبله[٢].

وفي قوله تعالى: ﴿ لا جرم أن لهم النار وأنهم مفرطون ﴾[٣]. قال الطوسي: «قرأ نافع (مفرطون) بكسر الراء والتخفيف من الإفراط في الشيء أي الإسراف بمعنى أنهم مسرفون، وقرأ أبو جعفر مثل ذلك بالكسر غير أنه شدد الراء من التفريط في الواجب، وقرأ الباقون بفتح الراء والتخفيف، ومعناه أنهم متروكون في النار منسيون فيها، في قول قتادة ومجاهد وسعيد بن جبير والضحاك، وقال الحسن وقتادة، في رواية أخرى، أن المعنى أنهم مقدمون بالإعجال إلى النار، وهو من قول العرب: أفرطنا فلان في طلب الماء، فهو مفرط إذا قدم لطلبه، وفرط فهو فارط إذا تقدم لطلبه، وجمعه فرّاط كما قال القطامي: [من البسيط]

واستعجلونا وكانوا من صحابتنا كما تعجل فرّاطٌ لوراد[٤]

ومنه قول النبي(ص): « أنا فراطكم على الحوض » أي متقدمكم وسابقكم حتى تردوه، ومنه يقال في الصلاة على الصبي الميت: اللهم اجعله لنا ولأبويه فرطا، وروي عن النبي (ص) أنه قال: « أنا والنبيون فراط العاصين » أي المذنبين. والتأويل الأول من قول العرب: ما فرطت ورائي أحداً، أي: ما خلفت ولا تركت والمعنى يرجع إلى التقدم »[٥].

وعند تفسيره قوله تعالى: ﴿ والليل إذا أدبر ﴾[٦]، قال الطوسي: « قرأ نافع وحمزة وحفص عن عاصم [إذا أدبر] بإسكان الذال وقطع الهمزة من [أدبر].

---

(١) التبيان: الطوسي٩/٤٣٧-٤٣٨.
(٢) ظ جامع البيان: الطبري ٢٧/٧٧.
(٣) النحل: ٦٢.
(٤) ظ اللسان مادة (عجل).
(٥) التبيان: الطوسي٦/٣٩٥-٣٩٦.
(٦) المدثر: ٣٣.

wadod.org

الباقون بفتح الذال والألف. . من قال (دبر، وأدبر) فهما لغتان، قيل: هو مثل قبل وأقبل والاختيار عندهم (أدبر) لقوله (إذا أسفر) ولم يقل وإذا سفر. لأن ابن عباس قال لعكرمة: حين دبر الليل، لأن العرب تقول: دبر فهو دابر، وحجة نافع وحمزة قول النبي(ص): «إذا اقبل الليل من هنا وأدبر النهار من هنا أفطر الصيام»[١].

وهكذا يعزز الطوسي القراءة الأخرى بما ورد عن العرب، وهما عنده واحدة في المعنى، وهذا ما أكده الفراء في معانيه إذ قال: «ولا أراهما إلا لغتين يقال: دبر النهار والشتاء والصيف وأدبر، وكذلك قبل واقبل. فإذا قالوا: أقبل الراكب وأدبر لم يقولوه إلا بألف، وإنهما في المعنى عندي لواحد»[٢].

٥. خط المصحف:

وقف القدامى من المهتمين بالقراءات من رسم المصحف مواقف مختلفة، فمنهم من ينظر إليه ويستعين به، ويعتمد عليه في الاحتجاج والتعليل وهؤلاء - في الأعم الأغلب - هم القراء، ومنهم من لا يعتمد عليه، سالكاً سبيل أهل الرأي في الاحتجاج والتخريج، وهؤلاء هم فريق من النحاة.

وملخص ما يتعلق برسم المصاحف، إن المصاحف كانت كثيرة حيث كان لأكثر الصحابة مصاحف، كما كان لزوجات النبي (ص) مصاحف، وهذه المصاحف هي ما صح سنده، وثبتت تلاوته ووافق العربية، ولكن القراءة فيها اختلفت بحكم اختلاف البيئات في الأمصار الإسلامية، فأصبح الناس يلتقون مختلفين حسب القراء، وهذا دفع الخليفة عثمان بن عفان (رض) بطلب من حذيفة بن اليمان إلى توحيد المصاحف، حيث أرسل إلى الأمصار ما هو معروف بمصحف عثمان.

هذا الرسم الذي اجتمعت عليه الأمة وتلقته بالقبول، أصبح حجة على القارئين والمقرئين، وأصبحت القراءة بما يخالف الرسم شاذة لا يؤخذ بها[٣].

---

(١) التبيان: الطوسي ١٠/١٧٩.

(٢) معاني القرآن: الفراء ٣/٢٠٤.

(٣) ظ رسم المصحف والاحتجاج به في القراءات: د. عبد الفتاح شلبي ٩-١١.

wadod.org

أما موقف الطوسي فيتمثل بالالتزام بخط المصحف[١]، فتراه يرجح القراءة التي تتماشى وخطه، شأنه شأن العلماء الأتقياء الآخرين الذين لا يجوزون مخالفة رسم المصحف تحت أي مسوغ، لأن ذلك يتعلق بكتاب الله العزيز، والكتاب منزه عن التحوير والتحريف.

قال الطوسي عند تفسيره قوله تعالى: ﴿ سل بني إسرائيل كم آتيناهم من آية ﴾[٢]: « أهل الحجاز يقولون: سل بغير همز، وبعض بني تميم يقولون: اسأل بالهمز، وبعضهم يقولون: اسل بالألف وطرح الهمز. والأولى أحسنها لأنها خط المصحف »[٣].

وفي قوله تعالى [اهبطوا مصراً][٤] قال الطوسي: « نوّن جميع القراءة (مصراً) وقرأ بعضهم بغير تنوين. وهي قراءة ابن مسعود.. من نون أراد مصراً من الأمصار غير معين، ويجوز أيضاً أن يريد مصراً بعينه الذي خرجوا منه، وإنما نون اتباعاً للمصحف، لأن في المصحف بألف. كما قرأ: ﴿ قواريراً قواريراً ﴾[٥] منوناً اتباعاً لخط المصحف »[٦].

وفي قوله تعالى: ﴿ وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتباً فرهان مقبوضة ﴾[٧] قال الطوسي: « قرأ أبو عمرو وابن كثير (فرهن) على وزن (فُعل). الباقون (فرهان) على وزن فعال.. والأول أفصح.. وإنما اختار أبو عمرو (فرهن) لأنه موافق لخط المصحف »[٨].

---

(١) ظ التبيان: الطوسي ١/٢٦٦ن ٢٧٧، ٢٩٨، ٢/١٩٠، ٣٧٩، ٥/٣٣١.
(٢) البقرة: ٢١١.
(٣) التبيان: الطوسي ٢/١٩٠.
(٤) البقرة: ٦١.
(٥) الإنسان: ١٥-١٦.
(٦) التبيان: الطوسي١/٢٧٦-٢٧٧.
(٧) البقرة: ٢٨٣.
(٨) التبيان: الطوسي٢/٣٧٩-٣٨٠.

wadod.org

وفي قوله تعالى: ﴿ ادعُ لنا ربك يبين لنا ما هي إن البقر تشابه علينا ﴾[١]، قال الطوسي: «القراء كلهم على تخفيف الشين مفتوحة الهاء. وقرأ الحسن بتشديد الشين، وضم الهاء. وقرأ الأعمش إن البقر متشابه، وكذا هو في مصحف ابن مسعود، والمعول عليه ما عليه القراء، وما هو في المصحف المعروف»[٢].

٦. الاستدلال بالقراءات:

كثيراً ما نجد الطوسي يستدل بقراءة على إثبات قراءة أخرى أو ترجيحها[٣].

قال الطوسي عند تفسيره قوله تعالى: ﴿ إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً ﴾[٤]: «قرأ ابن عامر وأبو بكر عن عاصم: وسيصلون - بضم الياء - الباقون بفتحها، والفتح أقوى، لقوله: ﴿ لا يصلاها إلا الأشقى ﴾[٥]. وقوله: ﴿ إلا من هو صال الجحيم ﴾[٦] ومن ضم الياء ذهب إلى أصلاهُ الله إذا أحرقه بالنار»[٧].

وفي قوله تعالى: ﴿ من بعد وصية يوصي بها ﴾[٨] قال الطوسي: «قرأ ابن عامر وابن كثير، وأبو بكر عن عاصم: يوصى بفتح الصاد - الباقون بكسرها وهو الأقوى لقوله ﴿ مما ترك إن كان له ولد ﴾ فتقدم ذكر الميت وذكر المفروض مما ذكر، ومن فتحها فلأنه ليس لميت معين، وإنما هو شائع في الجميع»[٩].

وفي قوله تعالى: ﴿ تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً ﴾[١٠]، قال الطوسي: «قرأ ابن كثير وأبو عمرو (تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً)

---

(١) البقرة: ٧٠.

(٢) التبيان: الطوسي١/٢٩٨.

(٣) ظ التبيان: الطوسي١/٣٣، ٣/٢٣، ٤٩، ١٢٥، ١٢٨، ٣٧٨، ٤/٢١٣، ٥/٤٢٤، ٩/٥٤٠.

(٤) النساء: ١٠.

(٥) الليل: ١٥.

(٦) الصافات: ١٦٣.

(٧) التبيان: الطوسي ٣/١٢٥.

(٨) النساء: ١١.

(٩) التبيان: الطوسي٣/١٢٨.

(١٠) الأنعام: ٩١.

wadod.org

بالتاء فيهن، الباقون بالياء فيهن، ومن قرأ بالياء حمله على أنه للغيبة بدلالة قوله ﴿وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء﴾[١] فيحمله على الغيبة لأن ما قبله غيبة، ومن قرأ بالتاء حمله على الخطاب يعني قل لهم: ﴿وتجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً﴾.

ويقوي القراءة بالتاء لقوله: ﴿وعلمتم ما لم تعلموا﴾[٢] فجاء على الخطاب وكذلك ما قبله»[٣].

وفي قوله تعالى: ﴿وقلنا لهم لا تعدوا في السبت﴾[٤] قال الطوسي: «قرأ أهل المدينة (لا تعدوا) بتسكين العين وتشديد الدال والجمع بين ساكنين بمعنى (لا تعتدوا) ثم أدغم التاء في الدال فصارت دالاً مشددة مضمومة، وقووا ذلك بقوله ﴿ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت﴾[٥] وقرأ الباقون بتسكين العين»[٦].

٧. تقارب المعنى:

جعل الطوسي من تقارب المعنى عند اختلاف القراءات أساساً من أسس منهجه في قبول تلك القراءات[٧]، لأن المعنى متقارب.

فقد تكون الألفاظ مختلفة في الظاهر شكلاً أو حركة ولكن معناها واحد، ومثل هذا لا يغير شيئاً من طبيعة القراءة، فكلها قراءات متواترة مقبولة يقرأ بها ما دام المعنى واحداً. وقد سلك الطوسي في ذلك مسلكين: أحدهما: أنه يذكر تقارب المعنى ولا يعلق عليه، والآخر: يعتل فيه لما يرغب ويفضل من القراءات، ولعل ذلك يعود لتصور الطوسي فيما يحتاج إليه الكلام من تعليل، أو لا يحتاج لوضوحه وعدم إشكاله.

---

(١) الأنعام: ٩١.
(٢) الأنعام: ٩١
(٣) التبيان: الطوسي ٤/٢١٣.
(٤) النساء: ١٥٤.
(٥) البقرة: ٦٥.
(٦) التبيان: الطوسي ٣/٣٧٨.
(٧) ظ التبيان: الطوسي ١/٣٨٤، ٢/٢٣، ١١٦، ٣٨٣، ٤٤٦، ٥/٤١٢، ٥٣٩، ٦/٤٤٣، ٧/٢٧٦، ٨/٤٢٩، ٩/٢٧٩، ٢٩٥، ١٠/٥٦.

wadod.org

وهذه أمثلة مما أورده الطوسي في هذا الجانب:

قال الطوسي عند تفسيره قوله تعالى: ﴿ وعلى الذين يطيقونه فدية إطعام مسكين﴾[١] «قرأ ابن عامر، ونافع (فدية طعام مساكين) على إضافة الفدية وجمع المساكين. الباقون (فدية) فنوَّن (طعام مسكين) على التوحيد. والقراءتان متقاربتا المعنى، لأن المعنى لكل يوم يفطر طعام مسكين، والقراءتان تفيدان ذلك»[٢].

وفي قوله تعالى: ﴿ وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدىً لبني إسرائيل ألا تتخذوا من دوني وكيلاً ﴾[٣] قال الطوسي: «قرأ أبو عمرو وحده (ألا يتخذوا) بالياء. الباقون بالتاء، والمعنى فيهما قريب والتقدير: (وجعلناه هدىً لبني إسرائيل ألا تتخذوا) وقلنا لهم: لا تتخذوا، كما تقول: قلت لزيد قم، وقلت له أن يقوم. وقال تعالى: ﴿ قل للذين كفروا ستغلبون][٤] بالتاء والياء»[٥].

وفي قوله تعالى: ﴿ هو الذي يسيركم في البر والبحر﴾[٦] قال الطوسي: «قرأ ابن عامر وأبو جعفر (ينشركم) بالنون والشين من النشر. الباقون بالياء والسين وتشديد الياء من التسيير. . حجة ابن عامر أن (ينشركم) مثل قوله: ﴿ وبث فيها رجالاً كثيراً ونساءً ﴾[٧] فالبث تفريق ونشر. وحجة الباقين قوله: [قل سيروا في الأرض][٨] و[فامشوا في مناكبها][٩] والمعنيان متقاربان»[١٠].

---

(١) البقرة: ١٨٤.
(٢) التبيان: الطوسي ١١٦/٢.
(٣) الإسراء: ٣.
(٤) آل عمران: ١٢.
(٥) التبيان: الطوسي ٤٤٣/٦-٤٤٤.
(٦) يونس: ٢٢.
(٧) النساء: ١.
(٨) الأنعام: ١١.
(٩) الملك: ١٥.
(١٠) التبيان: ٤١٢/٥.

wadod.org

وفي قوله تعالى: ﴿ ما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي﴾[١] قال الطوسي: « قرأ أبو عمرو (بادئ الرأي) في بادي. الباقون بلا همز قال أبو علي: حدثنا محمد بن السدي أن اللحياني قال: يقال: أنت بادي الرأي تريد ظلمنا لا يهمز. (بادي) وبادئ الرأي مهموز.

فمن لم يهمز أراد أنت أول الرأي ومبتدؤه وهما في القرآن. وقال أبو علي: من قال (بادي الرأي) بلا همز. جعله من بدأ الشيء وهو ظهوره، وما اتبعك إلا أراذل فيما ظهر لهم من الرأي، أي لم يفعلوه ينظر فيه ولا يتبين له، ومن همز أراد اتبعوك في أول الأمر من غير فكر فيه ولا روية، والقراءتان متقاربتان، لأن الهمز في اللام منها ابتداء الشيء وأوله، وابتداء الشيء يكون ظهوراً، وإن كان الشيء الظاهر قد يكون مبتدأ أو غير مبتدأ، فلذلك يستعمل لكل واحد منهما فكان الآخر يقول: أنا بادي بدا - وبادئ بدئ »[٢].

٨ - القياس على الأفصح والأشهر من اللغات:

فصاحة اللغة وشهرتها من الأسس المتميزة لدى الطوسي، فهو يقيس على المشهور من كلام العرب، وقد سلك منهجاً واحداً في ذلك. فقد كان يورد القراءات، ثم يحدد اللغة الأشهر[٣] دون أن يعلل ذلك. ولعل ذلك يعود إلى معرفة العربي آنذاك بلغات العرب. من ذلك ما أورده الطوسي عند تفسيره قوله تعالى: ﴿ لعلي آتيكم بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون﴾[٤].

قال: « قرأ عاصم (جذوة) بفتح الجيم، وقرأ حمزة وخلف بضمها، الباقون بكسر الجيم، وفيه ثلاث لغات؛ فتح الجيم وضمها وكسرها والكسر أكثر وأفصح »[٥].

وفي قوله تعالى: ﴿ ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعاً ﴾[٦] علق الطوسي على قراءة الحسن لقوله﴿ تسع وتسعون نعجة ﴾[٧] وهو يربط بين قراءة

---

(١) هود: ٢٧.
(٢) التبيان: ٥/٥٣٩.
(٣) ظ التبيان: الطوسي١/٩٧، ٢/٣٧٩، ٢/٣٦٨، ٥/٦٩، ٤٥٨، ٧/٣٢، ٨/١٤٤.
(٤) القصص: ٢٩.
(٥) التبيان: الطوسي٨/١٤٤.
(٦) الكهف: ٢٥.
(٧) ص: ٢٣.

wadod.org

الآيتين. قال: «قرأ الحسن (تسع وتسعون) بفتح التاء، يقال تسع بكسر التاء وفتحها، وهما لغتان، والكسر أكثر وأفصح»[١].

وفي قوله تعالى: ﴿ وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ﴾[٢] قال الطوسي: «قرأ الكسائي (يعزب) بكسر الزاي هنا وفي سبأ، الباقون بضمها، وهما لغتان، وإن كان الضم أفصح وأكثر»[٣].

وفي قوله تعالى: ﴿ يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم ﴾[٤]، قال الطوسي: «أفصح اللغات فتح الهاء (أيها) وبعض بني مالك من بني أسد رهط شقيق بن سلمة يقولون: يا أيه الناس ويا أيته المرأة وأيه الرجل ولا يقرأ بها»[٥].

٩. استخدام اللغة والنحو في توجيه القراءة:

شكلت ظاهرة النقل عند العلماء المشهورين في اللغة والنحو جانبا بارزاً في منهج الطوسي في القراءات واللغة والنحو، وهذه ظاهرة ليست جديدة على المفسرين. إلا أن الجديد فيها والذي لفت انتباه الباحث إليه أن الطوسي استخدم اللغة والنحو لتوجيه القراءة[٦]، ولكثرة الأمثلة التي استعان بها الطوسي في هذا الجانب سيكتفي البحث بأربعة منها على سبيل المثال لا الحصر.

قال الطوسي عند تفسيره قوله تعالى: ﴿ إن الذين كفروا وماتوا أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ﴾[٧]. قال: «حكي عن الحسن أنه قرأ (والملائكة) رفعاً ويكون ذلك على حمله على معنى يلعنهم الله والملائكة والناس أجمعون، كما تقول عجبت من ضرب زيدٌ وعمرٌو، بالرفع، وهذه قراءة شاذة لا يعول عليها، لأن المعتمد ما عليه الجمهور، ولا يجوز رفع (أجمعين) وحده ها

---

(١) التبيان: الطوسي٧/٣٢.

(٢) يونس: ٦١.

(٣) التبيان: الطوسي ٥/٤٥٨.

(٤) البقرة: ٢١.

(٥) التبيان: الطوسي ١/٩٧.

(٦) التبيان: الطوسي ١/٣٨٤-٢/٥٠، ٣٨٨، ٤٣٣، ٤٣٩-٣/٤٩، ٥٨، ٩٧، ٧٥، ٢٠٢، ٣٨٥، ٥١١، ٥٤٦-٥/٩٨، ١٣٥، ٢٣٨، ٣٨٧، ٤٦٨-٦/٣٠٨-٧/٤١١-٨/٥٥٥.

(٧) البقرة: ١٦١.

wadod.org

هنا، لأن هذه اللفظة لا تكون إلا تابعة، وليس في الكلام مظهر ولا مضمر تتبعه على ذلك، وإنما الحمل على المعنى بمنزلة إعادة معنى العامل الأول، كأنك قلت: ويلعنهم الملائكة والناس أجمعون »[١].

بينما لم يشذ الفراء هذه القراءات وجوزها بناءً على ما سمع عن العرب. قال: « وقرأها الحسن (لعنة الله والملائكة والناس أجمعون) وهو جائز في العربية وإن كان مخالفاً للكتاب. . والعرب تقول: عجبت من ظلمك نفسك، فينصبون النفس لأن تأويل الكاف رفع، ويقولون: عجبت من غلبتك نفسك، فيرفعون النفس، لأن تأويل الكاف نصب، فابن على ذا ما ورد عليك »[٢].

وفي قوله تعالى: ﴿ ولا يحسبن الذين كفروا أنّما نملي لهم خير لأنفسهم ﴾[٣] قال الطوسي: « قرأ حمزة (ولا تحسبن) بالتاء وفتح السين، الباقون بالياء وهو الأقوى، لأن حسبت يتعدى إلى مفعولين و(أن) على تقدير مفعولين، لأن قوله: ﴿ أنّما نملي لهم خيرٌ لأنفسهم ﴾ سد مسد المفعولين اللذين يقتضيهما يحسبن)[٤].

وفي قوله تعالى: ﴿ وما قتلوه يقيناً بل رفعه الله إليه ﴾[٥] قال الطوسي: « في القرّاء من أدغم اللام في الراء وعليه الأكثر. وهو الأقوى، لقرب مخرج اللام من مخرج الراء. وهو أقوى من إدغام الراء في اللام. لأن في الراء تكريراً فهو يجري مجرى الحرفين ومن لم يدغم قال لأنه من كلمتين »[٦].

والحقيقة أن إدغام اللام في الراء متفق عليه، أما إدغام الراء في اللام فمختلف عليه، منعه البصريون، لأن الراء حرف فيه تكرير، فإذا أدغمته كأنك أدغمت حرفاً مشدداً، وإدغام المشدد فيما بعده خطأ عندهم[٧]، إذ لا يجيزه

---

(١) التبيان: الطوسي ٢/٥٠.
(٢) معاني القرآن: الفراء ١/٩٦.
(٣) آل عمران: ١٧٨.
(٤) التبيان: الطوسي ٣/٥٨-٥٩.
(٥) النساء: ١٥٧.
(٦) التبيان: ٣/٣٨٥.
(٧) ظ إعراب القرآن: النحاس ١/٢٣٧.

wadod.org

سيبويه[١]، والمبرد[٢]، بينما أجازه الكسائي والفراء[٣]. ولعلهما ذهبا إلى «أن الراء إذا أدغمت في اللام صارت لاماً، ولفظ اللام أسهل من الراء لعدم التكرار فيها. وإذا لم تدغم الراء كان في ذلك ثقل، لأن الراء فيها تكرار، فكأنها لاءان، واللام قريبة من الراء فتصير كأنك أتيت بثلاثة أحرف من جنس واحد»[٤].

وفي قوله تعالى: ﴿ واتقوا الله الذي تساءلون به ﴾[٥] وجه الطوسي القراءتين المرويتين في (تساءلون به) على أساس لغوي إذ قال: «قرأ أهل الكوفة (تساءلون به) بتخفيف السين. الباقون بتشديدها.. فمن قرأ من أهل الكوفة (تساءلون به) بالتخفيف فوجه أن اصله تتساءلون، فحذف إحدى التائين، وهي الأصلية لأن الأخرى للمضارعة، وإنما حذفوها لاستثقالهم إياها في اللفظ فحذفت، لأن الكلام غير ملتبس. ومن شدد أدغم إحدى التائين في السين، لقرب مكان هذه من هذه»[٦].

١٠. الاهتمام بلغات العرب:

لم يغفل الطوسي عن اختلاف اللهجات العربية وأثر ذلك في الظواهر اللغوية، فكثيراً ما كان يوجه القراءات المتباينة وفق هذه اللهجات[٧]. فيذكر أن هذه لهجة كذا، وتلك لهجة كذا.

قال الطوسي عند تفسيره قوله تعالى: ﴿ فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا ﴾[٨]، «قرأ الكسائي (بزعمهم) بضم الزاي في الموضعين، الباقون بفتحها. وفي الزعم ثلاث لغات، الفتح، والضم، والكسر، مثل فَتك وفُتك وفِتك، وقَبل وقُبل

---

(١) ظ إعراب ثلاثين سورة: ابن خالويه ٢٣.

(٢) ظ المقتضب: المبرد ٢١٢/١.

(٣) ظ الممتع في التصريف: ابن عصفور ٧٢٤-٧٢٥.

(٤) الممتع في التصريف: ابن عصفور ٧٢٥.

(٥) النساء: ١.

(٦) التبيان: الطوسي ٩٧/٣-٩٨.

(٧) ظ التبيان: الطوسي ٦٢/٣، ١٩٦، ٢٠٠، ٢٠٧/٤، ٢٥٠، ٣٠٧، ٣١٨، ٤٧٦، ٥٥٨، ٤٧٧/٧، ٣٢٨/٨، ٣٥٤، ٤٦٩، ٥١١، ٥٦٦، ٥٣/٩، ٢٧٣، ٣٠٦.

(٨) الأنعام: ١٣٦.

wadod.org

وقبل، ووَدّ ووُدّ وودّ. ولم يقرأ بالكسر أحد، فالفتح لغة أهل الحجاز، والضم لغة تميم، والكسر لغة بعض بني قيس »[١].

وفي قوله تعالى: ﴿ فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً قالوا نعم ﴾[٢] قال الطوسي: « نعم ونَعم لغتان، فالكسر لغة كنانة وهذيل، والفتح لغة باقي العرب، وفي القراءة الفتح »[٣].

وفي قوله تعالى: ﴿ حم ﴾[٤] قال الطوسي: « قرأ أهل الكوفة إلا حفصاً وابن ذكوان (حاميم) بإمالة الألف، الباقون بالفتح من غير إمالة، الباقون بالفتح من غير إمالة وهما لغتان فصيحتان »[٥].

وفي قوله تعالى: ﴿ إذا أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى ﴾[٦].

قال الطوسي: «قرأ ابن كثير وأبو عمرو (بالعدوة) بكسر العين. الباقون بضمها وهما لغتان. قال الراعي في الكسر: [من المتقارب]

وعينان حمر مآقيها ... كما نظر العدوة الجؤذر[٧]

وقال أوس بن حجر في الضم: [من البسيط]

وفارس لا يحل الحي عدوته ... ولوا سراعاً وما همّوا بإقبال[٨]

وقال البصريون الكسر أكثر اللغات. وقال أحمد بن يحيى: بالضم أكثر. وقال قوم هما لغتان سواء »[٩].

---

(١) التبيان: الطوسي ٤/٣٠٧.
(٢) الأعراف: ٤٣.
(٣) التبيان: الطوسي ٤/٤٣٥.
(٤) المؤمن: ١.
(٥) التبيان: ٩/ ٥٣.
(٦) الأنفال: ٤٢.
(٧) ظ جامع البيان: الطبري ١٣/٥٦٥.
(٨) المصدر نفسه.
(٩) التبيان: الطوسي ٥/١٤٧.

wadod.org

١١. الطوسي يسوّغ القراءة التي لها وجه في العربية:

لم يكن الطوسي مقلداً يتبع القدماء فقط؛ بل كان قوي الشخصية سديد الرأي، ينتهج المنهج العلمي السليم، فهو ينتفع بتراث القدماء، ويجعله أساساً لأن يجتهد في كثير من الأمور العلمية التي عرض لها ومنها القراءات. فهو ينقل القراءات المشهورة دون ترجيح لواحدة منها، ثم يعطي وجهة نظره بقراءة أخرى[١] ـ ولو لم يقرأ بها ـ وهنا دليل واضح على تمكنه وإطلاعه على ميدانه الذي يبحثه، فلم يكتف بالنقل بل نجده ناقلاً ومعللاً، ومناقشاً، وناقداً، بما يثبت له قوة الباع وسعة الاطلاع.

قال الطوسي عند تفسيره قوله تعالى: ﴿ وحورٌ عينٌ ﴾[٢] «قرأ أبو جعفر وأهل الكوفة إلا عاصماً وخلفاً (حور عين) خفضاً. الباقون بالرفع، فمن رفع حمله على: ولهم حور عين، واختاروا الرفع لأن الحور العين لا يطاف بهن، وإنما يطاف بالكأس، وعلى هذا يلزم أن يقرأ (وفاكهة)[٣] رفعاً وكذلك (ولحم طير)[٤] بالرفع، لأنهما لا يطاف بهما... ومن خفض عطف على الأول لتشاكل الكلام من غير إخلال بالمعنى إذ هو مفهوم... وتقديره: ينعمون بكذا وحور عين. وقال أبو علي تقديره: وفي مجاورة حور عين، أو معانقة حور عين، لأن الكلام الأول يدل عليه. قال الشاعر: [من الوافر]

إذا ما الغانيات برزن يوماً ... وزججن الحواجب والعيونا[٥]

والمعنى: وكحلن العيون فرده على قوله (وزججن) ومثله:

[من مجزوء الكامل]

[و] رأيت زوجك في الوغى ... متقلداً سيفاً ورمحا[٦]

---

(١) ظ التبيان: الطوسي ١/٣٨٦، ٢/٣٨٠، ٣٨١، ٤٣٣، ٣/٥٩، ٨٨، ٤/١٠٤، ٤٧٩، ٥/٢١٧، ٩/ ٤٩٢.

(٢) الواقعة: ٢٢.

(٣) الواقعة: ٢٠.

(٤) الواقعة: ٢١.

(٥) قائله الراعي النميري ظ: ديوانه ١٥. (وهزة نسوة في حي صدق ... يزججن..).

(٦) لم يعرف قائله ظ جامع البيان الطبري: ١/١٤، التبيان: الطوسي ٤/٢٣٢.

wadod.org

أي وحاملاً رمحاً، وكان يجوز النصب على تقدير: ويعطون حوراً عيناً كما قال الشاعر: [من البسيط]

جئني بمثل بني بدر لقومهم أو مثل إخوة منظور بن سيار[١]

لما كان معنى جئني هات، عطف أو مثل على المعنى »[٢] لمعرفة السامع بذلك.

وفي قوله تعالى: ﴿ وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء، ويعذب من يشاء ﴾[٣] قال الطوسي: « قرأ (فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء) بالرفع عاصم، وابن عامر على الاستئناف وقرأ الباقون على الجزم عطفاً على «يحاسبكم» وهو جواب الشرط وكان يجوز أن يقرأ فيغفر بالنصب على مصدر الفعل الأول وتقديره: إن يكن محاسبة، فيغفر لمن يشاء »[٤].

وفي قوله تعالى: ﴿ ولا يحسبن الذين كفروا أنّما نملي لهم خير ﴾[٥] قال الطوسي بعد أن أورد القراءات في (يحسبن) « وإنما قال يجوز كسر إنما مع الياء في (يحسبن) وهو وجه الكلام. لتكون الجملة في موضع الخبر، نحو: حسبت زيداً أنه كريم، غير أنه لم يقرأ به أحد من السبعة »[٦].

وفي قوله تعالى: ﴿ اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ﴾[٧].

قال الطوسي: «يجوز في قوله (مالكم من إله غيره) ثلاثة أوجه من العربية، الجر على اللفظ، والرفع على الموضع، وقد قرئ بهما.. والنصب على الاستثناء، أو الحال، ولم يقرأ به »[٨].

---

(١) لم أعثر على قائله.
(٢) التبيان: الطوسي ٤٩٢/٩.
(٣) البقرة: ٢٨٤.
(٤) التبيان: الطوسي ٣٨١/٢.
(٥) راجع البحث ص٣٣.
(٦) التبيان: الطوسي ٥٨/٣.
(٧) الأعراف: ٧٢.
(٨) التبيان: الطوسي ٤٧٩/٤.

wadod.org

١٢. عدم الاعتداد بالقراءات الشاذة:

شكلت ظاهرة النقل عن كبار علماء العربية ظاهرة واضحة عند الطوسي سواء في النحو أو اللغة أو القراءات. إلا أنه لم يكن ناقلاً جماعاً، بل كانت شخصيته واضحة جداً في كثير من مفاصل دراسته اللغوية أو النحوية أو القرآنية. فكثيراً ما كان يعلن رأيه راداً ما لا يعتقده، معللاً ذلك الرفض لغوياً أو نحوياً أو نقلياً. لقد رفض الطوسي القراءات الشاذة[١]، كما أنه رد على علماء كبار القراءات أمثال ابن عامر[٢]، وحمزة بن حبيب[٣]، ونافع[٤]، ويعقوب بن أبي إسحاق[٥]، والحسن البصري[٦]، وعلى أبي حاتم[٧]، ويحيى بن المبارك[٨]، والطبري[٩].

قال الطوسي عند تفسيره قوله تعالى: ﴿ فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله ﴾[١٠]: « قرئ في الشواذ (مخلف وعده رسله) وهي شاذة رديئة، لأنه لا يجوز الفصل بن المضاف والمضاف إليه. والصحيح ما عليه القراء. وتقديره مخلف وعده رسله، كما تقول: هذا معطي زيداً درهماً، والمعنى مخلف رسله وعده »[١١].

---

(١) ظ التبيان: الطوسي ١/٣٠٨، ٦/٣٠٨-٣٠٩، ٧/٨٠.
(٢) ظ التبيان: الطوسي ١/٤٢٨، ٤٣٤، ٤/٣٠٩، ٩/٥٢١.
(٣) ظ التبيان: الطوسي ١/٥٧.
(٤) ظ التبيان: ٧/٤١١، ٤/٣٨١.
(٥) التبيان: ١/٤٣٥.
(٦) ظ التبيان: ١/٣٨٩، ٤٢٨، ٤٣٤، ٢/٥٠، ٥/ ٤٠٥.
(٧) ظ التبيان: ٧/٤١٠.
(٨) ظ التبيان: ٤/٢٣٧، ٢٢٨:٨.
(٩) ظ التبيان: ١/٤٨٨، ٢/٥١٢، ٣/٨٨، ٤/١٢.
(١٠) إبراهيم: ٤٨.
(١١) التبيان: الطوسي ٦/٣٠٨-٣٠٩.

wadod.org

وقد تفرد الطوسي في وصفه لهذه الآية بالشذوذ، فلم يشذذها ابن خالويه[١]، أو ابن جني[٢] أو غيرهما[٣].

وفي قوله تعالى: ﴿ وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون ﴾[٤]. قال: «قرأ عامر (فيكون) نصباً. الباقون بالرفع.. ورفع قوله (فيكون) يحتمل أمرين: أحدهما أن يكون عطفاً على يقول - والآخر - على الاستئناف أي فهو يكون، ونصبه على جواب الأمر، فلا يجوز، لأنه إنما يجب الجواب بوجود الشرط. فما كان على فعلين في الحقيقة، كقولك ائتني فأكرمك، فالإتيان غير الإكرام، فأما (كن فيكون) فالكون الحاصل هو لكون المأمورية، ومثله: إنما أقول له ائتني فيأتيني. وقال أبو علي يجوز ذلك على وجه، وهو على أن لفظهُ لما كان لفظ الأمر، نصب كما نصب في جواب الأمر، فإن كان الأمر بخلافه، كما قال أبو الحسن في نحو قوله: ﴿ قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة ﴾[٥] يجوز ذلك في الآي على أنه أجرى مجرى جواب الأمر - وإن لم يكن جواباً في الحقيقة - وقد يكون اللفظ على شيء والمعنى على غيره نحو قولهم: ما أنت وزيد. والمعنى لم تؤذيه؟ وليس ذلك في اللفظ، ومثله: ﴿ فلا تكفر فيتعلمون ﴾[٦] ليس (فيتعلمون) جواباً لقوله (فلا تكفر) ولكن معناه: يعلمون أو يعلمان، فيتعلمون منهما. غير أن قوله (فلا تكفر) نهي على الحقيقة. وليس قوله (كن) أمراً على الحقيقة، فمن هنا ضعفت هذه القراءة»[٧].

وفي قوله تعالى: ﴿ ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معايش ﴾[٨] قال الطوسي: «روى خارجة عن نافع همز معايش، وروي ذلك عن الأعمش، وعبد الرحمن الأعرج، الباقون غير مهموز.

(١) ظ مختصر في شواذ القراءات: ابن خالويه ٦٨-٧٠.
(٢) ظ المحتسب: ابن جني ١/٣٥٩ - ٣٦٧.
(٣) ظ القراءات الشاذة: عبد الفتاح القاضي ٥٩-٦٠.
(٤) البقرة: ١١٨.
(٥) إبراهيم: ٣١.
(٦) البقرة: ١٠٢.
(٧) التبيان: الطوسي ١/٤٢٨-٤٣٤.
(٨) الأعراف: ٩.

wadod.org

وعند جميع النحويين أن (معايش) لا يهمز، ومتى همز كان لحناً لأن الياء فيها أصلية، لأنه من عاش يعيش، ولم يعرض فيها علة كما عرض في (أوائل) وهي في (مدينة) زائدة علة لا تدخلها الحركة كما لا تدخل الألف، ومثله (مسألة ومسائل، ومنارة ومنائر) ومن همزها اعتقدها (فعيلة) على وزن صحيفة، فجمعها على (فعائل) مثل: صحائف، وذلك غلط، لأن الياء أصلها، لقولهم: عاش يعيش عيشاً ومعيشة »[١].

وكان الطوسي قد وافق من سبقه في ذلك، فقد لحن هذه القراءة الزجاج، قال: « لا ينبغي التعويل على هذه القراءات »[٢] كما لحنها ابن خالويه[٣]، وابن النحاس[٤].

وفي قوله تعالى: ﴿ فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لأكفرنّ عنهم سيئاتهم ﴾[٥]. رد الطوسي على الطبري. قال: « قرأ حمزة والكسائي وخلف (وقتلوا وقاتلوا) بتقديم المفعولين على الفاعلين. الباقون (قاتلوا وقتلوا) بتقديم الفاعلين على المفعولين. . . وقال الطبري: القراءة بتقديم المفعولين لا تجوز، وهذا خطأ ظاهر، لأن من اختار اسم الفاعلين على المفعولين، وجه قراءته أن القتال قبل القتل. ومن قدم المفعولين على الفاعلين وجه قراءته يحتمل أمرين: أحدهما - أن يكون المعطوف بالواو، ويجوز أن يكون أولاً في المعنى، وإن كان مؤخراً في اللفظ. لأن الواو، لا يوجب الترتيب. . والثاني - أن يكون لما قتل منهم قاتلوا ولم يهنوا ولم يضعفوا لمكان من قتل منهم، كما قال تعالى: ﴿ فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين ﴾[٦] وقوله: ﴿ فاستجاب لهم ربهم أنّي ﴾[٧] ».

---

(١) التبيان: الطوسي ٤/٣٨١.

(٢) البحر المحيط: أبو حيان ٤/٢٧١.

(٣) ظ إعراب ثلاثين سورة: ابن خالويه ٤٩.

(٤) ظ إعراب القرآن: النحاس ١/٦٠٠.

(٥) آل عمران: ١٩٥.

(٦) آل عمران: ١٤٦.

(٧) آل عمران: ١٩٥.

wadod.org

١٣. الاستدلال بالشعر على القراءة:

التبيان: كتاب في التفسير، . إلا أن من يقرؤه يجده حافلاً بأشعار القبائل العربية التي يحتج بشعرها، فقد اتخذ الطوسي من موروث العرب الشعري أساساً يستعين به على إثبات صحة كثير من القراءات التي عرض لها[١]، وكأنه استحضر في ذهنه قول ابن عباس: «إذا أشكل عليكم الشيء من القرآن فارجعوا فيه إلى الشعر فإنه ديوان العرب»[٢].

لقد استشهد الطوسي في تفسيره (التبيان) بشواهد شعرية كثيرة عند تفسيره الظواهر اللغوية والنحوية[٣]، فضلاً عن القراءات موضوع البحث حتى إنه تجاوز الصورة التي أعطاها عن الشعر في مقدمة (التبيان).

قال الطوسي عند تفسيره قوله تعالى: ﴿ كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فإنه غفور رحيم ﴾[٤] وهو يخرج قراءة نافع بفتح الهمزة الأولى في (أنه) وكسر الثانية في (فإنه) قال: «فالقول فيهما أنه أبدل من الرحمة واستأنف ما بعد الواو. قال سيبويه: بلغنا أن الأعرج قرأ (أنه من عمل. . فإنه غفور رحيم) ونظيره قول ابن مقبل: [من الطويل]

وأنـي إذا ملّـت ركـابي مناخـها ... فإنّي على حظي من الأمر جامح[٥]

يريد أن قوله: ﴿ وإني إذا ملت ركابي ﴾ محمول على ما قبله، كما أن قوله: و﴿أنه من عمل﴾ محول على ما قبله، وقوله: ﴿ فإني على حظي ﴾ مستأنف مثل قوله: ﴿ فإنه غفور رحيم ﴾ مستأنف به منقطع عما قبله»[٦].

وفي قوله تعالى: ﴿ وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً ﴾[٧] قال الطوسي: «قرأ ابن عامر وحمزة (وإن تلوا) بضم اللام بعدها واو واحدة

---

(١) ظ التبيان: الطوسي ١/٢٩٨، ٢٩٩، ٣٢٦، ٣٢٧، ٤٦٦، ٣/٣٤، ١٧٨، ٣٥٤، ٤/١٥٩، ٧/٨٠.

(٢) الفاضل: المبرد ١٠.

(٣) ظ البحث اللغوي والنحوي في تفسير التبيان: د. عبد علي الخماسي ٢١٧.

(٤) الأنعام: ٥٤.

(٥) ظ ديوانه: ٤٥، ورواية الشطر الثاني (ركبت ولم تعجز علي المنادح و..).

(٦) التبيان: ٤/١٥٩.

(٧) النساء: ١٣٥.

wadod.org

ساكنة. الباقون يسكنون اللام بواوين بعدها أولهما مضمومة، حجة من قرأ بواو واحدة أن قال: إن ولاية الشيء إقبال عليه وخلاف الإعراض عنه، والمعنى أن تقبلوا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً، فيجازي المحسن المقبل بإحسانه، والمسيء المعرض بإعراضه، وتركه الإقبال على ما يلزمه أن يقبل عليه. قالوا: ولو قرأت بالواوين لكان فيه تكرار، لأن اللي كالإعراض. ألا ترى قوله تعالى: ﴿لووا رؤوسهم ورأيتهم يصدون﴾[١] معناه إعراض منهم، وترك الانقياد للحق ومثله (لياً بألسنتهم)[٢] معناه انحراف وأخذ فيما لا ينبغي أن يأخذوا به. وحجة من قرأ بالواوين من (لووا) أن تقول لا يمنع أن تتكرر اللفظتان المختلفتان بمعنى واحد على وجه التأكيد كقوله: ﴿ فسجد الملائكة كلهم أجمعون ﴾[٣] وكقول الشاعر:

وهندٌ أتى من دونها النأي والبعد[٤]

وقول آخر:

وألفى قولها كذباً ومينا[٥]»[٦].

وكان الفراء يرى أن القراءة بواو واحدة جاءت من أصل مهموز. قال «تلووا، وتلوا قد قرئتا جميعاً، وترى الذين قالوا (تلوا) أرادوا (تلؤوا) فيهمزون الواو لانضمامها، ثم يتركون الهمز فيتحول إعراب الهمز إلى اللام فتسقط الهمزة، إلا أن يكون المعنى فيها وإن تلوا ذلك: يريد تتولوه أو (تعرضوا) عنه أو تتركوه، فهو وجه»[٧].

وفي قوله تعالى: ﴿ وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدوا إلاّ الله وبالوالدين إحساناً ﴾[٨] قال الطوسي: «قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي (لايعبدون) بالياء.

---

(١) المنافقون: ٥.
(٢) النساء: ٤٥.
(٣) الحجر: ٣٠.
(٤) البيت للحطيئة ظ ديوانه ٣٩، التبيان ٣/٣٥٤ شطر من بيت صدره: ألا حبذا هند وأرضى بها هند.
(٥) البيت لعدي بن زيد، ظ ديوانه ١٨٣ وصدره (وقدمت الأديم كراهشيه).
(٦) التبيان: الطوسي ٣/٣٥٣-٣٥٤.
(٧) معاني القرآن: الفراء ١/٢٩١.
(٨) البقرة: ٨٣.

wadod.org

الباقون بالتاء. . من قرأ بالياء تقديره إنه أخبر أنه تعالى أخذ بميثاقهم، لا يعبدون إلا الله، وبالوالدين إحساناً، ثم عدل إلى خطابهم فقال (وقولوا للناس حسناً) والعرب تفعل ذلك كثيراً. . وإنما استخاروا أن يصير إلى المخاطبة: بعد الخبر، لأن الخبر إنما كان عمن خاطبوه بعينه، لا عن غيره. وقد يخاطبون، ثم يصيرون بعد ذلك إلى الخبر عن المخاطب. مثال الأول قول الشاعر: [من الكامل]

شطت مزار العاشقين فأصبحت ... عراً على طلابك ابنه محزم[١]

مزار بالنصب. والتاء من أصبحت كناية عن المرأة فأخبر عنها ثم خاطبها ومثال الثاني قول الشاعر: [من الطويل]

أسيئي بنا أو أحسني لا ملومة ... لدينا ولا مقلية إن تقلّت[٢]

وقال زهير: [من الوافر]

فإني لو ألاقيكَ اجتهدنا ... لكان لكل منكره كفاء

وأبري موضحات الرأس منه ... وقد يبرا من الجرب الهناء[٣]

ومن قرأ بالتاء فإن الكلام من أوله خطاب»[٤].

قال الفراء: إنما جاز أن تقول لا يعبدون ولا تعبدون وهم غيب كما قال: ﴿قل للذين كفروا سيغلبون﴾[٥] بالياء والتاء، على لفظ الغيب، والتاء على المعنى[٦].

وفي قوله تعالى: ﴿ وما كان لنبي أن يغل ﴾[٧] قال الطوسي: «قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم (يغل) بفتح الياء، وضم الغين. الباقون بضم الياء وفتح

---

(١) البيت لعنترة بن شداد. ظ ديوانه: ٧٦، ورواية صدره (حلت بأرض الزائرين فأصبحت).

(٢) البيت لكثير بن عزة. ظ ديوانه: ١/٥٣.

(٣) ظ ديوانه: ١٤٠ ورواية البيت الأول:

وإني لو لقيتك فاجتمعنا ... لكان لكل مندية لقاء

وفي الشطر الثاني (يشفى) بدل (يبرى).

(٤) التبيان: الطوسي ١/٣٢٦-٣٢٧.

(٥) آل عمران: ١٢.

(٦) ظ معاني القرآن: الفراء: ١/٥٤.

(٧) آل عمران: ١٦١.

wadod.org

الغين. فمن قرأ بفتح الياء وضم الغين، فمعناه ما كان لنبي أن يخون، يقال من الغنيمة غل: إذا خان فيها، ومن الخيانة أغل يغل، قال النمر بن تول: [من الطويل]

جزى الله عنا جمرة ابنة نوفل جزاء مغل بالأمانة كاذب
بما سألت عني الوشاة ليكذبوا عليّ وقد أبليتها في النوائب[١]

ويقال من الخيانة غل يغل. . ومن قرأ بضم الياء وفتح الغين أراد وما كان لنبي أن يخون أي ينسب إليه الخيانة. ويحتمل أن يكون أراد ما كان لنبي أن يخان بمعنى يسرق منه »[٢].

١٤. الاعتداد بالروايات المتصلة بالأئمة (عليهم السلام):

يعتد الطوسي بالروايات الواردة عن أهل بيت النبي (ص)، فما يسمعه عنهم هو الأساس، ويعد الرواية عنهم متواترة، لا تخالف وقد نهج على هذا السبيل في مناقشاته اللغوية والنحوية[٣]، فضلاً عن القراءات[٤] موضوع البحث.

من ذلك ما أورده عند تفسيره قوله تعالى: ﴿ أو لامستم النساء ﴾[٥] قال: «قرأ حمزة والكسائي (أو لمستم)، بألف قال: معناه الجماع وهو قول علي (عليه السلام) وابن عباس ومجاهد وقتادة وأبو علي والجبائي، واختاره أبو حنيفة ومن قرأ بلا ألف أراد اللمس باليد وغيرهما بما دون الجماع ذهب إليه ابن مسعود، وعبيدة، وابن عمر، والشعبي، وإبراهيم، وعطاء، واختاره الشافعي. والصحيح عنده هو الأول »[٦].

وفي قوله تعالى: ﴿ لا تسأل عن أصحاب الجحيم ﴾[٧].

---

(١) ظ ديوانه: ٣٨ وروايته (وقد سالت) بدل (بما سألت).
(٢) التبيان: الطوسي ٣/٣٤.
(٣) ظ البحث اللغوي والنحوي في تفسير التبيان: د. علي عبد الخماسي ١٠٨.
(٤) ظ التبيان: ١/٤٣٦، ٣/٢٠٥، ٤/١٢٧، ٩/٤٩٥.
(٥) النساء: ٤٣.
(٦) التبيان: الطوسي ٣/٢٠٥.
(٧) البقرة: ١٢٠.

wadod.org

قال الطوسي: «قرأ نافع (لا تسأل) بفتح التاء وجزم اللام عن النهي، وروى ذلك عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر (عليهم السلام) وابن عباس. ذكر ذلك الفراء والبلخي. الباقون على لفظ الخبر على ما لم يسم فاعله»[١].

وفي قوله تعالى: ﴿قد نعلم أنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون﴾[٢].

قال الطوسي: «قرأ نافع والكسائي.. (لا يكذبونك) بسكون الكاف وتخفيف الذال، وهو المروي عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) وعن أبي عبد الله (عليه السلام). الباقون بفتح الكاف وتشديد الذال»[٣].

وفي قوله تعالى: ﴿وطلح منضود﴾[٤].. قال الطوسي: «روي عن علي (عليه السلام) أنه قرأ (وطلع منضود) بالعين، والقراء على الحاء، وقال علي (عليه السلام) هو كقوله: ﴿ونخل طلعها هضيم﴾[٥] وقال كالمتعجب! وما هو شأن الطلح؟ فقيل له: ألا تغيره؟ قال: القرآن لا يهاج اليوم ولا يحول»[٦].

ولا يخفى أن في حوار الطوسي مع هذه القراءة سبيلاً واضحاً لها.

---

(١) التبيان: الطوسي ١/٤٣٦.
(٢) الأنعام: ٣٣.
(٣) التبيان: الطوسي ٤/١٢٧.
(٤) الواقعة: ٢٩.
(٥) الشعراء: ١٤٨.
(٦) التبيان: الطوسي ٩/٤٩٥.

wadod.org

الفصل الثالث

المبحث الأول - مذهب الطوسي في القراءة:

عرضنا فيما مضى لآراء الطوسي في القراءة، وموقفه من القراءات فكانت مواقفه متفاوتة بين القبول، والقبول والمفاضلة، والتضعيف والتشذيذ، وهو في هذا لا يختلف عن مواقف المفسرين الآخرين، والسؤال الذي يطرح في هذا المبحث هو: هل الطوسي كوفي المنهج أو بصري؟ وبتعبير آخر أي القراء يمثل في منهجه الإقرائي؟.

إن الإجابة عن هذا السؤال ليست بسيطة، مباشرة بل إنها تحتاج إلى تتبع ميل الطوسي، وترجيحاته عند الاختلاف. بل نحتاج إلى معرفة المصادر التي نهل منها، وارتأى الباحث أن يحصر هذه المتابعة في الجوانب الآتية:

١ـ موارده التي نهل منها.

٢ـ مصطلحاته.

٣ـ موقفه من المسائل الخلافية في القراءات.

أما موارده التي نهل منها فهي كثيرة متشعبة، وقد نهل من المدرستين؛ البصرية والكوفية، من غير تعصب، ولا ميل إلا بمقدار ما أصابه من الحق. ومن خلال الاستقراء ظهر لنا أنه أخذ من الكوفيين أكثر مما أخذ من البصريين. فمثلاً أخذ عن الفرّاء شيخ المدرسة الكوفية (١٥٤) أربعة وخمسين ومائة موضعاً في اللغة والنحو[١]، فضلاً عن القراءات والتفسير، بينما نقل عن سيبويه (٤٠) أربعين موضعاً[٢]، كما أن ردوده على شيوخ المدرسة الكوفية هي أقل بكثير من ردوده على شيوخ مدرسة البصرة[٣].

(١) ظ البحث اللغوي والنحوي: د. عبد علي الخماسي ٢٣، ١٩٤.

(٢) المصدر نفسه: ١٧.

(٣) المصدر نفسه: ١٩٤.

wadod.org

أما مصطلحاته فقد ثبت عن طريق الاستقراء والإحصاء ميله للمصطلح الكوفي أكثر من البصري[١]، فقد استخدم جميع المصطلحات الكوفية وبنسبة تفوق استعماله للمصطلحات البصرية، فضلاً عن إهماله بعض المصطلحات البصرية الشائعة، وعدم الالتفات إليها. ومن يتتبع مصطلحاته من خلال لغة البحث يجد ذلك واضحاً.

أما المسائل الخلافية فهي الأخرى كان فيها إلى جانب الكوفة من حيث اللغة والنحو[٢]. فضلاً عن القراءات التي ظهر فيها ميله لما يورده القراء الكوفيون[٣]، والأمثلة على ذلك كثيرة جداً سيعرض الباحث قسماً منها ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ في الصفحات القادمة.

ويعزز كوفية الطوسي في نهجه الإقرائي واللغة والنحو ما أورده أستاذنا الفاضل الدكتور الصغير[٤] عندما قرر أن (التبيان) مصدر من مصادر النحو الكوفي في ثلاثة أبعاد متميزة هي:

١ـ الرواية عمن أصل المذهب الكوفي في اللغة والنحو.

٢ـ الاجتهاد القائم على النظر العقلي في القياس خاصة.

٣ـ تردد المصطلح الكوفي في الاستعمال والاختيار.

ومما يقوي كوفية الطوسي أيضاً ـ في نظر الباحث ـ كوفية الطبري[٥]. إذ تابعه كثيراً في اللغة والنحو والقراءات. وهذه أمثلة لمنهجه الكوفي. في قوله تعالى: ﴿لا تضار والدة بولدها﴾[٦]. قرأ الكوفيون (لا تضار) لا تضارر بالفتح على

---

(١) ظ البحث اللغوي والنحوي: ١٧٧ـ ١٨٨.

(٢) م. ن: ١٤٩ـ١٧٠.

(٣) ظ التبيان: الطوسي ٢/٢٥٧، ٣/١٧٨، ٥٥٦، ٤/٢٥ـ ٢٦، ٥/٤٥٣، ٧/١٢٦، ١٦٣، ٢٥٠، ٤٨٤ـ ٤٨٥، ٨/٢٦٣، ٣٨١ـ٣٨٢، ٩/٤٩٢، ٥٢١، ١٠/١٦٩، ١٧٩.

(٤) ظ ملامح المدرسة الكوفية عند الدكتور المخزومي في (المحرر) (عنه).

(٥) الطبري النحوي: ٢٠٩ – ٢٩.

(٦) البقرة: ٢٣٣.

wadod.org

النهي[١]، وحجتهم في ذلك قراءة ابن مسعود وابن عباس (لا تضارر) فأدغمت الراء الأولى في الثانية لالتقاء الساكنين[٢]. وهذا ما ذهب إليه الطوسي إذ قال (أصله لا تضارر بكسر الراء الأولى - وقيل بفتحها - وأسكنت وأدغمت في الراء التي بعدها)[٣] واختار هذه القراءة الفراء[٤] والطبري[٥].

وفي قوله تعالى: ﴿ ومن قتله متعمداً فجزاء مثل ما قتل ﴾[٦]، قرأ الكوفيون عاصم وحمزة والكسائي الجزاء بالتنوين ورفع اللام من (مثل)[٧]، على أن الجزاء مبتدأ خبره محذوف تقديره: فعليه، ومثل صفة له، وهذا ما ذهب إليه الطوسي أيضاً إذ قال: «قرأ أهل الكوفة ويعقوب (فجزاء) منوناً (مثل) بالرفع.. حجة من رفع المثل أنه صفة للجزاء. والمعنى: فعليه جزاء من النعم.. ويكون (مثل) صفة للجزاء لأن المعنى: عليه جزاء مماثل للمقتول من الصيد من النعم.. ولا ينبغي إضافة جزاء إلى (المثل) ألا ترى أنه ليس عليه جزاء مثل ما قتل في الحقيقة، وإنما عليه جزاء المقتول لا جزاء فعله، ولا جزاء عليه لمثل المقتول الذي لم يقتله. وإذا كان كذلك علمت أن الجزاء لا ينبغي أن يضاف إلى (مثل)[٨].

واختار الطبري[٩] هذه القراءة.

وفي قوله تعالى: ﴿ وإن الله ربي وربكم فاعبدوه ﴾[١٠] قرأ الكوفيون بالكسر[١١] فقد جاء عن الكسائي أنه قال: إن ذلك على قول عيسى (عليه

(١) معاني القرآن: الفراء ١/١٤٩.
(٢) ظ الحجة: أبو زرعة ١٣٦.
(٣) التبيان: الطوسي ٢/٢٥٧.
(٤) ظ معاني القرآن: الفراء ١/١٤٩.
(٥) ظ جامع البيان: الطبري ٢/٤٩٧.
(٦) المائدة: ٩٧.
(٧) ظ النشر في القراءات العشر: ابن الجزري ٢/٢٥٥.
(٨) التبيان: ٤/٢٥-٢٦.
(٩) ظ جامع البيان: الطبري ٧/٤٣.
(١٠) مريم: ٣٦.
(١١) ظ الحجة: أبو زرعة ٤٤٤.

wadod.org

السلام) حيث قال: (إني عبد الله)[١] فكسرها. قال الفراء: «وفي قراءة أبي أن الله (ربي وربكم) بغير واو. فهذا دليل على أنها مكسورة»[٢]، وهذا ما ذهب إليه الطوسي وهو يرجح قراءة الكسر قال: «ومن كسر استأنف الكلام. وتقوي قراءة الكسر أنه روي أن أُبَيّاً قرأ (إن الله) بلا واو». واختار الطبري[٣] هذه القراءة.

وفي قوله تعالى: ﴿ وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى ﴾[٤]. قال الطوسي: (قرأ (وإنّا اخترناك) بالتشديد بألف حمزه، وأصله وإننا اخترناك.. وقرأ الباقون (وأنا اخترتك) على التوحيد.. وفي قراءة أبي (وإنني اخترتك) فهذه تقوي قراءة حمزة والكسائي)[٥] واختار الطبري[٦] هذه القراءة.

---

(١) مريم: ٣٠.
(٢) معاني القرآن: الفراء ١٦٨/٢.
(٣) ظ جامع البيان: الطبري ٨٥/١٦.
(٤) طه: ١٣.
(٥) التبيان: الطوسي ١٦٣/٧.
(٦) ظ جامع البيان: الطبري ١٤٥/١٦.

wadod.org

المبحث الثاني - منهجه في النقل:

لقد تبين من خلال متابعة (التبيان) أن الطوسي سلك في النقل طريقتين:

١- النقل المباشر: والأمثلة على ذلك كثيرة جداً، بل هي الظاهرة الغالبة على دراساته التي عرضها في هذا الجانب منها:

قال عند تفسيره قوله تعالى: ﴿ لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ﴾[١] «قرأ أهل الكوفة ويعقوب (لا تحسبن) بالتاء وفتح الباء. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالياء وضم الباء. الباقون بالياء وفتح الباء، قال أبو علي: من قرأ بالياء، لم يوقع (يحسبن) على شيء و(الذين) رفع بأنه فاعل (ولا تحسبن) قال: ووجه قراءة ابن كثير وأبي عمرو في أن لم يُعَدِّيا (حسبت) إلى مفعوليه، إنّ (يحسب) في قوله: (فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب) لما جعل بدلاً من الأول وعدي إلى مفعوليه استغنى بها في تعديه الأول إليهما كما استغنى في قول الشاعر: [من الطويل]

بأي كتاب أم بأية سنة ترى حبهم عاراً عليّ وتحسب

فاكتفى بتعديه أحد الفعلين إلى المفعولين عن تعدية الآخر إليهما»[٢].

وفي قوله تعالى: ﴿ إن تبدوا الصدقات فنعما هي ﴾[٣]. قال الطوسي: «قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وخلف (فنعما) بفتح النون وكسر العين، وقرأ ابن كثير، وورش، ويعقوب، وحفص، والأعشى والبرجحي، بكسر النون والعين.. وقرأ أهل المدينة إلا ورشاً وأبا عمر، وأبا بكر.. توثيق الآية بكسر النون وسكون العين، وكذلك في النساء قوله: ﴿ نعما يعظكم به ﴾.

وفي قوله تعالى: ﴿ والذين يؤمنون بما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون ﴾[٤] قال الطوسي: «لا يمد القراء الألف من (ما) إلا حمزة فإنه مدها وقد لحن في ذلك»[٥].

---

(١) آل عمران: ١٨٨.

(٢) التبيان: الطوسي ٣/٧٥.

(٣) البقرة: ٧١.

(٤) البقرة: ٤.

(٥) التبيان: الطوسي ١/٥٧.

wadod.org

وفي قوله تعالى: ﴿ إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوّف بهما ومن تطوع خيراً فإن الله شاكر عليم ﴾[١].

قال الطوسي: «قرأ حمزة والكسائي (ومن يطوع) بالياء، وتشديد الطاء، والواو، وسكون العين الباقون بالتاء على فعل ماضٍ»[٢].

النقل غير المباشر:

قال الطوسي عند تفسيره قوله تعالى: ﴿ أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ﴾[٣].

«حكي عن الحسن أنه قرأ (والملائكة) رفعاً، ويكون ذلك على معنى يلعنهم الله والملائكة والناس أجمعون. كما تقول: عجبت من ضرب زيد وعمرو - بالرفع - وهذه قراءة شاذة لا يعول عليها، لأن المعتمد ما عليه الجمهور»[٤].

وفي قوله تعالى: ﴿ مالك يوم الدين ﴾[٥] قال الطوسي: «قرأ عاصم والكسائي وخلف ويعقوب: مالك بالألف. الباقون بغير ألف ولم يمل أحد ألف مالك، وكسر جميعهم الكاف وروي عن العمش أنه فتحها على النداء»[٦].

وفي قوله تعالى: ﴿ ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم ﴾[٧].

ذكر الطوسي أن جميع القراء السبعة على كسر الغين وضم التاء من (غشاوة) وروي عن بعض القراء فتح الغين، وعن الحسن ضم الغين، وحكى عن عاصم في الشواذ: غشاوة بنصب التاء، ولا يقرأ بجميع ذلك»[٨].

---

(١) البقرة: ١٥٨.
(٢) التبيان: الطوسي ٢/٤١.
(٣) البقرة: ١٦١.
(٤) التبيان: الطوسي٢/٤١
(٥) الفاتحة.
(٦) التبيان: الطوسي١/ ٣٣.
(٧) البقرة: ٧.
(٨) التبيان: الطوسي ١/٦٣.

wadod.org

وفي قوله تعالى: ﴿ قل لا أتبع أهواءكم قد ضللت إذاً وما أنا من المهتدين ﴾[١] قال الطوسي: «روي عن يحيى بن وثاب أنه قرأ (ضللت) بكسر اللام، والقراء كلهم على فتحها، وهما لغتان، فمن كسر اللام فتح الضاد من (يضل) ومن فتح اللام كسر الضاد فقال (يضل) وقال أبو عبيدة: اللغة الغالبة بالفتح»[٢].

الخاتمة:

بعد هذا العرض لمنهج الطوسي ومصادره ظهر للباحث أن هذا العالم الجليل قد جمع من العلوم - لا سيما ما يتعلق منها بكتاب الله العزيز - ما لم يشاركه فيه أحد من أهل زمانه، لهذا حظي بكرسي الكلام، فقد كان حافظاً للقرآن، عارفاً بمعانيه وقراءاته، فضلاً عن اللغة والنحو، وكان صاحب رأي سديد وقول فصل في أغلب مفاصله الدراسية، فلم يكتف بالنقل. بل ظهر معللاً ومرجحاً ومنكراً، ومصوباً، وباسطاً رأيه في كثير من الأمور حتى لو خالف فيها العلماء. وجوز القراءة بالمجاز الذي يجوز بين القراء، لأن القراءة سنة متبعة، لا يجوز مخالفة ما جاء به السلف.

نقل الطوسي عن السلف واحترام آرائهم، وصح ما اعتقد بعدم صحته ومال في كل ذلك لمدرسة الكوفة حتى صار (تبيانه) مصدراً من مصادر الدراسة الكوفية.

---

(١) الأنعام: ٥٦.

(٢) التبيان: الطوسي ٤/١٦٣.

wadod.org

مصادر البحث ومراجعه

- الإبانة عن معاني القراءات، مكي بن أبي طالب (ت٤٣٧ هـ) د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي، مكتبة نهضة مصر، ١٩٦٠.

- إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربع عشر، أحمد بن محمد الدمياطي الشهير بالبنا (ت١١١٧ هـ).

- إعراب القرآن، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (ت٣٣٨ هـ) تحقيق د. زهير غازي زاهد، مطبعة العاني بغداد ١٩٧٧.

- إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، الحسين بن أحمد المعروف بابن خالويه (ت٣٧٠ هـ) دار التربية للطباعة والنشر. د. ت.

- البحث اللغوي والنحوي في تفسير التبيان، د. عبد علي حسين صالح، جامعة الكوفة، كلية التربية للبنات ١٩٩٥.

- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي محمد بن يوسف بن علي (ت٧٤٥ هـ) الرياض د. ت.

- البداية والنهاية في التاريخ، ابن كثير إسماعيل بن عمر (ت٧٧٤ هـ) مطبعة السعادة، مصر.

- البرهان في علوم القرآن، الزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١٩٥٧.

- البيان والتبيين، الجاحظ عمرو بن بحر (ت٢٥٥ هـ) تحقيق عبد السلام محمد هارون ط٥، ١٩٨٥.

- التبيان في تفسير القرآن، الطوسي أبو جعفر محمد بن الحسن (ت٤٦٠ هـ) تحقيق أحمد شوقي الأمين، وحبيب قصير العاملي، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ١٩٥٧-١٩٦٣.

- تاريخ العراق في العصر السلجوقي، حسن أمين، مطبعة الإرشاد، ١٩٦٥.

wadod.org

ـ التيسير في القراءات السبع، الداني أبو عمر وعثمان بن يزيد، عُني بتصحيحه أوتو يرتزل، إسطنبول، مطبعة الدولة ١٩٣٠.

ـ جامع البيان عن تأويل القرآن، الطبري محمد بن جرير (ت٣١٠ هـ) دار الفكر، لبنان ١٩٨٨.

ـ حجة القراءات، أبو زرعة، تحقيق سعيد الأفغاني، ط بيروت، ١٩٧٩.

ـ حديقة الرضوية في تاريخ مشهد، محمد حسن أديب، ط١ مطبعة خراسان، ١٩٤٧.

ـ دائرة المعارف الإسلامية، فؤاد أفرام البستاني، مطبعة بيروت ١٩٦٢.

ـ ديوان الحطيئة شرح ابن السكيت، تحقيق نعمان أمين، ط١، مصر، ١٩٥٨.

ـ ديوان عنترة بن شداد، المطبعة العلمية، ١٩٨٣.

ـ ديوان كثير بن عبد الرحمن، اعتنى بتجميعه ونشره الشيخ هنري بيرس. د. ت.

ـ ديوان ابن مقيل، تحقيق د. عزة حسن، دمشق، ١٩٦٢.

ـ الذريعة إلى تصانيف الشيعة، آغا بزرك الطهراني (ت١٣٨٩ هـ) مطبعة الغرى، النجف الأشرف. د. ت.

ـ أ ـ الرجال: أحمد بن علي النجاشي (ت٤٥٠ هـ) مطبعة بومباي، ١٨٩٧.

ـ ب ـ الرجال: تقي الدين الحسن بن علي (ت بعد ٧٠٧ هـ) ط٢، ١٩٦٦.

ـ ج ـ الرجال: الطوسي، تحقيق محمد صادق بحر العلوم، ط١، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٩٦١.

ـ رسم المصحف والاحتجاج به في القراءات: د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي، مكتبة نهضة مصر، ١٩٦٠.

ـ شعر الراعي النميري وأخباره، جمعه وقدم له ناصر الحاني، مطبعة دمشق، ١٩٦٤.

wadod.org

- شعر زهير بن أبي سلمى، طبعة الأعلم الشنتمري، تحقيق د. فخر الدين قباوة، ط١، حلب ١٩٧٠.

- شعر النمر بن تولب، وضعه الدكتور نوري حمودي القيسي، مطبعة المعارف، بغداد، د. ت.

- الشيخ الطوسي: د. حسن عيسى الحكيم، ط١، مطبعة الآداب، ١٩٧٥.

- الشيخ الطوسي: محمد بن الحسن مؤسس جامعة النجف، محمد رضا المظفر، مجلة النجف، لصاحبها هادي فياض، العدد ٤، ٥، ٦، ٧، السنة الثامنة، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، ١٩٥٨.

- الطبري النحوي من خلال تفسيره: زكي فهمي أحمد شوقي الآلوسي، جامعة بغداد، كلية الآداب، ١٩٨٤، (رسالة دكتوراه غير منشورة).

- غاية النهاية في طبقات القراء، عنى بنشره برمستراسر، مطبعة السعادة، مصر، ١٩٣٢.

- الغيبة: الطوسي، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ١٩٦٥.

- الفاضل، المبرد محمد بن يزيد (ت٢٨٥ هـ) تحقيق عبد العزيز الميمني، القاهرة ١٩٦٥.

- في اللهجات العربية: إبراهيم أنيس، ط٣، القاهرة، ١٩٦٥.

- القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب، د. عبد الفتاح القاضي، دار إحياء الكتب العربية، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه. د. ت.

- القراءات القرآنية تاريخ وتعريف: د. عبد الهادي الفضلي، ط٢، بيروت لبنان، ١٩٨٠.

- المبسوط في فقه الإمامية: الطوسي، علق عليه محمد تقي، طهران، ١٣٨٧ هـ، ١٩١٧م.

- مباحث في علوم القرآن: د. صبحي الصالح ط٨، دار العلم للملايين، ١٩٧٤.

wadod.org

- المحتسب في تبيين شواذ القراءات والإيضاح عنها: ابن جني أبو الفتح عثمان، تحقيق علي النجدي وآخرين، القاهرة، ١٣٨٦ هـ، ١٩٦٦م.

- مختصر في شواذ القرآن، ابن خالويه، تحقيق د. سالم مكرم، دار الشرق، بيروت ١٩٧١.

- معجم البلدان، الحموي، ياقوت بن عبد الله، دار صادر، بيروت ١٩٠٧.

- معجم المؤلفين عمر رضا كحالة، مطبعة الترقي، دمشق، ١٩٦٠.

- المقتضب، المبرد أبو العباس محمد بن يزيد، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، القاهرة ١٩٦٦.

- معاني القرآن، الفراء أبو زكريا يحيى بن زياد (ت٢٠٧ هـ) تحقيق محمد علي النجار، وأحمد يوسف نجاتي، ط٢، بيروت ١٩٨٠.

- ملامح مدرسة الكوفة عند الدكتور المخزومي، د. محمد حسين علي الصغير، بحث مقدم إلى الحلقة الدراسية المتخصصة (الفكر اللغوي عند المخزومي) كلية التربية للبنات، جامعة الكوفة ١٩٩٤.

- الممتع في التصريف، ابن عصفور علي بن مؤمن (ت٦٦٩ هـ) تحقيق فخر الدين قباوة، ط٣، بيروت ١٩٧٨.

- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، الجوزي عبد الرحمن بن علي (ت٥٩٧ هـ) ط١، مطبعة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، ١٩٣٩.

- منهج الطوسي في تفسير القرآن الكريم، د. كاصد ياسر حسين الزيدي، جامعة القاهرة، كلية التربية، ١٩٧٦.

- النشر في القراءات العشر، الجزري، محمد بن محمد (ت٨٣٣ هـ) تصحيح ومراجعة محمد علي الضباع، مصر، د.ت.